

تأليف

بروكوبيوس القيصري

دراسة وترجمة وتعليق

دكتورة عفاف سيد صبره

استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الأول

الكتاب الخامس ومنتصف السادس

الناشر
دار الكتاب الجامعي
8 شارع سليمان الحلبي بالقاهرة



تأليف

بروكوبيوس القيصري

دراسة وترجمة وتعليق

دكتورة عفاف سيد صبره
أستاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد
جامعة الأزهر

الجزء الأول

الكتاب الخامس ومنتصف السادس

الناشر
دار الكتاب الجامعي
٨ شارع سليمان الحلبي بالقاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد وعلى اله وصحبه أجمعين .

وبعد ..

فموضوع الحروب القوطية من الموضوعات الهامة التى شغلت حيزا كبيرا من تاريخ العصور الوسطى ، وانشغل الشرق البيزنطى مع الغرب الرومانى باحداث هذه الحروب — التى لم تكن آثارها اقليميه .. بل تركت بصمات واضحة على كلا الجانبين فى النواحى السياسية خصوصا وغيرها من النواحى عموما .

وقبل أن نبدأ فى تقديم دراستنا الموسعة عن قبائل القوط وتطورهم السياسى فى أوروبا .. احب أن أعرف أولا بهذا الكتاب الذى نحن بصدد ترجمته ، ونعرف شيئا عن مؤلفه .

الكتاب الذى بين أيدينا هو كتاب تارخ الحروب القوطية ويقع فى ثلاثة أجزاء .. وتحتل هذه الحروب مجموعة كبيرة من الموسوعات التى قدمها لنا المؤرخ البيزنطى بروكوبيوس .. وقد كتبت أصول تاريخ هذه الحروب باللغة اليونانية وقام على ترجمتها الى اللغة الانجليزية العلامة الانجليزى هنرى . ب . ديونج H. B. Dewing .

وقبل أن ندخل فى تفاصيل مؤلفات بروكوبيوس وأهميتها فى التاريخ البيزنطى لابد لنا أن نعرف به أولا حتى نرسم صورة كاملة لهذا المؤلف وعصره والظروف التى عاش فيها والتى كان لها أكبر الأثر على

أسلوبه ، وطريقة عرضه لمادته العلمية . ولافكاره ومعتقداته والفكر السياسي الذى يتبعه •

ولد بروكوبيوس سنة ٥٠٠ م بقيصرية فى فلسطين •• أى فى ولاية من أهم الولايات البيزنطية فى الشرق[١] • وتلقى بروكوبيوس تعليمه فى قيصرية وغزة حيث تعلم المنطق والقانون •• وهما من أهم العلوم التى شغلت الفكر البيزنطى فى العصور الوسطى •• خاصة فى عصر الامبراطور جستنيان ٥٢٧ — ٥٦٥ م •

رحل بروكوبيوس الى القسطنطينية التى كانت مركزا للدراسات القانونية والفقهية ليعمل هناك ، وقد ذاع صيته هناك فى عام ٥٢٧ م أى العام الذى تولى فيه جستنيان دفة الأمور ، لذلك فقد عين سكرتيرا خاصا ، ومستشارا قانونيا للقائد العسكرى بليزايوس[٢] •

كان بروكوبيوس كاتبا بليغا •• رفعه بيانه الناصع الى عضوية السناتو[٣] حتى أن بعض المؤرخين يظن أنه وصل الى منصب والى القسطنطينية ٥٦٢ م •

---

(1) Vasiliev «History of the Byzantine Empire» p. 180

Bury. «History of the Later Roman Empire» p. 21.

جيبون « اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها » ج ٢ ص ٢٩٧ •

Runciman «Byzantine Civilization» p. 243.

(٢) بليزاريوس من أشهر القادة فى التاريخ البيزنطى — ولد سنة ٥٠٥ م وكان صديقا للامبراطور جستنيان وكانت زوجته انتونينا Antonina صديقة للامبراطورة ثيودورا Theodora وبدأ نجم بليزاريوس يلمع منذ موقعة دارا ضد الفرس سنة ٥٣٠ م ، ثم عين قائدا للشرق وفى عام ٥٣٢ م تمكن بالتعاون مع نارسيس من القضاء على فتنة نيقا وارسله جستنيان سنة ٥٣٣ م الى شمال افريقيا حيث قضى على مملكة الوندال ثم بعث به الى ايطاليا ليخلصها من القوط الشرقيين . انظر :

Vasiliev «History of the Byzantine empire» p. 135.

Ostorgorsky «History of the Byzantine state» p. 70-73.

(٣) جيبون « المصدر السابق » ج ٢ ص ٢٩٧ .

ولعل وجود بروكوبيوس فى منصبه كمستشار للقائد بليزاريوس قد هيأ له الفرصة ليحصل على المعلومات من مصادرها الأساسية ، وكان لمشاركته لبليزاريوس فى حروبه أكبر الأثر فى تدوين تاريخ هذه الحروب من مواقعها وكشاهد عيان لاحداثها تفصيليا يوما فيوما دون الاحتياج الى الرجوع لأية مصادر ثانوية أخرى عن هذه الموضوعات •

لقد شارك بروكوبيوس سيده بليزاريوس فى حروبه ضد الفرس فى الحرب الفارسية الأولى من ٥٢٧ — ٥٣١ م وضد الوندال ٥٣٣ م وضد القوط فى ايطاليا ٥٣٦ م[٤] •

ولذا فقد دون بروكوبيوس تاريخ العصر الذى عاش فيه متقلبا بين المديح والاطراء أو القدح والهجاء •

ومن أهم المؤلفات التى ألفها ثلاثة أعمال تاريخية هامة أولها تاريخ الحروب ، وثانيها ما عرف بـ Historia, Arcana أو التاريخ السرى ، وثالثها عن المبانى والمنشآت •

وأول هذه المؤلفات كان عن تفاصيل حروب جستنيان وتقع فى ثمانية أجزاء[٥] الجزءان الأول والثانى خصصها للحروب الفارسية والثالث والرابع للحروب ضد الوندال فى شمال أفريقيا ومن الخامس الى الثامن للحروب ضد القوط الشرقيين فى ايطاليا وهى الأجزاء التى سأقوم بترجمتها الى العربية ان شاء الله تعالى •

ويذكر الاستاذ جيبون أن هذه الكتب تستحق التقدير بوصفها تقليدا شاقا موفقا لكتاب أثينا أو على الأقل للكتاب الآسيويين •• كتاب اليونان القدماء •• وقد جمع الحقائق التى أوردها فى تاريخه هذا من

---

(٤) توينبى « الفكر التاريخى عند الاغريق » ص ١٠٥ — ١٠٩ ،
Bury «History of the later Roman Empire» p. 21-24.

(٥) جيبون نفسه ص ٢٩٨ •

تجربته الشخصية ومن مناقشاته الحرة بوصفه رجلا عسكريا ورجل دولة وسياسة ، وسائحا وكان طموحا وكثيرا ما حقق طموحه فى أن يرقى باسلوبه حتى يكون جديرا بأن يوصف بالقوة والرشاقة •

أما تأملاته وآراؤه وبوجه خاص فى الخطب والأحاديث ، تلك التى كثـيرا ما ثبتها فى كتبـه فانها تزخر بمعـين لا ينضب من المعلومات السياسية[٦] وقد ضمن بروكوبيوس تاريخ الحروب هذه معلومات أخرى اضـافية مما جعلها أقرب الى التاريخ العـام لهذا العهد من حـكم جستنيان[٧] ، وقد أكمـل المؤرخ اليونانى اجاثيـاس Agathius وكتابه Historiarum عن تاريخ جستنيان على ما ألفه بروكوبيوس عن الفترة من ٥٥٢ — ٥٥٨ م ثم أكمل الكتاب ةعن الأحداث من عام ٥٥٨ — ٥٨٢ م وقد نشر مؤلفه هذا فى مجموعة بون البيزنطية Corpus - Scriptarum, Historiae, Byzantinae, والتى نشرت فى عام ١٨٢٨ م فى المانيا •

أما عن كتـابه الآخر وهو ما يعـرف باسـم التـاريخ السرى Historia - Arcana فقد ذكر المؤرخون أن هذا الكتا بـلم ينشر فى حياة بروكوبيوس وقد كان هذا التاريخ تقييما عاما لعصر جستنيان وقد حمل بروكوبيوس الامبراطورة ثيودورا وبليزاريوس كثـيرا من التبعات لمـا حل بالامبراطورية من مشاكل •

يذكر الاستاذ فازيليف أن ما أورده بروكوبيوس فى تاريخـه عن ثيودورا انما يدل على المبالغة فى الصورة التى عرضها لها فى مسـتهل حياتها حين عاشت وهى ابنة أحد مروضى الدببة فى المسرح الطـافح بالفساد والانحلال فوقعت فى غرام عدد كبير من الرجال واشـتهرت

---

(٦) جيبون « المصدر السابق » ص ٣٩٨ .

(7) Vasiliev eop - cit» p. 180-181.

توينبى « الفكر التاريخى عند الاغريق » ص ١٠٥ — ١٠٩ .

ثيودورا بالجمال والرشاقة والذكاء وسرعة الخاطر وكانت مصدر التسلية بالقسطنطينية ومصدر العار لها أيضا ويذكر بروكوبيوس أيضا أن كل من صادف ثيودورا فى الطريق كان يأنف من الاقتراب منها حتى لا تتسخ ملابسه اذا مستها على أنه يجب أن نحتاط عند الأخذ باراء بروكوبيوس لما اشتهر به من الحرص على أن يسيء الى سمعة جستنيان وثيودورا [٨] ، وقد هاجم أيضا موظفى جستنيان وخاصة تريبونيان المشرع الشهير • واتهمه بالرشوة والالحاد ، ويبدو أن اهتمام تريبونيان بالفلسفة والفلك والتقويم كان وراء هذا الاتهام[٩] •

أما عن كتابه الثالث عن المبانى والمنشئات فيقع فى ستة أجزاء فهو يمثل دراسة هامة عن النشاط العمرانى فى عهد جستنيان وقد كتب هذا بدون شك بناء على رغبة الامبراطور نفسه وهو يعد قصيدة نظمها بروكوبيوس فى مدح جستنيان وقد سار بروكوبيس فى تاريخه هذا على نهج المؤرخين اليونانيين القدماء أمثال هيرودوت . وثيوكوديوس . وكان تأثره أكثر وضوحا بالأخير[١٠] •

وقد تخيرت من بين مؤلفات بروكوبيوس ما كتبه وسجله كشاهد عيان مرافق للقائد بليزاريوس فى « الحروب القوطية » والتى كانت صقلية وايطاليا ميدانا لها •

واذا حللنا الاسلوب الذى اتبعه بروكوبيوس فى تسجيل أحداث هذه الحروب نجد أنه ارخ لها على نظام الحوليات فكان يسجل أحداث تحرك الجيش يوما فيوما ، وقد غلب على هذه الأحداث الاستطراد فى

---

(8) «Cam. Med. Hist.» vol IV part II, p. 229.
Runciman «op - cit» p. 243.
(9) Vasiliev «op - cit» p. 132.
(10) Ibid. p. 142-148.
Ostrogorsky «op - cit» p. 70-78.

وصف ميدان المعركة وتفاصيلها مع اهتمامه القوى بذكر المنشـــئات والحصون والبوابات التى استعان بها البيزنطيون ضد القـــوط والتى استعان بها القوط ضد البيزنطيين •

ويعتبر هذا التاريخ سجلا حافلا مفصلا حتى انه لم يغفل جميع الخطب والعبارات التى كانت ترد على ألسنة زعماء البيزنطيين والقوط والرومان[11] كما وضح فيه شيئا هاما الى جانب ما سبق وهو وصف المدن والمواقع التى يعسكرون فيها وصفا دقيقا ، قد وردت فى هـذا السجل أسماء لشخصيات كثيرة من القوط والرومان ممن تولوا الزعامة.

ولابد ان اشير هنا الى أن هذا السجل لا يصح أن نعتبره ســجلا حربيا فقط ، ولكنه كان يتوقف عن وصف المعارك فى أحوال كثيرة ليشرح لنا قضـــايا سياسية ووضحت من هذا المؤلف وجهة النظر البيزنطية فى موضوع دفع القوط الى ايطاليا زمن الامبراطور زينون وما قام به القوط فى ايطاليا من محاربة أودواكر انجـرمانى الذى عزل آخر الأباطـرة الرومان روميولوس اوغـسطولوس وشرح سياسة الملك القوطى ثيودريك • وكيفية حكمه لايطاليا وعلاقته بالقوى المحيطة ثم عرض أيضـــا لأثر المذهب الاريوسى الذى اعتنقه القوط على العلاقات مع الامبراطورية البيزنطية وما قام به ثيودريك من قتل للفلاسفة خاصة الفيلسوف بوثيوس واثر ذلك على الامبراطور البيزنطى •

ولم يغفل ثيودريك فى ثنايا سجله الحربى أن يعرض لتطور الأمة القوطية بعد وفاة ثيودريك سنة ٥٢٦ م وكيف تصدعت الأمة القوطية بعده فقد خلفه حفيده اتالاريك Atalaric وتولت أمه امالاسونثا Amalasuntha تصريف شئون الحكم كوصية على ابنها ، وكانت هذه

______

الوصية — مثل ابيها من المعجبين بالحضارة البيزنطية[١٣] ولكن ذلك لم يعجب زعماء القوط فدبروا أمر مقتلها[١٣] .

اتخذ جستنيان امبراطور الدولة البيزنطية من هذه الحادثة ذريعة للتدخل فى شئون ايطاليا ومحاولة اعادة هيبة الامبراطورية البيزنطيــة الى هذه المناطق[١٤] .

ومما يؤخذ على بروكوبيوس فى هذا المجال انه كان يشد الانتباه للوصف الدقيق الذى يقدمه للقارىء حول أحداث المعارك وفجأة ينتقل بك الى حادث عارض يشرحه باسهاب حتى ينسى القارىء الموضع الذى وقف عنده من الحدث الأصلى ؛ ثم ما يلبث أن يعود الى حديثه الأول ، وهكذا اختلطت أحداث ثانوية كثيرة مع الأحداث الأساسية التى سجلها بروكوبيوس .

ولابد لنا قبل أن ندخل فى ترجمة ما كتب بروكوبيوس عن الحرب القوطية أن نقدم دراسة وافية عن هؤلاء القوط .

١ — القـــوط :

القوط يمثلون أحد العناصر الجرمانية التى قدمت من شــبه جزيرة اسكندناوه ووصلت الى ضفاف نهر الدانوب وسواحل البحر الأسود وذلك منذ زمن الامبراطور كراكلا سنة ٢١٤ م ، وقد تقدم القوط جنوبا من شواطىء البحر البلطى فسحقوا السارماشيين وهاجموا اقليم داشيا على الدانوب حيث ظلوا خمسين سنة يعيثون فسادا فى البلقان حتى

(12) Bury «History of the later Roman Empire» vol 2, p. 125-150.

(13) Lot «The end of the ancient world» p. 258-259.

(١٤) عفاف صبره « الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية زمن شارلمان » ص ٢٣ .

هزمهم الامبراطور كلوديوس الثانى سنة ٢٦٨ – ٢٧٠ م فى نيسوس Naissus سنة ٢٦٩ م .

وقد كان القوط فى هذه الفترة وحدة واحدة الا أنهم انقسموا بعد ذلك الى قسمين شرقيين وغربيين(١٥) فانتشر الشرقيون فوق سهول روسيا الجنوبية فى حين اتجه الغربيون نحو داشيا والبلقان حيث سمح لهم بالاستقرار فى هذه الجهات .

ويؤكد المؤرخون على أن القوط الشرقيين قد شاركوا اخوانهم الغربيين الذين سمح لهم الامبراطور فالتر بعبور الدانوب ليسلموا من خطر الهون . شاركوهم فى محاربة هذا الامبراطور فى أدرنة سنة ٣٧٨ م حتى انتهى الأمر بذبحه(١٦) وفى سنة ٣٨٠ م عقدوا حلفا مع الامبراطور ثيودسيوس الأول ، أصبحوا بمقتضاه معاهدين للامبراطور ، كما سمح للقوط الشرقيين بالاقامة فى اقليم بانونيا والقوط الغربيين بالاقامة فى شمال تراقيا .

والمعروف أن القوط قد اعتنقوا المسيحية على مذهبها الاريوسى عن طريق مبشر اسمه ولفلاس Wulfilas ٣١١ – ٣٦١ م(١٧) .

وقد تعرضت مملكة القوط الشرقيين لهجمات الهون الذين بسطوا سلطانهم على هنغاريا ، ومع ذلك فقد اتحدوا تحت زعامة ملك واحد ثم تحت حكم أبنائه الثلاثة من بعده ولم يشذ عن ذلك الا جماعات متناثرة دخلت فى خدمة الرومان أو أولئك الذين انحازوا الى الجيوش المختلطة فى خدمة رادا جيسوس ، والتى شنت هجوما مباغتا وخطيرا

---

(١٥) عاشور « أوربا العصور الوسطى » ج ١ ، ص ٦٩ .
نشر « تاريخ أوربا العصور الوسطى » قسم أول ، ص ١٦ .
(١٦) موس « ميلاد العصور الوسطى » ص ٩٩ .
(١٧) عاشور « أوربا العصور الوسطى » ص ٧٠ .

على ايطاليا ٤٠٤ — ٤٠٥ م فسحقوا استيلكو على مرتفعات فيسولى ، وقد كانوا بوصفهم حلفاء تابعين يقاتلون مع اتيلا عند سهل موريك ، ولكنهم لعبوا دورا بارزا فى ائتلاف الشعوب التى قضت على الهون بعد وفاة اتيلا وازدادوا صلابة وصمودا فيما تلا ذلك من حروب مع قبائل الدانوب[١٨] .

وفى عام ٤٧١ م أصبح ثيودريك الملقب فيما بعد بالعظيم — من زعمائهم والمعروف أن ثيودريك قضى عشر سنوات من حياته وهو صبى رهينة بالقسطنطينية ولابد انه قد تعلم الشىء الكثير عن تنظيم الدول المتحضرة مثل ألريك وان ظل حتى نهاية أيامه اميا لا يكتب .. فاذا شاء التوقيع باسمه اضطر الى استخدام روسم من ذهب[١٩] .

وقد بدأت قوات القوط الشرقين تتجه جنوبا داخل حدود الامبراطورية البيزنطية وسببت لها مشاكل كثيرة[٢٠] .

وقد تحققت احلام القوط عندما هرب ثيودريك من البلاط البيزنطى سنة ٤٧٤ م واصبح ملكا على شعبه وقرر أن يتجه بهم جنوب البلقان .

وقد صادفت هذه الفترة الزمنية قيام القائد الاسكيرى الجرمانى فلافيوس اودواكر Flavius Odoacer بعزل روميولوس اوغسطولوس Romulus Augustule . آخر الأباطرة الرومان فى الغرب ونجح فى الاستيلاء على السلطة فى ايطاليا سنة ٤٧٦ م وبذلك اعتبر المؤرخون هذا التاريخ نهاية للامبراطورية الغربية[٢١] والحقيقة أن ما قام به

---

(١٨) موس « ميلاد العصور الوسطى » ص ٩٩ .

(١٩) الروسم لوحة منقبة بالحروف المطلوبة لكتابة الاسم . انظر : « موس » المرجع السابق .

(20) Thompson «The Middle ages». vol I. p. 118.

(21 Thompson «the middle ages» vol I, p. 118.

بيلر « الامبراطورية البيزنطية » ترجمة حسين مؤنس ، ص ٢٢ .

اودواكر لم ينقص شيئًا من سلطان الامبراطور البيزنطى زينون ولم يشعر احد أن الامبراطورية قد سقطت سنة ٤٧٦ م أو أن ايطاليا كانت خارج نطاق الامبراطورية بعد هذا التاريخ(٢٣) .. ولعل مما يدعم ذلك أن الامبراطور زينون استقبل فى عام ٤٧٧ م وفدا يمثل ادواكر والسناتو الرومانى يخبره بأن الغرب لم يعد بحاجة الى وجود امبراطور .. ، وان الامبراطور الرومانى فى الشرق كاف لبسط حمايته على الشرق والغرب معا كما كان واقعا فى عهدى قنسطنطين وثيودسيوس الكبير ، ويضع عند قدمه تاج رومولوس وعباءه الامبراطورية ، ويطلب اليه أن ينعم على اودواكر باللقب الرومانى القديم « بطريق » يعتبره نائبا عنه فى حكم ايطاليا(٢٣) ومع أن الامبراطور زينون لم يوافق على منح اودواكر لقب الشريف الرومانى هذا ، فقد راح القائد الجرمانى يحكم ايطاليا كملك دون أن يحصل على اعتراف من الامبراطور وكان على زينون أن يغمض عينه عن ذلك(٢٤) ، وقد لقب أودواكر نفسه بلقب « سيد الجند فى ايطاليا » Magister Mili Tum per Italian (٢٥) .

وفى هذه الاونة فكر زينون فى وسيلة جديدة يتخلص بها من ضغط القوط الشرقيين على القسطنطينية خوفا من أن يتسبب دخولهم الى قلب الدولة البيزنطية فى تعرضهم لنفس المصير الذى تعرض له من قبل سلفه الامبراطور فالنز على يد اخوانهم القوط الغربيين ، الى جانب رغبته فى التخلص من المعونات المالية الفادحة التى لابد من دفعها للقوط.

---

(22) Strayer, Munro «The middle ages» p. 39-40.

(٢٣) رأفت عبد الحميد : مقدمة الترجمة العربية لكتاب « العالم البيزنطى » ، تأليف ج. م هسى ، ص ١١ .

«Oman «The Dark Ages» p. 107.

(٢٤) رأفت عبد الحميد : نفسه .

(25) Ostrogorsky «op - cit» p. 62.

وقد رأى أن يدفع القوط الشرقيين الى ايطاليا ، لتخليصها من القائد الجرمانى اودواكر ، وحتى يتخلص من جميع الأعباء السابقة .

وقد وافق ثيودريك على تنفيذ ما أمره به الامبراطور زينون واتجه الى ايطاليا فى سنة ٤٨٨ م سيدا لجند الامبراطور ، ويقود جيشا من القوط الشرقيين ومن غيرهم من المغامرين وقد نجح القوط فى انـزال الهزائم باودواكر عند ايسونزو Isonzo وفيرونا حتى اعتصم اودواكر برافنا . فحاصره القوط الشرقيون حتى استسلم سنة٤٩٣م ولم يلبث أن دخل ثيودريك رافنا ليقتل اودواكر(٣٦) . وعند ذلك قـرر مجلس السناتو الرومانى أن يؤيد ثيودريك واعترف به حاكما على ايطاليا . وكانت هناك عدة مدن لا تزال تناصر اودواكر وتسانده فنجح ثيودريك فى استثاره السكان الرومان للقيام بمذبحة شاملة فى حامياتها البربرية(٣٧) .

وقد اتخذ ثيودريك من مدينة رافنا عاصمة لمملكة القوط الشرقيين فى ايطاليا وكانت رافنا فى وقت قريب مدينة خربة خيم عليها الصمت ، وكانت تتألف من مجموعة من أبراج الأجراس تقع فى سهل رخم موحل من المستنقعات الوبيئة بالملاريا وحقول الذرة التى تخترقها القنـوات البطيئة التى يسدها البوص وأزهار النيلوفر المائية وهى لا تزال تحتفظ الى اليوم بشىء من مجدها السابق ، منها كنيسة القديس فيتالى وهى أفخم كنائسها المتوهجة بالفسيفساء المرصعة بالجوهر والرخام الشفاف ، وترجع الى عهد جستنيان(٣٨) .

دولة القوط الشرقيين على عهد ثيودريك

كان لتولى ثيودريك السلطة فى ايطاليا فى هذه الفترة أن أصبحت هناك مملكة جرمانية جديدة تحكم منطقة هامة من العالم الغربى ، خاصة بعد سقوط الامبراطورية الغربية عام ٤٨٦ م ولذلك نعتبر أن مملكة القوط الشرقيين من أهم الممالك لأنها قامت فى ايطاليا مركز الامبراطورية الرومانية القديم وصاحبة المجد التليد ، والواقع أن ثيودريك كان من الوجهة القانونية نائبا عن امبراطور الدولة الشرقية فى ايطاليا حتى انه سك اسم الامبراطور البيزنطى على العملة[٢٩] . ولكنه أصبح من الناحية العملية ملكا مستقلا على مملكة القوط الشرقيين التى شملت ايطاليا وصقلية وغيرها من الأقاليم المجاورة مثل بانونيا ودلماشيا والليريا وبروفانس .. فى حين ظلت كورسيكا وسردينيا فى أيدى الوندال[٣٠] .

وقد سار ثيودريك على نهج بقية الممالك الجرمانية المعاصرة خاصة فى احتفاظه بالحضارة الرومانية[٣١] .

وقد كتب ثيودريك الى الامبراطور اناستاسيوس ٤٩١ — ٥١٨ م والذى أعقب الامبراطور زينون على العرش يقول « ان مملكتى ليست الا صورة مطابقة لملكك ويدعى لنفسه أكثر من جميع ملوك الأرض تلك الرقمة نفسها التى أجازها فى تواضع لشخص اناستاسيوس أو لمقامه[٣٢] .

غير انه كان فى الواقع فى وضع مخالف تماما اذ انه لم يكن ملكا على

---

(29) Lot «The end of the ancient world.» p. 240.

(٣٠) عاشور : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٨٨ .

(31) Lot «op - cit» p. 241.

(٣٢) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .

أتباعه من القوط الشرقيين وغيرهم بينما كان يتولى الحكم على السكان الرومان بايطاليا بوصفه نائب الامبراطور[٣٣] .

وكان التحالف بين الشرق والغرب يعلن سنويا باختيار قنصلين اختيارا جماعيا ، غير انه يبدو أن المرشح الايطالى الذى كان يعينه ثيودريك كان يحصل على تصديق رسمى من عاهل القسطنطينية . وكان القصر القوطى فى رافنا يعكس صورة بلاط ثيودسيوس أو فالنشيان فالــوالى البريتورى ووالى رومــا والكويســتور ورئيس الديــوان وأمنــاء الأموال العامة والموروثة الذين صورت بلاغة كاسيدوروس مهامهم ؛ كل هؤلاء ظلوا يعملون كوزراء للدولة ، أما مهمة الاشراف على العدالة والايرادات وهى دون المهام السابقة فقد كان يتولاها سبعة قناصل وسبعة مشرفين[٣٤] خمسة رؤسـاء يحكمون أقاليم ايطاليـا والخمسة عشر بمقتضى المبادىء بل والتشكيلات الخاصة بالقضــاء الرومانى[٣٥] .

وتجنب ثيودريك الحصول على ابضاح حول وضعه ذاك اذ أن ذلك كان ينطوى ضمنا على التسليم بحق الامبراطور فى الهيمنة عليه واعتباره مجرد موظف طارىء .

والواقع أن المؤرخ بروكوبيوس قد سجل لنا محاورة دارت بين القائد العسكرى بليزاريوس وبين مبعوثى القوط ، وكل منهما شرح وجهة نظره حيث بين القوط انهم أصدقاء البيزنطيين وانهم لم يستولوا على ايطاليا بالقوة ونظرا لأن اودواكر قد خلع روميولوس اوغسطولوس وحكم البلاد حكما استبداديا وصور القوط الامبراطور زينون بأنه كان

---

(٣٣) موسى : نفسه ، ص ١٢٤ .

(٣٤) Corrector وهو المشرف على الحقوق المدنية ، كانت وظيفته تعادل وظيفة الوالى البريتورى .

(٣٥) جيبون : نفسه ، ص ٢٣٠ .

عاجزا عن تدمير سلطة اودواكر فقانوا ، لذلك حرص ثيودريك على غزو ايطاليا ، وبين القوط انهم حكموا ايطاليا كحكام شرعيين وانهم حافظوا على القانون والنظام الرومانى وانهم راعوا لمقدسات الرومانية وان القوط تركوا الرومان يتولون مناصب الدولة ولم يشاركهم قوطى واحد فى ذلك[٣٦] ورفض القوط أن يحصلوا على منصب القنصلية وتركوه للرومان ٠

أما رأى بليزاريوس والذى يمثل وجهة النظر البيزنطية من ناحية دولة القوط الشرقين ، فقد بين أن "الامبراطور زينون عندما بعث بثيودريك الى ايطاليا ، بعثه لكى يحارب اودواكر لا أن يحكم السيطرة على ايطاليا ، أى أن معنى كلامه أن ثيودريك أرغم زينون على البقاء فى ايطاليا ويتساءل بليزاريوس ويقول ما الذى يرغم الامبراطور على أن يستبدل طاغية بآخر ، وانه أرسله الى ايطاليا ليحررها فقط[٣٧] ٠٠ ومن هذه الآراء والمحاورات التى دارت بين القوط والبيزنطيين يتبين لنا وجهة نظر البيزنطيين فى حكم القوط الشرقيين لايطاليا ويتبين من ناحية أخرى سياسة القوط التى اتبعوها فى حكم ايطاليا ٠

وقد أفاض الاستاذ موس Moss فى عرضه لسياسة القوط الادارية فى ايطاليا ، فقد بين أن مجلس السناتو الرومانى ظل يعقد جلساته فى روما ، ويلقى التبجيل من ثيودريك ، وظلت الولايات يحكمها ويجبى الضرائب منها موظفون من الرومان ، على أن فجوة عميقة كانت تفصل بين القوط والرومان أى بين العسكريين والمدنيين ، وكان الزواج

---

(36) Procoplus «History of the wars» vol VI, p. 341-343.

(37) Procoplus «ibid». p. 343-344.

بين المنتصرين محظوراً ، ولم يكن الفريقان يلتقيان الا عند القمة فى شخص نيودريك الذى هو نفسه مواطن رومانى ، على الرغم من انه ليس فى وسعه أن ينقل هذا الوضع الى غيره . وظل الناس يحتفظون بملبسهم ولغتهم وبقوانينهم ، وعاداتهم وحريتهم الشخصية وبثلثى أملاكهم من الأرض[٣٨] كان القوط خاضعين لكونتات الاحياء شأنهم شأن سائر الممالك الجرمانية الأخرى ، واستحدثت وظائف جديدة تتمثل فى الحماه Saiones الذين يتولون حماية الرومان من ظلم القوط ، وفحص حالات سوء استخدام السلطة Agentesim-Rebus [٣٩] .

ومن معالم سياسته أيضا ابرام سلسلة من التحالفات مع الممالك الجرمانية الواقعة الى الغرب منه ، وكان هدفه من ذلك أن يقيم توازنا للقوى بين هؤلاء الحكام ، ويقوم بدور الوسيط بينهم وبين القسطنطينية، وبهذه الوسيلة استطاع أن يكفل لنفسه الزعامة على الممالك الجرمانية ، وان يكون مخلصا للامبراطور البيزنطى ، وكان يرجو من ذلك أن يكون مقاومة قوية لسحق أية فكرة قد تراود البابوية أو الامبراطورية البيزنطية لاسترداد ايطاليا[٤٠] .

ولكن الاستاذ جيبون يقول أن هذا التوازن العالمى اهمل من جراء اطماع كلوفس Clovis ملك الفرنجة عندما هاجم القوط الغربيون

---

(٣٨) جيبون : نفسه ، ص ٢٧٠ .

(٣٩) موس : نفسه ، ص ١٢٤ — ١٢٥ .

Lot. sup - cits p. 241.

Oman « The dark ages » p. 22-24.

لذلك تحركت قوات ثيودريك ضده من أجل انقاذ البقية الباقية من شعب القوط وكسر شكيمة الفرنج وهم منتصرون[٤١] .

وقد أضاف أيضا نقاط هامة بالنسبة لدور ثيودريك العالمى فقد حمى قبائل الألمان وعاقب البرجنديين عقابا شديدا على غارة شنوها وغزا آرل ومرسيليا فأقام بذلك اتصالا حرا مع القوط الغربيين الذين احترموه وبجلوه على انه حامى وطنهم والوصى على حفيده ابن الريك الطفل ، وبهذه الشخصية المبجة أعاد ملك ايطاليا ولاية الغاليين البريتورية وأصلح بعض مساوىء الحكم المدنى فى أسبانيا . وقبل جزية سنوية وخضوعا ظاهر من حاكمها العسكرى الذى رضى فى حكمه أن يامن على نفسه بالذهاب الى قصر رافنا . واستقرب السيادة القوطية فى صقلية الى الدانوب ومن سرميوم أو بلغراد الى المحيط الاطلنطى[٤٢] .

القوانين على عهد ثيودريك :

اذا كان القوط الشرقيون قد احتفظوا لأنفسهم من الناحية الشكلية بقوانينهم الخاصة ، الا أن هذه القوانين اصطبغت من الناحية العملية بالطابع الرومانى حتى انها لم تلبث أن فقدت طابعها الأصلى بعد عدة أجيال[٤٣] ، وقد اعتمد فى هذه القوانين على مجموعة ثيودسيوس العظيم والحقيقة اننا نستدل على نمط هذه القوانين اذا درسنا المرسوم الذى أصدره ثيودريك فهو كما وضح متأثر بالتشريع الرومانى وليس به

---

(٤١) جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ، ص ٢٦٨ .

(٤٢) نفسه ، ص ٢٦٩ .

(٤٣) ماشور : تاريخ العصور الوسطى ، ص ٧١٩ .

الا مبتكرات ضئيلة ، وقد بذلت محاولة خاصة كما حدث فى القانون السالى للاستعاضة عن الأخذ بالثأر بالالتجاء الى الطرق القانونية .

ويحافظ الموسوم على المركز الممتاز لملاك الأرض غير أنه انطوى أيضا على تدابير لمنع الظلم الواقع على صغار الفلاحين Coloni وقد صدرت قوانين صارمة لناهضة الاختطاف وهى تعد دليلا على قلة الأيدى العاملة[٤٤] .

على أن الطبقات الدنيا أفادت بطريق غير مباشر لا بفضل الأمن والسلام اللذين أفادهما حكم ثيودريك القوى فحسب و يقول معاصر له معجب به « لم تكن بوابات المدن تغلق قط » بل بالاضافة الى لائحة الأسواق الدقيقة التى أصدرها وضبط أسعار المواد الغذائية ، ولحرصه على أن تكون مؤونة الجيش رخيصة الأسعار . ومنع ملاك الأراضى من الاستغلال فزاد انخفاض الأسعار وكان الغرض العلم من المرسوم المحافظة على القديم فليس وراءه أية نظرية يقوم عليها ، اذ اتخذك الأول والأخير منه الاحتفاظ بالحضارة الرومانية الى الأبد ثابتة دون تغير ، وآمنة داخل حلقة الحراب القوطية[٤٥] .

وقد تقرر أيضا فى عهده تخفيض الضرائب، وتقرير ضرورة غذاء المواطنين الرومان من قبضة المغيرين البرجنديين[٤٦] .

---

(٤٤) موس : ميلاد العصور الوسطى ، ص ١٢٥ .

(٤٥) نفســه ، ص ١٢٦ .

(٤٦) جيبــون : ص ٣٦٨ .

الحياة العامة فى ايطاليا

على عهـد القوط الشرقيين

تمتعت ايطاليا فى عهد القوط الشرقيين بالأمن والأمان والاستقرار فقد كان للفترة التى حكم فيها ثيودريك أكبر الأثر فى تسوية النزاع القائم فى ايطاليا وتهذيب العادات والتقاليد السائدة بين الرومان هناك.

وقد أصبحت رافنا هى عاصمة مملكة القوط الشرقيين ، وأصبحت هى المنارة ، والمركز الحضارى لهم وكثرت المؤلفات التى تكلمت عن عظمة هذه المدينة أيامهم .

عاش ثيودريك حاكم القوط فى قلب هذه العاصمة وأصبح بلاطه .. قبله للعلماء والفلاسفة والأدباء ، فقد رفع ليبريوس Lipirius الى منصب الوالى البريتورى نظير اخلاصه الثابت أثناء نظر قضية اودواكر الجرمانى ، اما بؤثيوس الفيلسوف فقد كان ذا منزلة عظيمة عنده .. فقد كان عالما وفيلسوفا ولاهوتيا وشاعرا وأصبح قنصلا وهو فى الثلاثين من عمره ، وأدى خدمات هامة لثيودريك[١٧] .

كان بؤثيوس متفوقا فى الفنون الأربعة الحرة ، وهو الشارح الصادق لارسطو طاليس وفرفوريوس ، وكان من رجال اللاهوت البارعين وكان نموذجا فريدا للعلماء والدرسانين فى العصور الوسطى[١٨] .

أما عن كاسيدروس فقـد كان أكثر حكمة من زميله بؤثيوس ، فاستطاع الحفاظ على مكانته دون أن يخسر الحظوة الملكية . وبعد أن

---

(١٧) موس : ميلاد العصور الوسطى ، ص ١٢٧ .
جيبون : نفسه ، ص ٣٦٥ .
(١٨) موس : نفسـه .

استمتع بأمجاد الدنيا ثلاثين عاما نعم بفترة مماثلة من الراحة فى عزلة كرسها للتعبد والدرس فى سكويلاس Squillace [٤٩] .

وقد كان كاسيدروس مادحا عظيما لثيودريك . وقد عرض كاسيدروس سياسة سيده ثيودريك فى عبارات طنتوية ، وان كانت تنطوى فى تكلف على فخامة اللفظ والحذلقة ، فانها تعلو أحيانا الى مرتبة الفصاحة الحقة[٥٠] .

واذا كنا بصدد الكلام عن قصر ثيودريك برافنا فلابد أن نعدد الكنائس العديدة التى شيدت فى هذه العاصمة الى جانب المقابر العديدة .

وقد كانت رافنا فى هذه الأونة وسيطا ينقل الثقافة الى الممالك الجرمانية أو على الأقل بعض مظاهر المدينة والاعيبها[٥١] .

وقد ظهرت فى ايطاليا نهضة أدبية صغيرة ، وكانت ميلان من مراكز تلك النهضة ، وازدهرت فيها مدارس النحو واللغة تحت رعاية الأسقف لورانس فكان يؤمها الصبيان من كل أطراف غاله[٥٢] .

ومن أهم الملامح العامة لسياسة ثيودريك انه عمد الى التصاهر مع الأسر الجرمانية ، فقام أفراد عائلته أيضا بالتصاهر مع ملوك الفرنجة والبرجنديين والقوط الغربيين والوندال والثورنجيين ، مما أدى الى خلق توازن دولى قوى[٥٣] .

كما أن ثيودريك عمد الى الاتصال بالبلد الذى اشتقت منه الأمة القوطية أصلها ، كما انه أعوزه عبقرية المشرع أو الفرص المتاحة له

(٤٩) جيبون : نفسه ، ص ٣٧١ .
(٥٠) موس : نفسه ، ص ١٢٦ .
(٥١) فشر : أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٣٦ .
(٥٢) موس ، ص ١٢٦ .
(٥٣) جيبون ، ص ٣٦٦ .

وبينما سمح للقوط أن يستمتعوا بالحرية الفطنة ، فانه قلد فى ذلك نظم بل ومساوىء الكيان السياسى الذى أقامه قسطنطين وخلفاؤه • وقد جعل ثيودريك الحكم وراثيا وتمتع بكل الامتيازات الامبراطورية[٥٤] •

وقد عمل ثيودريك على أن يغرس فى نفوس الشعب والسناتو مشاعر الحب نحوه ، فاجتذب نبلاء روما بما أغدقه عليهم من صفات رئاسية ومناصب رسمية وتمتع أفراد الشعب دون خوف أو خطر بنعم العاصمة الثلاث وهى النظام والرخاء والملاهى العامة •

وقد سادت فى رافنا بعضا من الصور القديمة التى كانت سائدة فى روما وبيزنطة مثل الألعاب العامة وفنون الموسيقى والرياضة والتمثيل الصامت وظلت الوحوش الافريقية الحضارية تطلق فى مدرجات الألعاب فى مواجهة الصيادين لتدريبهم على الشجاعة[٥٥] •

وقد اهتم ثيودريك بآثار روما وغيرها من مدن ايطاليا فقد ه يفت المراسيم الملكية بحيث تمنع المواطنين أنفسهم من اساءة استعمالها أو اهمالها أو نهبها وخصص للاصلاحات العادية اللازمة للاسوار والمبانى العامة مهندسا معماريا خبيرا وميلغا سنويا قدره مائتان من الأرطال الذهبية ، وخمسة وعشرون ألف قطعة من القرميد وعائد الجمارك من ميناء لوكرين ، وامتدت العناية نفسها الى التماثيل المعدنية أو الرخامية التى تمثل الانسان أو الحيوان ، فكان تمثالا الجوادين القائمين عند مدخل قصر الكويرينال واللذان اكتسباه اسما حديثا موضع اعجاب البرابرة ، كما أعيدت تماثيل الفيلة النحاسية التى كانت قائمة فى طريق ساكرا Via Sacra[٥٦] •

(٥٤) نفسه ، ص ٣٧٠ •
(٥٥) جيبون ، ص ٣٧٢ •
(٥٦) جيبون ، ص ٣٧٤ •

واذا كنا نتكلم عن الحياة العامة فى ايطاليا على عهد ثيودريك فمن الضرورى أن نتعرض للتسامح الدينى الذى ساد عصره فرغم أننا قد ذكرنا أن ثيودريك والقوط أجمعين قد تنصروا على مذهب اريوس الا أنهم عاملوا الرومان الاثناسيوسيين معاملة طيبة ، وظل الهدوء يسود الكنائس ، وكان رجال الدين منهم يلقون الحفاوة والتكريم فى قصر ثيودريك بقدر مقامهم وجدارتهم وكان الملك يبجل قدسية الاحياء منهم مثل سيزاريوس أسقف آرل الارثوذكس وابيفانيوس أسقف بافيا ، وقدم قربانا لائقا على قبر القديس بطرس دون أن يهتم بالاستفسار عن عقيدة ذلك الرسول وسمح للمقربين اليه من القوط حتى أن يحتفظوا بعقيدة اثناسيوس أو يعتنقوها ، ولم يحدث فى عهده الطويل أن كاثوليكيا ايطاليا واحدا تحول الى دين الفاتح طواعية أو كرها[٥٧] .

والى جانب أن ثيودريك كان حامى الكنيسة فانه أصبح صاحب السيادة الشرعية عليها . واكتسبت الكنيسة بعض الامتيازات .

ولكن اذا كانت هذه هى السمات التى غلبت على ثيودريك فى بداية حكمه الا أنه فى النهاية عدل عن هذه السياسة نتيجة لظروف خارجة عن ارادته فقد قام الامبراطور البيزنطى جستين الأول امبراطور الدولة البيزنطية ١٨ه — ٥٢٧ م بحركة اضطهاد واسعة ضد الأريوسيين أدت الى تعذيبهم ومصادرة كنائسهم ، الأمر الذى جعل ثيودريك يرسل بعثة برياسة البابا حنا الأول سنة ٥٢٥ م الى الامبراطور البيزنطى للعدول عن سياسته[٥٨] .

ولكن هذه البعثة البابوية لم تحقق الغرض منها ، لذلك قرر ثيودريك الانتقام ، وأن ينتهج نفس السياسة التى انتهجها البيزنطيون مع الاريوسيين بالنسبة للكاثوليك ، لذلك قرر حظر ممارسة العقيدة

---

(٥٧) جيبسون ، ص ٣٧٧ .

(٥٨) ماشور : اوربا ، ص ٣١ .

الكاثوليكية بعد يوم معين .. وهكذا أدى تعصب رعايا ثيودريك وتعصب أعدائه الى دفع أكثر الملوك تسامحا الى الاضطهاد[٥٩] .

ولعل هذا الاضطهاد امتد ليشمل أهم الشخصيات التى أولاها ثيودريك حبه وعنايته ومنهم بوثيوس الذى أعدمه ثيودريك أولا لأنه شعر أن مسلك ثيودريك وسياسته هذه جعلت الاحرار عبيدا وثانيا لأن بوثيوس وقف مدافعا عن عضو السناتو البينوس الذى حكم عليه بناء على الظن بأنه كان يأمل فى أن تحصل روما على حريتها من القوط ، وثالثا لأن هناك ثلاثة شهود زور قد شهدوا أن البينوس وبوثيوس اشتركا سويا فى تحرير خطاب يطلبان فيه من ثيودريك أن ينقذ ايطاليا من القوط لذلك تم سجن بوثيوس فى قلعة بافيا حتى تم شنقه بناء على أوامر ثيودريك[٦٠] . ولم يلبث أن سجن البابا حنا الأول أيضا . ولحق ببوثيوس ولقى مصيره .

القوط الشرقيون بعد وفاة ثيودريك :

لا شك أن نهاية عصر ثيودريك كما أوضحنا شهدت اختلافا بينا عن بدايته ، لذلك بدأ العار يلحق بالقوط وحكمهم اذ ما لبث أن توفى ثيودريك تاركا هذه المملكة وسط هذه المشاكل والصراعات الدينية التى أصابتها ، وقد تولت ابنته أمالاسونثا الوصاية على ابنها اتالاريك Atalaric البالغ عشر سنوات[٦١] والذى تولى العرش عقب وفاة جده ، وتمخض حكم المرأة عن مشاكل ما لبثت أن عجلت بانهيار نظام ثيودريك ، فان تربيتها الرومانية جعلت المقاتلين القوط يرتابون فى أمرها

---

(٥٩) جيبون ، ص ٣٨١ .
(٦٠) نفسه ، ص ٣٨٥ — ٣٨٧ .
عفاف صبره : شارلمان ، ص ٣٢ .
(٦١) عفاف صبره : شارلمان ، ص ٣٢ .

على حين أن بيزنطه استخدمتها اداة والعوبة فى سياستها الامبراطورية[٦٢] .

وقد حاولت أمالا سونثا التفاوض مع جستنيان سرا من أجل تسليمه دفة الحكم فى ايطاليا بعد أن عجزت عن تحقيق أهدافها فى الاحتفاظ بالعرش ، لذلك خرج عليها قادة القوط وتمكنوا من قتلها .

لذلك اتخذ جستنيان من هذه الحادثه ذريعة للتدخل فى شئون ايطاليا ومحاولة اعاده هيبة الامبراطورية البيزنطية واعادة البحر المتوسط بحيرة رومانية ، لذلك أعد جيشا امبراطوريا جعل على قيادته خيرة جنده وهو القائد بليزاريوس الذى كان مثلا أعلى للجندى المحترف ، فتوجه الى صقلية التى ما لبثت أن سقطت ثم توجه الى داخل ايطاليا فوجدت قواته مقاومة طويلة من القوط وظل القتال محتد ما بين الجانبين البيزنطى والقوطى والرومان حتى سقطت رافنا عاصمة القوط سنة ٥٤٠ م[٦٣] .

ولعل التفاصيل التى سترد فى ثنايا الكتاب الخاص بالحروب .. القوطية والتى سنقوم بعرض ترجمته توضح كيف يجول بنا بروكوبيوس فى تفاصيل دقيقة جدا مع احداث هذه الحملات التى سيوجهها جستنيان ناحية القوط .

ولقد قمت على ترجمة الجزأين اللذين قلم بترجمتهما عن اللغة اليونانية الاستاذ هنرى ديونج H. Dewing وهذان الجزآن يضمان الكتب من الخامس الى السابع عن تاريخ الحروب القوطية فقط .

---

(٦٢) موس ، ص ١٧٧ .

(٦٣) ملك صبره ، ص ٣٣ .

Hodgkin Italy and Her Invader 706m Vol I. p. 41.

لذلك رأيت أن يخرج مؤلفي بنفس الصورة التي خرجت بها الترجمة الانجليزية أي في جزأين .. الأول وهو الذي بين أيدينا .. حوى الكتاب الخامس ونصف السادس .. والجزء الثاني يحوى باقي الكتاب السادس والكتاب السابع باكمله حتى عام ٥٤٩ م من الحروب القوطية .

ولابد لي الآن من أن أعطي ملخصا بسيطا للنقاط التي أوردها روكوبيوس في هذا الجزء الأول ؛ فقد تناول فيه قيام اودواكر الجرماني عزل اوغسطولوس وما قام به الامبراطور البيزنطي زينون من دفع القوط الشرقيين الى ايطاليا بزعامة ثيودريك ويستطرد بروكوبيوس في وصف رحلة القوط من الأراضي البيزنطية الى ايطاليا .

ويبدأ بروكوبيوس في تصوير الصراع الدائر بين اودواكر الجرماني وثيودريك حول مدينه رافنا ما يقرب من ثلاث سنوات انتهت بمقتل أودواكر عندما تاكد ثيودريك أنه يتامر عليه . وبعدها تم تنصيب ثيودريك ملكا على مملكة القوط الشرقيين الا انه رفض أن يلبس اللباس الارجواني الامبراطوري وانما اكتفى بلقب ملك .

وقد أوجز بروكوبيوس كثيرا في كلامه عن عصر ثيودريك حتى انه بين انه حكم سبعا وثلاثين عاما وتوفى سنة ٥٢٦ م ونراه بعد ذلك يذكر بعضا من أعمال ثيودريك مثل اعدامه لسيماخوس وبيؤسيوس وذلك بسبب الوشايات التي قام بها الناس ضدهم عند ثيودريك ، ثم انتقل الى تولية الصبي اتالاريك Atalaric حفيد ثيودريك السلطة تحت وصاية امه امالاسونثا Amalasuntha ابنة ثيودريك ثم بدأ يوضح كيف عاملت امالاسونثا القوط واعادت أملاك بيؤسيوس وسيماخوس الى أصحابها الا أن القوط لم يحمدوا لها ذلك بل تآمروا عليها وبداوا يتخذون من الشخصيات التي تقوم على تربية ابنها سببا لثورتهم ، فقد رفضوا أن يقوم على تربيته رجال كبار في السن ، ورفضوا اهتمامها

بتعليمه ، فوافقتهم وعهدت الى بعض حديثى السن أن يقوموا على تربيته .. فأفسدوه ولم يصبح قادرا على تحمل مسئولية شعبه لذلك ضعفت بنيته وضعف عقله وما لبث أن توفى .

لذلك فكرت امالاسونثا فى أن تعهد بالسلطة الى ابن اخت ثيودريك المدعو ثيوداتس Theodatus على أن يكون طيعا لها ويفتح لها المجال لأن تمارس سلطاتها السياسية من خلال وجوده لأنها كانت طامعة شخصيا فى العرش الا أن ثيوداتس لم يصدق ظنها فبعد تعيينه انضم الى القوط ضد امالاسونثا ، لذلك أرسلت امالاسونثا بعثة الى الامبراطور البيزنطى جستنيان تعرض عليه تسلم حكم ايطاليا .. الا أن ثيوداتس عندما علم بأخبار هذه البعثة قبض على امالاسونثا ونفاها الى جزيرة فلزينا حيث قاموا بقتلها فيما بعد .

لذلك وبعد أن علم جستنيان بهذه التفصيلات أمر على محاربة القوط واجلائهم عن ايطاليا وكان ذلك فى العلم التاسع من حكمه فعهد الى قائده بليزاريوس الذى كان قد انتصر على الملك جيليمر ملك الوندال — فأمره بالاتجاه صوب ايطاليا . وطلب منه الا يبين لجيشه الجهة التى سيقصدها وانما يظهر لهم انهم متجهون صوب قرطاجة ، ثم بعد أن أخذوا طريقهم بين لهم انهم متجهون نحو صقلية .

وقد قام بليزاريوس بمراسلة الفرنج علّه يجد عونا منهم ، وقد نجح بجهوده وجهود جيشه فى الاستيلاء على صقلية ومدنها ، وعقد اتفاقية بذلك مع ثيوداتس حتى أنهم منحوه بعض الاقطاعات .

بعد ذلك اتجه بليزاريوس بناء على رواية بروكوبيوش — الى ايطاليا وقد اتجه فى علمه الأول الى ابيداروس ودالمشيا وهناك قاتل القوط كالأعداء .

اتجه بعد ذلك الى نابلى التى استعصت عليه فترة طويلة واستخدم معها جميع الخدع الحربية حتى تمكن من اسقاطها واحباط جهود القوط وزعيمهم ثيوداتس فى مد يد العون للمحاصرين فى قلب نابلى •

وما أن دخل بليزاريوس نابلى حتى احسن معاملة أهلها حتى انه عاقب كثيرا من جنوده الذين سمع انهم اساءوا الى أهل البلاد • وهنا بدأ الاتجاه ناحية روما وهى مقر البابوية فى الوقت الذى فقد فيه أهلها الثقة فى ثيوداتس لتقاعسه عن نجدة أهل نابلى ، فبدأوا فى انتظار مصيرهم المحتوم ، ولذلك قرروا خلع ثيوداتس ، وتعيين أحد القادة القوط المدعو فيتيجيس Vittigis الذى اشتهر أثناء حروبهم فى سيرميوم • وقد أمر فيتيجيس بالقبض على ثيوداتس وتم قتله على يد أحد رجال القوط يدعى اوبراتس Oprates فى ديسمبر ٥٣٦ م • واستعد فيتيجيس لمواجهة البيزنطيين فحاول الاتجاه نحو روما أولا الا أنه عندما تأكد من عدم تمكنه من ذلك رأى أن يتجه صوب رافنا •

وقد حاول بروكوبيوس هنا أن يؤكد على أن فيتيجيس القوطى كان على عداء أيضا مع مملكة الفرنج فى غالة وان عداءه لهم لا يقل عن عدائه للبيزنطيين ، وبدأ يستثير جنوده ويحثهم على القتال كما حث الرومان ورجال الدولة وذكرهم بأيام ثيودريك وتركه فى روما حامية قوطية لتحرسها تحت قيادة ليدريس Ludris وتزوج من ابنة امالاسونثا « ماتاسونثا » حتى يؤمن حكمه ، ويكسب لنفسه شرعية على حكم القوط •

عندئذ انتقل بروكوبيوس من هذه الأحداث الى سرد طويل عن تاريخ دولة الفرنج مما أدى الى قطع الأحداث ، كما قدم دراسة جغرافية لمناطق أوربا الا أنها تفتقر الى الدقة — كما عرض لجميع القبائل الرومانية التى استوطنت أوربا وعرض لعلاقة ثيودريك بهم ، وكيف أنه تزاوج هو وشعبه منهم ، وبدأ فى تحديد العلاقة بين الفرنج

والقوط ، وعلاقة القوط الشرقيين بدولتي القوط الغربيين والفرنج .. ثم بدأ يوضح أسباب عداء فيتيجيس للفرنج — من أجل عدم الاعتداء عليهم أثناء مواجهتهم للقوات البيزنطية الا أن بليزاريوس أثناء قيام فيتيجس بمفاوضة الفرنج اتجه الى روما تاركا حامية عسكرية في قلب نابلي .

وقد كان لخوف أهل روما من الرومان من المصير المجهول أن قاموا بالاتصال ببليزاريوس من أجل تسليم مدينتهم اليه ، فانهارت معنويات القوط ، لذلك انسحبوا من المدينة تاركين الفرصة لبليزاريوس ليضمها الى حوزة الامبراطور جستنيان في عام حكمه الحادي عشر سنة ٥٣٦ م .

والواضح أن بروكوبيوس هنا وهو يتصدى لاتجاه بليزاريوس الى مدن وسط ايطاليا يستطرد كثيرا في ذكر تاريخها وسبب تسميتها والذين قاموا على بنائها فيخرج بذلك عن الأحداث الحربية الهمة . وقد نجح بليزاريوس بناء على رواية بروكوبيوس في فتح المنطقة الممتدة من خليج ايونيا حتى روما وبدأ يشرح جميع الأقوام التي تسكن حول روما .

وقد قام فيتيجيس بالتصدي لهذه الهجمات وعين قوادا على جيشه القوطي أهمهم بيزاس واونيلاس ، حيث تلاقوا مع جيوش الرومان الا انهم هزموا وتم اعتقالهم الى بليزاريوس ، وقد حاول فيتيجيس أن يتوجه الى سالوني لكن أهلها من الرومان منعوهم عنها ، كما أن القوات البيزنطية هزمتهم فاضطروا الى الانسحاب عنها .

الا أن فيتيجيس لم يستسلم بل أصر على ضرورة مواجهة البيزنطيين واستعادة روما حتى أن قصة هذا الصراع بين القوتين أسهب فيها بروكوبيوس اسهابا كبيرا فوصف هذا الصراع دقيقة فدقيقة ولحظة فلحظة .. فبدأ بوصف أسوار روما وتاريخها ومنعتها ، وغلب على رواياته الاهتمام بالنبوءات التي لجأ اليها كل من القوط والرومان لتحديد الجبهة المنتصرة . كما أوضح بروكوبيوس ما بينه بليزاريوس للقوط ، بانهم باستعادتهم روما يكونون قد أعادوا حقا

مسلوبا الى اصحابه لذلك قرر فيتيجيس تغيير خطته الحربية التى اغفلها بروكوبيوس فى وصفها ووصف جميع الآلات التى جهزها للقتال وموقف بليزاريوس الذى سخر من كل هذه الاستعدادات حتى انه خلا توالت انتصاراته عليهم .

وقد قرر بليزاريوس أن يبلغ الامبراطور جستنيان بتطورات الحرب حتى يكون على بينة من الجهد الذى يبذلونه ويعلمه بمدى النصر الذى حققوه وما لاقوه من مشاق فى سبيل تحقيق ذلك .

وقد حقق القوط فى هذه الآونة انتصارا بسيطا اذ تم استيلائهم على ميناء بورتس .

أما عن البيزنطيين فقد بدأ جستنيان يضم الى جانبه كثيرا من العناصر المرتزقة من الهون وغيرهم من الجرمان والايزوريين والمغاربة وبدأ بروكوبيوس يستعرض كثيرا من الخطب والمقالات التى كانت ترد على ألسنة قادة القوط والبيزنطيين .

وقد بدأ التلاحم بين البيزنطيين حول سهل نيرون فى روما وهو السهل الذى استغرق القتال حوله زمنا طويلا ، وعند هذه الأحداث يبدأ بروكوبيوس كتابه السادس .

وفي هذه الأثناء وصل جيش ضخم من بيزنطة معظمه من الأيزوريين . وقد أوقع بليزاريوس هجوما مفاجئا على القوط مما دفع القوط الى الرحيل عن روما نتيجة عجزهم ورغبتهم في التفاوض . وبدأ الطرفان يشرحان وجهة نظرهما في قضية امتلاك القوط لايطاليا . كما سبق أن أوضحت .

وقد تقرر اتفاق بين الطرفين الا أن بليزاريوس لم يرغب في تنفيذه الا بعد عرضه على الامبراطور جستنيان لأنه لم يكن له حق اتخاذ القرار الا بعد الرجوع الى الامبراطور .. ومن ناحية المفاوضين فقد واتفقوا مبدئيا على الهدنة وقدم كل منهما رهائن للآخر منتظرين وصول الرد الامبراطوري .. الا أن البيزنطيين نقضوا الهدنة وبدأو يتعرضون للقوط .

وقد حدث نزاع في هذه الأونة بين بليزاريوس وقائده المطلعيوس أمام بروكوبيوس كاتبا في شرحه ، ثم دخيل في

موضوعات جانبية عديدة حدثت لشخصيات عامة من القوط والرومان ووضح فى سرده المدح والثناء الدائمين على سيده بليزاريوس •

وقد أوضح بروكوبيوس بعد ذلك أن القوط عندما تعرضوا لأذى البيزنطيين ونقضهم للهدنة بدأوا يجددون الاغارة على روما الا أن المحاولات ذهبت هباء •

لذلك تحرك الرومان ناحية المدن المحيطة برافنا مثل ارمنيوم •• وقتلوا أعدادا كبيرة من القوط ، فتحرك القوط الى هذه المدينة وبدأ فى تقديم وصف مسهب لجميع المدن والقلاع التى يجتازها الجيشان الرومانى والقوطى فى منطقة بيسنوم أى المناطق المحيطة برافنا ، ويشرح خطط الرومان التى أعجزت القوط •

وبعدها بدأت اشتباكات بين القوط والرومان عند بافيا فى هذه الآونة اضطر فيتيجبس مرغما أن يتصل بالملك ثيوديرت ملك الفرنجة ليرسل اليهم النجدات لذلك بعث اليهم بعشرة آلاف مقاتل ، لم يكونوا من الفرنج وانما من البرجنديين حتى لا يظهر انه يعادى الامبراطور البيزنطى واتجهوا مع القوط الى ميلانو • وفى هذه الآونة أرسل الامبراطور جستنيان القائد نارسيس « الذى سيلمع نجمه فيما بعد » ومعه آلاف الجنود البيزنطين ومعهم المرتزقة من شعب الايرولى « الهيرولى » •

وهنا انتقل بروكوبيوس من شرح سبب قدوم نارسيس الى : التعريف بقبائل الايروليين وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وهجراتهم وبداية اتصالهم بالامبراطورية البيزنطية •• فنجد كثيرا من التفصيلات التى بعدت عن مسار الأحداث •

وأنهى بروكوبيوس هذا الجزء بكلامه عن شعب الايرولى •• أما عن مصير الحروب القوطية ونهايتها فهذا ما سيكون موضوع الجزء

الثانى من كتب الحروب القوطية الذى سيلى هذا الجزء بإذن الله تعالى .

وأخيرا أتمنى من الله عز وجل أن أكون قد أمدت المكتبة العربية فى حقل تاريخ العصور الوسطى بمصدر هام من مصادر هذه الفترة يضيف الى رصيدها كنزا من الكنوز الغربية وذلك لنفتح أمام الدارسين العرب المجال فى وجود مادة خصبة يستفيدون منها فى أبحاثهم فى تاريخ العصور الوسطى ولا ننسى فى هذه العجالة أن نقدم الشكر للعالم الاستاذ هنرى ديونج H. Dewing الذى سهل أمامنا هذا العمل حينما قام بنقل هذا التراث العلمى الضخم من اليونانية القديمة الى الانجليزية.

والله سبحانه وتعالى أسأل أن يوفقنا جميعا الى خدمة العلم وأن يهدينا سواء السبيل فهو نعم المولى ونعم النصير .

بسم الله الرحمن الرحيم

« وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين » .

صدق الله العظيم

(آل عمران ١٤٧)

مكة المكرمة ١٤٠٧ هـ

بروكوبيوس القيصرى

تاريخ الحروب : الكتاب الخامس

الحروب القوطية

(١)

هكذا كان مصير الرومان فى ليبيا[1] ، وسوف أواصل الآن الحديث عن الحرب القوطية بداية بما حل بالقوط والايطاليين قبل هذه الحرب .

حوليات من ٤٧٤ م — ٤٩١ م . خلال عهد زينون[2] فى بيزنطة كان أوغسطس Augustus يتولى السلطة فى الغرب . وتعود الرومان على اطلاق صيغة التصغير عليه باسم اوغسطولوس Augustolos ذلك لأنه تولى سلطة الامبراطورية وهو لا يزال صبيا ، حيث ان الده أوريستس Orestes كان يعتبره وصيا على العرش وحدث قبل وقت وجيز أن حث الرومان السكيرى والآلانى ودول قوطية أخرى ، على تشكيل حلف معهم . ومنذ ذلك الحين كان قدرهم أن يعانوا من هذه الأشياء التى تم سردها فى القصة السابقة على يد آلاريك

---

(١) يقصد بذلك الحروب ضد الوندال فى شمال افريقيا والتى خاضها القائد بليزاريوس « المترجمة » .

(٢) تولى الامبراطور زينون العرش البيزنطى من ٤٧٤ — ٤٩١ م . (المترجمة)

وآتيــلا(٣) . وبقدر ما أصبح العنصر البربرى قويا بينهم تضــاءلت هيبة الجنود الرومان ، وتحت اسم التحالف ذى الصورة الحســـنة اضطهدوا أكثر فأكثر بواسطة الدخلاء كان يفرض البرابرة اجراءات أخرى كثيرة على الرومان ضد ارادتهم — ٣١ يوليو ٧٤٥ م — . وفى نهــاية الأمر طالبوهم بأن يتقاسموا معهم أرض ايطاليا بأكملها . وبالفعــل أمروا أوريستس باعطائهم الجزء الثالث من هذه الأرض . وحين أبى الموافقة على هذا الفعل ، بادروا بقتله — ٢٨ يوليــو ٤٧٦ م — وكان يتواجد رجل بين الرومان يدعى أودواكر Odoacer (٤) . وهو أحــد حراس الامبراطور ، ووافق فى ذلك الوقت على تنفيذ أمرهم بشرط أن يتبوأ العرش . وحين تولى السلطة العليا على هذا المنوال — ٢٣ يوليو ٤٧٦ م — لم يصب الامبراطور أذى ، وسمح له بالعيش فيما بعد كمواطن خاص وبفضل تسليم الجزء الثالث من الأرض الى البرابرة واكتسابه ولاءهم على هذا المنوال وبطريقة أكثر ثباتا تولى السلطة العليا بطريقة راسخة لمدة عشر سنوات .

وفى ذلك الوقت على وجه التقريب قام القوط أيضا — الذين كانوا يقطنون فى تراقيا بموافقة من الامبراطور — بثورة مسلحة على الرومان بزعامة ثيودريك Theoderic ، وهو رجل من طبقة النبلاء نال المنصب

---

(٣) الريك هو ملك القوط الغربيين وقد قام بغزو مقدونيا وتساليا واقتحم اثينا ، ونهب كورنثه والقسطنطينية ثم وصل الى روما التى نهبت على يد القوط وتوفى الريك سنة ٤١٠ م ، أما اتيلا فقد كان زعيما للهون الذين خربوا الشرق واوربا ونهبوا مدنهم ، ولكنه هزم على يد قوات الحلفاء عند شالون ٤٥١م ، عن ذلك انظر :
(المترجمة)

Vasiliev A-History of the Byzantine empire.

سعيد عاشور : اوربا فى العصور الوسطى ، جـ ١ .

Cam- Med. Hist. V I. I.

(٤) قام ثيودريك بهزيمة اودواكر فى رافنا سنة ٤٨٩ ومحاصرة ٤٩٢ م وقتل فى نفس العام — وقد حكم ثيودريك ما يقرب من ثلاثين عاما . (المترجمة)

القنصلى فى بيزنطة • ولكن الامبراطور زينون الذى كان يعرف كيف يسوى أية حالة لمنفعته الشخصية ، نصح ثيودريك بالمضى الى ايطاليا ومهاجمة أودواكر حتى يتيسر له ولقوط السيادة على المنطقة الغربية ذلك لأنه كان أفضل له — كما قال — اخراج المغتصب عنوة ، وأن يكون الحاكم على جميع الرومان والايطاليين بدلا من تعريض نفسه لخطر صراع حاسم مع الامبراطور • سيما وأنه كان قد نال المنصب السناتورى الرفيع •

واستحسن ثيودريك هذا الاقتراح وذهب الى ايطاليا وأعقبه الجيش القوطى • ووضعوا النساء والأطفال والأمتعة الشخصية فى عربات الشحن بقدر ما تيسر لهم • وعندما اقتربوا من خليج أيونيا تعذر عليهم عبوره حيث لم يكن لديهم سفن لهذا الغرض • وعليه قاموا بالرحلة حول الخليج متقدمين من خلال أرض التولانتى(٥) والبلاد الأخرى فى هذه المنطقة وقابلتهم قوات أودواكر — ٤٠ م — فى هذا المكان ، ولكن بعد أن هزموا فى معارك كثيرة ، انحصروا مع زعيمهم فى رافينا ومدن أخرى كانت تتميز بالقوة • وضرب القوط الحصار على هذه الأماكن وأسروا الجميع بطريقة أو بأخرى ، وتصادف هذا فى كل الحالات باستثناء أنه تعذر عليهم الاستيلاء على قلعة كايسينا Caesiena التى تبعد عن رافينا بثلاثمائة وحدة اغريقية من وحدات الطول — وذلك اما بالاستسلام أو بهجوم خاطف على رافينا ذاتها حيث تصادف وجود أودواكر ، ذلك لأن مدينة رافينا تقع على سهل منبسط فى طرف الخليج الأيونى التى تقل مسافتها عن وحدتين اغريقيتين من وحدات الطول ، لتطل على البحر وتقع على طريق يصعب الاقتراب منه سواء بالسفن أو بجيش من المشاة ولا تستطيع السفن الرسو على الشاطىء لأن البحر ذاته يحول دون ذلك وعلى كل فان الشاطىء فى رافينا — رغم

---

(٥) التولانتى احدى القبائل الجرمانية التى غزت ايطاليا .   (المترجمة)

لنه ليس ببعيد فى نظر البحارة — الا انه حقيقة بعيد جدا بسبب الماء الضحل ، ولذلك يصعب على جيش من المشاة الاقتراب منه • كما أن نهر البو المسمى أيضا الأيريدانوس الذى ينساب عبر رافينا قادما من حدود الكيلتيكا وأنهارا أخرى صالحة للملاحة مع بعض المستنقعات تحيطها من جميع الجوانب ، ومن ثم فان المدينة مطوقة بالماء • ويحدث شىء مدهش فى هذا المكان يوميا • ففى الصباح الباكر يشكل البحر نهرا يدنو من الأرض لمسافة رحلة يوم واحد نسبة للمسافر الغير مثقل بالأمتعة ويصير صالحا للملاحة فى وسط الجزء الرئيسى ثم يعود فى ساعات ما بعد الظهر المتأخرة ويتسبب فى زوال الخليج الصغير • لذلك يضع جميع الناس الذين ينبغى عليهم نقل امداداتهم داخل المدينة أو نقلها من هذا المكان للتجارة أو لأى سبب آخر شحناتهم فى قوارب ويسحبونها الى المكان الذى يتشكل فيه الخليج الصغير بصفة منتظمة حيث ينتظرون تدفق الماء الى الداخل • وعندما يحدث ذلك ترفع القوارب بالتدريج من الأرض وتطفو والبحارة عليها ليبدأوا العمل وحينئذ يرتادون البحار • وهذا المكان ليس المكان الوحيد الذى يحدث فيه مثل هذه الظاهرة وانما يحدث ذلك بانتظام على طول الساحل بأسره فى هذه المنطقة وحتى مدينة آكويليا(٦) • وهذه الظاهرة لا تحدث بانتظام وبنفس الطريقة ، ولكن عندما يكون ضوء القمر باهتا فهناك حركة مد ، وابتداء من أول نصف القمر الى ثانيه يكون هناك حركة جزر •

وحينما تمضى القوط وثيودريك السنة الثالثة فى حصارهم لرافينا اتفق القوط الذين أرهقهم الحصار ، وكذا اتباع أودواكر الذين أصيبوا

بأعباء نتيجة نقص الامدادات ، فيما بينهم من خلال وساطة أسقف رافينا حتى أن يقيم كل من ثيودريك وأودواكر في رافينا على قدم المساواة ، وقد راعوا الاتفاق لبعض الوقت ، ولكن عندما ضبط ثيودريك أودواكر بعد ذلك كما قالوا — وهو يتآمر ضده بدعوه الى مأدبة بغرض الغدر به وقتله ، وبعد أن اكتسب تبعية البرابرة الأعداء الذين نصادف بقاؤهم قدم بنفسه بضمان السيادة على كل من القوط والايطاليين .

ورغم أنه لم يطالب بحقه في اللباس الامبراطوري أو التسمي باسم امبراطور الرومان فانه أطلق عليه اسم « ملك » حتى نهاية حياته (ذلك لأن البرابرة تعودوا على تسمية زعمائهم على هذا المنوال) ، غير أنه بممارسة حكمه على رعاياه أنفسهم . فقد أعطى لنفسه جميع الصفات التي ترجع الى امبراطور أصيل المولد ، وكان شديد العناية بمراعاة العدالة وقد حافظ على القوانين على أساس من الضمان المأمون ، وقام بالزود عن الأرض وأمنها ضد البرابرة الذين كانوا يقطنون حولهم ، وقد بلغ أكبر درجة ممكنة من الحكمة والرجولة ، ولم يرتكب هو بذاته الا نادرا — أى فعل ينطوى على الظلم ضد أتباعه ، ولم يتحمل قط مثل هذا السلوك من جانب أى شخص آخر عدا ما فعله القوط عندما اقتسموا فيما بينهم نصيب الأراضى التى كان أودوكر قد أعطاها لاتباعه ، ورغم أن ثيودريك كان بالتسمية مغتصبا ، الا أنه كان امبراطورا أسوة بأى شخص آخر نبغ فى هذا المنصب منذ البداية[٧] .

وأصبح الحب الذى يكنه له كل من القوط والايطاليين كبيرا وذلك على النقيض مما كان مألوفا ، ذلك لأن التفضيل بين الرجال فى أية دولة من الدول يرجع الى أهميتهم لها الأمر الذى يدل على أن الحكم القائم

---

(٧) أجمعت معظم المصادر الاوربية على أن ثيودريك دخل الامبراطورية الرومانية صديقا لا عدوا ، وأن ايطاليا تمتعت فى عهده بحكومة قوية حازمة سارت وفق الأساليب والنظم الرومانية . (المترجمة) . انظر :
Lot «The end of the Ancient world» p. 241.

نى فى الوقت الراهن من يجـدون فى أفعاله مصـالح متبادلة ،
ته يسيء الى الذين يكون تقديرهم متناقضا مع الحاكم • غـير أن
دريك حتم لمدة ٣٧ سنة ، وعندما توفى — ٥٢٦ م — لم يكن قد جعل
نفسه ارهابيا بالنسبة لجميع أعدائه ولكنه أيضا ترك ضمن أتبـاعه
سـاسـا عميقا بفقدان عزيز ، وقد توفى على الشكل التالى •

كان سيماكوس Symmachus وصهره بيؤسيوس Boetius
بال من أصل رفيع وقديم ، وكان كلاهما من رجال الزعامة فى مجلس
شيوخ وتوليا منصب القنصلية • ولكن نظرا لأنهما مارسا الفلسفة ،
كانا يهتمان بالعدالة بأسلوب يتفوق على أى رجال آخرين ، ويقـومان
لتخفيف من عوز كل المواطنين والأغراب بمنحهم عطايا سـخية من
نقود ، لذلك فقد نالا الشهرة • الأمر الذى أدى الى أن رجال وضيعى
أصل حسدوهما • ومثل هؤلاء الأشخاص افتروا عليهما أمام ثيودريك
حيث انه تأكد تأكدا راسخا من هذه الافتراءات ، فقد أعدمهما على أساس
مما كانا يعدان العدة لشن حركة من التمرد[٨] • كما أنه صادر أملاكهما
سالح الخزانة العامة • وبعد مضى بضعة أيام قام الخدم بوضع رأس
سمكة كبيرة أمامه بينما كان يتناول الغداء وقد خيل هذا لثيودريك بمثابة
رأس سيماكوس المذبوحة حديثا • وبدأ هذا فى صورة حقيقية بأسنان
السمكة الموضوعة فى شفتها السفلى وعينيها الموجهتين صوبة بحملقـة
تجهمة وماجنة فقد كانت شبيهة الى حد كبير بشخص يهدده • وقد ظهر

---

(٨) يرجع المؤرخون سبب اعدام بيؤسيوس الى الاضطهادات الدينية التى مارسها الامبراطور البيزنطى جستنين الاول ضد الأريوسين وقيام ثيودريك بحركة اضطهاد واسعة ضد الكنيسة الكاثوليكية فى ايطاليـا ، ولم ينج من هذه الموجة الفيلسوف بيوسيوس الذى اعدم بلا ذنب سنة ٥٢٥ م

(المترجمة)

انظر د. سعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى .

Deanesly A. History of Medievale Europe.

الفزع عليه الى حد كبير أمام هذه الأعجوبة ، وارتجف خــوفا . ثم انسحب الى غرفته الخاصة وأمرهم بوضع أغطية كثيرة عليه حتى بات هدئا ، ولكنه برح بعد ذلك لطبيبة ألبيديوس Elpidius بكل ما حدث ويكى على الاثم الذى ارتكبه فى حق سيماكوس وبيؤسيوس • وبعد أن ندم وتألم الى أبعد حد توفى بعد فترة ليست بطويلة بعد ذلك • وكان هذا أول وآخر فعل ارتكبه مع اتباعه جورا ويرجع السبب فى ذلك الى انه لم يكن قد أجرى تحقيقا دقيقا كما اعتاد قبل اصدار حكمه على الرجلين •

(٢)

وبعد وفاته تولى آتالاريك Atalaric ابن بنت ثيودريك — المملكة وكان قد بلغ الثامنة من عمره — ٥٢٦ م — وتم تربيته تحت رعاية والدته آمالاسونثا Amalasuntha ذلك لأن أباه سبق له أن رحل مع الرجال بعد أن تولى الامبراطور جستنيان السلطة الامبراطورية فى بيزنطة — ٥٢٧م — بفترة وجيزة • والآن تقوم آمالا سونثا بوصفها وصية على ابنها بادارة الحكم واثبتت انها موهوبة بصفات الحكمة وحريصة على العدالة الى أعلى درجة حيث أبرزت صفات الطابع الرجولى الى حد كبير •

وطوال توليها رئاسة الحكم ، لم تفرض عقابا على رومانى واحد فى اى حالة من الحالات سواء بالمساس بشخصه أو بفرض غرامة عليه ، وفضلا عن ذلك فلم تستسلم للقوط فى رغبتهم الحمقاء لكى تسىء اليهم ، ولكنها أعادت الى أبناء سيماكوس وبيؤسيوس أملاك والديهما • وأرادت امالاسونثا أن تجعل ابنها شبيها بالأمراء الرومان فى أسلوب حياته • ولذلك أجبرته على الذهاب الى مدرس متخصص فى الآداب • واختارت ثلاثة من رجال القوط الشيوخ الذين كانت تثق فيهم لتميزهم بصفات الحرص على الآخرين والدماثة وأمرتهم بالعيش مع أتالاريك •

ولكن القوط لم يرضوا بهذا بأى حال من الأحوال لأنه بسبب رغبتهم فى الاساءة الى رعاياهم . ارادوا أن يحكمهم أتالاريك بقدر أكبر من الأسلوب البربرى . وقد حدث أن ضبطت الأم الصبى يرتكب اثما فى غرفته ولذلك قامت بمعاقبته فذهب وهو يبكى الى غرف الرجال . وثار على هذا الموقف بعض رجال القوط الذين قابلوه ، وبعد أن لعنوا أمالاسونثا أصروا على أنها أرادت أن تخرج الصبى من هذا العالم بأسرع ما يمكن «تقتله» حتى تتمكن من الزواج من زوج ثان ومعه تفرض حكمها على القوط والايطاليين . وتجمع جميع الرجال البارزين وتقدموا أمام امالاسونثا واتهموها بأن ملكهم لم ينل التربية الصحيحة — من وجهة نظرهم — ولم تكن هذه التربية حتى فى صالحه . وقالوا ان الآداب بعيدة كل البعد عن الرجولة وتربية الرجال المتقدمين فى العمر لا تؤدى غالبا الا الى روح جبانة وراضخة . لذلك ينبغى على الرجل الذى يبرز صفات الجرأة فى أى عمل وتكون سمعته طيبة ، ألا يكون خجولا كما يوحى به المدرسون ، وأن ينال تدريبه على الأسلحة وأضافوا أن ثيودريك لم يسمح قط لأى واحد من القوط بارسال أولاده الى المدرسة ذلك لأنه اعتاد أن يقول لهم انه اذا ما انتابهم خوف السوط فانهم سوف لا يجدون العزم أبدا بل سيجدون دائما احتقار السيف أو الرمح وطالبوها بأن تفكر فى أن والدها ثيودريك كان سيد اقليمه بأكمله قبل مماته وكان قد منح لنفسه مملكة لم تكن حقا له ، مع انه لم يسمع شيئا عن الآداب . « لذلك يا ملكة » هل تختارين بعض الرجال لأتالاريك يكونون من نفس سنه حتى يكونوا رفقاءه ويقضون معه فترة شبابه وهكذا يعطون له القوة الدائمة المتمشية مع عادات البرابرة .

وعندما سمعت أمالاسونثا هذا — ولو أنها لم تتفق على هذا الكلام بالاضافة الى خوفها من مؤامرة هؤلاء الرجال — تظاهرت باستحسان كلامهم ، لذلك استجابت لأى طلب تقدم به البرابرة اليها . وحينما ترك الرجال المسنون أتالاريك لتتيح له فرصة الاختلاط ببعض

الصبية الذين كان ينبغى عليهم أن يشاركوه حياته اليوميـــة ، وهؤلاء الصبية لم يبلغوا مبلغ الرجولة ولكنهم كانوا متقدمين عليه قليلا فى العمر وبمجرد أن بلغ الحلم قام هؤلاء الصبيان باغرائه بالسكر ومضاجعة النساء ومن ثم أفسدوا أخلاقه وانتابته غباوة لدرجة انه عزف عن اتباع نصائح أمه .

ونتيجة لذلك فقد رفض مطلقا أن يدافع عن دعاواها رغـــم أن البرابرة تحالفوا علنا ضدها وأمروا المرأة بكل جـــرأة أن تنسحب من القصر ولكن لم تبد أمالاسونثا أى خوف ولم تخش مؤامرة القوط . كما أنها لم تستسلم لهم ولم تزل تظهر الهيبة اللائقة بها كملكة . فاختارت ثلاثة من الرجال من ذوى المكانة العليا من البرابرة وفى الوقت ذاته كانوا من المشاركين فى حركة العصيان ضدها . وأمرتهم بالذهاب الى حـــدود ايطاليا فرادى كل منهم بعيد قدر الامكان عن الآخر ، وبدأ الأمر جليا أن ايفاد هؤلاء الرجال كان هدفه حراسة الأرض ضد مهاجمة العـــدو . غير أن هؤلاء الرجال بمساعدة أصدقائهم وأقرانهم الذين لازالوا يتصلون بهم واصلوا رحلة طويلة لهذا الغرض ، واستمروا فى اعداد تفاصـــيل مؤامرتهم ضد امالاسونثا .

وحيث أن المرأة لم تستطع بعد تحمل مثل هذه الأمور ، فقد اتبعت الخطة التالية ، بعثت الى بيزنطة تستفسر من الامبراطور جســـتنيان عما اذا كان يريد أن تأتى أمالاسونثا ابنة ثيودريك اليه ، ذلك لأنه كان فى نيتها مغادرة ايطاليا بأسرع ما يمكن . وحيث أن الامبراطور راق له هذا العرض لذلك طلب منها القدوم ، وبعث بأوامره كى تعد أروع البيوت فى أبيدامنوس Epidemnas (٩) حتى تتمكن امالاسونثا عند قدومها

---

(٩) ابيدامنوس مدينة وميناء يعرف باسم ديراخيوم Dyrrachium وهو الاسم القديم واسمها الآن دورازو . ويقع هذا الميناء على البحـــر الادرياتى . (المترجمة) انظر : Cam - Med. Hist. vol. IV. p. 1088.

الاقامة والراحة فيها كيفما تشاء الى أن تتوجه بعد ذلك الى بيزنطة . دما علمت هذا امالاسونثا وقع اختيارها على بعض الرجال النشيطين القوط المكرسين لخدمتها على وجه الخصوص ، وأرسلتهم لكى يقتلوا ثة السابق ذكرهم اذ أنهم كانوا مسئولين فى المقام الأول عن سيان ضدها . وقامت هى بذاتها بوضع جميع ممتلكاتها بما فى ذلك ممائة « سنتيناريا »[10] من الذهب فى سفينة واحدة وبعثت بعضها هؤلاء الرجال الذين يخلصون لها ليصعدوا الى السفينة . وأمرتهم بحار الى ابيدامنوس Epidamnus وعند وصولهم هناك القوا سيهم فى مينائها . ولكن دون أن يفرغوا أية شحنة من السفينة لحين مها باصدار أوامر أخرى وقد تصرفت على هذا النحو لكى تتمكن من تاء هناك واستدعاء السفينة حالة علمها بأن ثلاثة من الرجال تم دامهم دون أن تخشى شيئا من قبل أعدائها . ولكن اذا ما نمى الى مها أن أحد الرجال بقى على قيد الحياة ففى هذه الحالة يتحتم عليها بحار دون ابطاء لايجاد الأمان لنفسها ولممتلكاتها فى أرض مبراطور . وكان هذا هو غرض امالاسونثا حين قررت ارسال السفينة ى أبيدامنوس ، وعندما وصلت السفينة الى ميناء هذه المدينة فقد ذ هؤلاء الذين كانوا يحملون النقود أوامرها . ولكن بعد فترة وجيزة عندما تم تنفيذ الاغتيالات وفقا لارادتها ، قامت أمالاسونثا باستدعاء سفينة للعودة وبما أنها بقيت فى رافينا فقد عززت حكمها وأمنته بالقدر طاوب .

(٣)

كان من بين القوط أحد الأشخاص يدعى ثيوداتوس Theodatus ن آمالافريدا Amalafrida شقيقة ثيودريك ، وكان رجلا ناضجا سليما فى الأدب اللاتينى وتعاليم افلاطون Plato ولكن دون أية

(١٠) السنتناريا : احدى العملات الذهبية السائدة فى الامبراطورية رومانية .

خبرة فى الحرب ولم يشترك فى الحياة النشيطة ولو أنه كان مولعا بصفة غير عادية بالسعى وراء المال . وكان ثيودانوس هذا قد حصل على أغلب الأراضى فى توسكانيا Tuscany (١١) وكان منتوفا لاختطاف ما تبقى منها من أصحابها مستعملا الأساليب العنيفة . وما حدث لثيودانوس لأن نوعا من سوء الحظ . فقد كانت امالا سونثا الآن تبذل جهدها لكى تكبح جماح هذه الرغبة ، وبالتالى كان فى حالة من الاستياء منها . لذلك وضع الخطة لكى يسلم توسكانيا الى الامبراطور جستنيان حتى يتسنى له قضاء بقية حياته فى بيزنطة عندما يتسلم منه مبلغا كبيرا من المال والمنصب السيناتورى الرفيع .

وبعد أن قام ثيوداتس بوضع خطته . تقدم مبعوثان من بيزنطة الى أسقف روما الرئيسى وهما هيباستيوس Hypastius أسقف افسوس(١٢) وديمتريوس Demetrius من فيليبى فى مقدونيا وذلك بغية التشاور بشأن مبدأ عقيدة جوهرية وهو مضوع خلاف وجدال بين المسيحيين بالنسبة لنقط الخلاف « ولو انى علم بها » ؛ الا أنى سوف لا أذكرها بأى حال من الأحوال ذلك لأنى اعتبرها نوعا من الغباوة فى تقصى طبيعة الرب ونوعيته ، واعتقد أن الانسان لا يستطيع ادراك الشئون الانسانية بدقة ، وبقدر أقل كثيرا بالنسبة للامور التى تتعلق بطبيعة الرب . أما بالنسبة لى فاننى سوف ألتزم الصمت حذرا فيما يختص

---

(١١) توسكانيا : اوتوسكانى Tuscany مدينة ايطالية تقع وسط ايطاليا . (المترجمة) انظر :
Setton «A. history of the Crusades» vol I.

(١٢) افسوس : مدينة قديمة فى آسيا الصغرى ــ كانت مركزا رسوليا مسيحيا هاما فى العصور الوسطى ــ حلت محلها القسطنطينية فى هذا المركز الدينى وسيطرت على جميع المناطق التابعة لافسوس . وهى الآن منطقة مهجورة . (المترجمة)
انظر :
Cam-Med. Hist. vol IV. p. 19.
ويطلق عليها ياقوت الحموى انها مدينة اهل الكهف .

مثل هذه الأمور اذ أن الغرض الوحيد هو أن المعتقدات القديمة الموقرة لا يمكن فقدان الثقة فيها .. ومن جهتي سوف لا أقول شيئا بشأن الرب باستثناء أنه طيب وله السلطة على جميع الأشياء وله السلطة العليا في هذا العالم . ونترك كل واحد يقول ما في ذهنه وما يعلم بشأن هذه الأمور سواء أكان كاهنا أم علمانيا أما بالنسبة لثيوداتس فقد قابل الذين المبعوثين سرا وأمرهما بابلاغ الامبراطور جستنيان ما كان قد خططه صارحا ما سبق لي أن بينته .

ولكن عندئذ أصيب أتالاريك ــ الذي كان قد انغمس في مرح صاخب ــ بمرض منهك ولهذا السبب أصبحت امالا سونثا في حالة من الارتباك الكبير وذلك لأنها كانت لا تثق في ولاء ابنها من ناحية في الوقت الذي تعدى فساده الحدود اللائقة ، ومن ناحية أخرى فكرت أنه في حالة ابعاد أتالاريك ضمن الرجال المبعدين فسوف تتعرض حياتها للخطر فيما بعد ، اذ أنه أساء الى أبرز الرجال القوط ولهذا السبب اتجهت رغبتها الى تسليم سلطة القوط والايطاليين الى الامبراطور جستنيان حتى تستطيع هي بذاتها الوصول الى بر الأمان وحدث أن أتى الى رافينا Ravenna الكسندر Alexander وهو رجل من مجلس الشيوخ ومعه ديمتريوس وهيباتيوس .

وعندما علم الامبراطور أن سفينة امالا سونثا رست في ميناء ابيدامنوس وأنها نفسها لا زالت تمكث فيها بالرغم من انقضاء فترة طويلة من الزمن الا أنه كان قد أوفد الكسندر للتقصي عن الأحوال وابلاغه عن الموقف بأكمله بالنسبة لأمالاسونثا . ومن المعلوم أن الامبراطور كان قد أوفد الكسندر كمبعوث لأنه انزعج الى حد كبير بسبب الأحداث في ليليبيوم(١٣) Lilybaeum وقد شرحتها في قصتي السابقة وبالاضافة الى أن عشرة من الهون Huns من الجيش في ليبيا كانوا قد هربوا

ias وبلغوا كامبانيا Campania (١٤) واستقبلهم أورلياس
الذي كان يحرس نابولى Naples بموافقـة امالاســـونث
وأيضا لأن القوط بشنهم الحرب ضد الجيبداى Gepaedes بـــ
rtiana ـ جرميوم Sirmium (١٥) كانوا قد عاملوا مدينة جراتيانا
الواقعة فى طرف ايلليريا Illyricum كمدينة معادية ، وهكذا عن ط
الاحتجاج من أمالاسونثا لهذه الأمــور قام بتحرير خطـــابه وأوة
الكســـندر .

وعندما وصل الكسـندر الى روما ترك هناك الأساقفة ينبشــــ
بالأمور التى أتوا من أجلها ، على حين قام هو نفسه برحلة الى را
وتقدم الى أمالاسونثا ونقل رسالة الامبراطور سرا وسلم لها الخ
علانية وفيما يلى مضمون الكتاب :

« استوليت على قلعة ليليبوم Lilypaeum بالقوة وهى قا
واستقبلت البرابرة والعبيد الذين ولوا هاربين ولم تقررى بعد أعلا
... ...

(١٤) تقع كامبانيا فى منطقة الجنوب الإيطالى على البحر التيرانى
نهـــر Carigliano. واللبرى الأدنى وتطل خليج ذى بوليكاسترو الى الج
وتشمل مقاطعات افلينو وبنفنتو وكاسيرتا ونابلى وسالرنو . (المترج
Encyclopedia Britanica. vol. II.

(١٥) تقع سيرميوم بالقرب من بلغراد الحالية ، وكانت تتحكم
الطريق الرومانى القديم من الغرب الى الشرق ، أما شعب الجيبداى وه
شـعوب الجرمان الشرقيين فقد سيطروا على هنغاريا ورومانيا ، وتنـــاز
مع القوط الشرقيين على امتلاك سـيرميوم . وكان الجيبداى قد تزعموا ،
قبائل القوط الروجيين والسـويف والهيرول فانزلوا بالهون هزيمة سا
على نهر نيداو ٤٥٣ م وطردوهم الى سهول روسيا . (المترجمة
عن ذلك انظر : موس : ميلاد العصـور الوسطى ، ترجمة عبد ال

لى ، بالاضافة الى كل ذلك عاملت مدينة جراتسيانا Gratiana ⁽¹⁶⁾
بسلوك تجاوز حدود الأدب رغم أنها ليست مذنبة بأى حال من الأحوال ،
ولهذا السبب حان الوقت لك لكى تنظرى الى ما ستؤدى اليه هذه
الأشياء فى النهاية وفى يوم من الأيام » ، وعندما سلم هذا الخطاب
لها واطلعت عليه ردت على الرسالة بالكلمات التالية :

« يستطيع أحد أن يتوقع من امبراطور عظيم يطالب بالفضيلة أن
يقوم بمعاونة طفل يتيم لا يفقه شيئا على الاطلاق من الذى حدث بدلا
من التشاجر معه بلا سبب ذلك فان لم تكن الحرب متكافئة . فان الانتصار
لو تم لا يؤدى الى الفخر .. وانكم لا تهددون أتالاريك بسبب ليبينيوم
وعشرة هاربين أو بسبب خطأ ارتكبه جنود ضد أعدائهم الذين أسروا
فى مدينة قائمة على علاقة صداقة من خلال سوء فهم . لا نفعل هذا
أيها الامبراطور ، ولكن تذكر أنك عندما حاربت الوندال Vandals
لم تعزف عن اعاقة هذه الحرب ولكننا منحنا لكم المرور الحر ضد العدو
وأمددناكم بسوق لشراء الامدادات اللازمة وقمنا بامدادكم على الأخص
بالعديد من الجياد وبفضل هذا تمت السيطرة النهائية على العدو وفضلا
عن ذلك فليس الانسان الذى يقدم حلف أسلحة لجيرانه هو الذى يطلق
عليه حليفهم وصديقهم ، ولكن هو أيضا الانسان الذى يقوم بالفعل
بمعاونة الآخر فى الحرب . وأرجوا أن تتظروا الى أنه فى هذا الوقت
لم يكن للاسطول مكان آخر فى البحر سوى صقلية Sicily وأنه
دون الامدادات المشتراة هناك لا يستطيع مواصلة السير الى ليبيا . لذلك
فانكم مدينون لنا فى المقام الأول بانتصاركم ذلك لأن من يقوم بتقديم
الحل فى المواقف الصعبة يحق الاعتراف بفضله لعظم النتائج التى

---

(١٦) جراتيانا مدينة تقع فى طرف الليريا وهى التى كانت تشمل شبه جزيرة البلقان ما عدا تراقيا . (المترجمة) . انظر :
موس : ميلاد العصور الوسطى . ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ١٤ .

تم احرازها بفضل مساعدته . وما أحلى للانسان أن يكتسب السيطرة على أعدائه .

وعلى كل — فى حالتنا هذه — فان النتيجة هى أننا لا نتمتع بنصيبنا من الغنائم وفقا لتقليد الحرب . » وألآن تطلبون بحق سلب ليبليوم فى صقلية التى كانت ملكا للقوط منذ الأزمنة القديمة . وهى صخرة منعزلة لا تساوى قطعة من الفضة وحتى ولو كانت ملكا للمملكة منذ الأزمنة القديمة فعلى الأقل تستطيعون بكل عدالة منحها لأتالاريك مجازاة لخدمات التى أداها اذ أنه قام بمد يد المعونة فى الوقت الذى كانوا أكثر احتياجا اليه » . وكانت هذه الرسالة التى حررتها أمالاسونثا علانية الى الامبراطور وبصفة سرية وافقت على وضع ايطاليا بكاملها تحت يده . وقام المبعوثون بعد عودتهم الى بيزنطة بابلاغ كل شيء للامبراطور جستنيان حيث صرح له الكسندر بشأن الاجراء الذى اتخذته أمالاسونثا وديمتريوس وهيباسيوس وكل ما سمعوه من قول ثيوداتس . وأضاف ان ثيوداتس يتمتع بسلطة كبيرة فى تسكانيا حيث أصبح مالكا لغالبية الأرض . ومن ثم سوف يتمكن من وضع اتفاقه حيز التنفيذ دون أى ضيق . وحيث أن الامبراطور كاد يطير فرحا لهذه العلاقة ، فقد بعث فورا الى ايطاليا بطرس وهو من مواطنى سالونيكا(١٧) الا انه الليرى المولد وهو رجل من ضمن الرجال المتدربين على الحديث فى بيزنطة ، وشخص حصيف وعريق النسب وصالح بطبيعة انهال لكى يقنع الرجال.

---

(١٧) سالونيكا : مدينة رومانية قديمة واسمها اليونانى Thessaloniki ويذكر ابنيدور الاشبيلى أن الصقالبة بدءوا فى مهاجمة هذه المناطق فأصبحت هذه المدينة اليونانية محاطة بهم لأنهم انتشروا حولها فى شبه جزيرة المورة لان هذه المدينة كانت من اهم المدن التجارية وميناء هام للامبراطورية البيزنطة وكانت تحميها أسوار ضخمة ومجانيق قوية ، فتمكنت من الصمود فى وجه المهاجمين كما كانت مركزا دينيا كبيرا . (المترجمة) . انظر :
Camb. Med. Hist. vol IV, p. 32.

(٤)

بينما كانت مثل هذه الأمور تجرى كما سبق لى الشرح فقد قام عديد من التوسكانيين بالوشاية بثيوداتس أمام امالاسونثا ، وصرحوا أنه أساء الى جميع أهل توسكانيا واستولى بدون سبب على ضياعهم لم يكتف بالضياع الخاصة فحسب وانما أيضا الضياع الملكية التى عتاد الرومان تسميتها بالأرث ، ولهذا السبب طالبت الملكة باجراء تحقيق مع ثيوداتس وعند مواجهته بوشاته (دانوه دون سؤاله وأجبرته امالاسونثا على رد كل ما كان قد استولى عليه دون وجه حق ثم أقالته ، حيث انها على هذا النحو قد سببت اكبر اساءة الى الرجل منذ ذلك الحين. ذلك فقد استمر العداء بينهما وظل متربصا منها الى حد كبير اذ انه كان شغوفا بالمال وذلك لأنه لم يعد فى استطاعته مواصلة ممارسة السلطة الغير شرعية .

وفى نفس هذا الوقت — ٦ أكتوبر ٥٣٤ م كان المرض قد انهك أتالاريك حتى وصل الى نهايته اذ أنه بقى فى المنصب ثمان سنوات . أما بالنسبة لامالاسونثا فقد قدر لها ما لا تحمد عقباه لذلك ، لم تعبأ بثيوداتس وما سببت له ، وافترضت أنها سوف تلقى أية معاملة سيئة منه اذا ما صنعت له جميلا يخرج عن العادة ، وعليه استدعته وحينما حضر لجأت الى مداهنته قائلة انها علمت انه كان من المتوقع أن ابنها سوف يتوفى قريبا ذلك لأنها استمعت الى رأى جميع الأطباء الذين اتفقوا فى الحكم عليه وفطنت هى بنفسها بأن جسد أتالاريك ازداد نحولا . وحيث أنها لاحظت أن كلا من القوط والايطاليين كان لديهم فكرة غير طيبة عن ثيوداتس الذى أصبح الآن يمثل عصر فيودريك ، لذلك أبدت الرغبة فى تخليصه من الاسم الشرير هذا حتى لا يكون عائقا فى طريقه حالة استدعائه الى العرش ، ولكن فى نفس الوقت قد أزعجتها مسألة العدالة كما شرحت لذ انها فكرت فى أن الذين أضيروا بسببه سوف

لا يجدون أحدا يذهبون اليه لابلاغه بما أصابهم وأن سيدهم ه
عدوهم • ولهذه الأسباب رغم أنها استدعته للعرش بعد ازالة اسمه
هذا النحو الا أنه كان يتحتم كما قالت أن يلتزم بحلف اليمين الحاسـ
وفى الوقت الذى يمنح فيه ثيوداتس لقب المنصب ينبغى عليها ذاته
تتولى السلطة بقدر لا يقل عن ذى قبل وعندما سمع هذا ثيوداتس و
وحلف اليمين على الوفاء بجميع الشروط التى فرضتها أمالاسونثا
أضمر الغدر فى ضميره متذكرا كل ما فعلته ازاءه • وهكذا انخد
امالاسونثا فى حكمها وفى الأيمان التى أقسمها لها ثيوداتس ومنحه
المنصب • وقد بعثت بعض القوط بصفتهم مبعوثين الى بيزنطـة
يبلغوا الامبراطور جستنيان بهذا الشأن •

وعندما نال السلطة العليا شرع تيوداتس فى التصرف فى جه
الأمور بطريقة مناقضة لآمال امالاسونثا والوعود التى تعهد بهـ
وبعد أن اكتسب انتماء أقرباء القوط الذين قتلتهم أمالاسونثا — و
كثيرين ورجالا ذو مكانة رفيعة ضمن القوط فقد قتـل بعض أقـ
امالاسونثا وأودعها السجن اذ ان المبعوثين لم يبلغوا بيزنطة حتى
اللحظة • توجد الآن بحيرة فى تسكانيا يطلق عليها اسم فلزينا[١٨]
ترتفع داخلها جزيرة صغيرة[١٩] للغاية مقام عليها قلعة قوية • وفى
المكان قام ثيوداتس بحجز امالاسونثا — ٣٠ ابريل ٥٣٥ م — وشـ
الحراسة عليها حيث انه كان يخشى استياء الامبراطور من جراء
الفعل ، فبعث بعض الرجال من مجلس الشيوخ الرومانى وهم ليبير
Liberius واوبيليو Opilio وآخرون وأوصـاهم بأن يبـ

(١٨) اسماه الآن بولينا Bolsena
(١٩) جزيرة مارتا Marta وهى غير مسكونة الآن ، وبعد خط
قليلة منها شقوا فى الصخر — كما قيل — مكانا يؤدى الى سجن أمالاسو
(المترجم

انظـــر : Hodjkin ejtaly and her Invaders. 4. vols.

سلوكه أمام الامبراطور بما لديهم من قدرة التأكيد له بأن امالاسونثا تم تعامل بقسوة رغم انها كانت قد أساءت اليه اساءءات بالغة وجسيمة . وقام هو بنفسه بالكتابة بهذا المعنى الى الامبراطور وأجبر أيضـــا امالاسونثا على الكتابة بهذا المضمون الى الامبراطور ضد ارادتها .

وهكذا سارت مجريات الأمور . ولكن سبق للامبراطور أن أوفد بطرس Peter الى ايطاليا ومعه تعليمات بمقابلة ثيوداتس دون أن يعلم هذا أى شخص آخر . وبعد أن أخذ ثيوداتس تعهدا على نفســه وحلف انه سوف لا يذيع أية معلومات . وشرع فى اجراء تســـوية مأمونة معه فيما يتعلق بتسكانيا Tuscany . وقابل امالاسونثا فى الخفاء واتفق معها على عمل الترتيبات اللازمة بالنسبة لايطاليــا بأكملها حتى تعود هذه الترتيبات بالنفع لكل طرف من الطرفين . ولكن مهمته ظلت التفاوض علانية بالنسبة لليلبيوم والأمور الأخرى التى سبق لى أن ذكرتها ذلك لأن الامبراطور لم يكن قد سمع أى شىء بشأن وفاة أتالاريك أو سقوط أمالاسونثا وكان بطرس فى طريقه عندما قابل مبعوثى أمالاسونثا وعلم أن ثيوداتس كان قد اعتـــلى العــرش . وبعد فترة وجيزة عند بلوغه مدينة أولون Aulon [٣٠] التى تقع على الخليج الأيونى قابل جماعة ليبيريوس ، واوبيليو ونعى الى علمه كل شىء وقد أبلغ ذلك الى الامبراطور ومكث هناك .

وحينما علم الامبراطور جستنيان بكل هذه الأمور عقد النيـــة على ارباك القوط مع ثيوداتس . لذلك حرر خطابا الى أمالاسونثا يذكر فيه أنه متلهف على مساندتها بأية وسيلة ممكنة ، وفى الوقت ذاته أوصى بطرس بعدم اخفاء هذه الرسالة بأية حال من الأحوال بل افشـــائها لثيوداتس ذاته ولجميع القوط . وعندما وصل المبعوثون من ايطاليــا

يزمحه ماموا جميعهم باستثناء واحد منهم بابلاغ الأمر بأسره الى
ـاطور وعلى الأخص ليبيروس ذلك لأنه كان رجلا مستقيما وشريفا ،
، يهتمون بالحقيقة • ولكن أوبيليو وحــده صرح باصرار كبير أن
اتس لم يكن قد أساء الى أمالاسونثا • والآن عندما وصل بطرس
يطاليـــا • حدث أن أبعدت أمالاسونثا من بين الرجـــال ذلك لأن
اء القوط الذين قتلتهم امالاسونثا من قبل تقدموا أمام ثيوداتس
نين أن حياته وحياتهم فى خطر الا اذا ابعدت امالاســـونثا عن
نهم بأسرع ما يمكن • وبمجرد أن سلم بالأمر الواقع ذهبــوا الى
يرة وقتلوا امالاسونثا ، وهذا بالفعل أحزن جميع الايطاليين بصورة
ة والقوط على حد سواء ذلك لأن النساء كان لهن اهتمام الى حد كبير
ضيلة كما ذكرت انفا فى هذا الشأن • وقام الآن بطرس بالاحتجاج
نية الى تيوداتس • والقوط الآخرين بسبب خسة هذا الفعل الذى
ـفوه وأعلن أنه سوف تشن حربا دون مهادنة بينهم وبين الامبراطور •
ن ثيوداتس ــ هكذا كانت حماقته ــ بينما كان لا يزال يضـــع قتلة
لاسونثا موضع التقدير ظل يحاول اقناع بطرس والامبراطور بأن هذا
مل الاثيم ارتكبه القوط دون موافقته وضد ارادته •

(٥)

وفى نفس الوقت حدث أن اشتهر بليزاريوس Belisarius (٢١)

---

(٢١) بليزاريوس من اشهر القادة البيزنطيين ولد سنة ٥٠٥ م ــ كان
حيقا حميما للامبراطور جستنيان ــ كما ان زوجته انطونينا كانت صديقة
امبراطورة ثيودورا وقد بدا بليزاريوس يلمع فى ميدان العسكرية فى موضمة
را سنة ٥٣٠ م ــ ثم عين قائدا للشرق ، وفى عام ٥٣٢ م تمكن بالتعاون
ع نارسيس من القضاء على فتنة نيقا ثم ارسله جستنيان سنة ٥٣٣ م الى
مال افريقيا حيث تم له القضاء على مملكة الوندال بها • (المترجمة)
Gibbon «The Decline and fall of the Roman empire».
Vasiliev History of the Byzantine empire.
Ostrogorsky «History of the Byzantine state».
، اسمت غنيم : امبراطورية جستنيان •

بانه هزم جيليمر Gelimer وقبيلة الوندال ، وعندما علم الامبراطور بمصير أمالاسونثا أقدم فورا على الحرب حيث بلغ عهده السنة التاسعة وبذلك أمر موندس Mundus قائد اليريا بالذهاب الى دالماشيا Dalmatia الخاضعة للقوط واختيار سالونا Salones (٣٢) .

وكان موندس بربرى المولد ولكنه كان مخلصا للغاية للامبراطور ومحاربا ماهرا ثم بعث بليزاريوس بحرا ومعه ٤٠٠٠ أربعمائة جندى من الوحدات العسكرية النظامية و« والماهدين » وحوالى ٣٠٠ ثلاثمائة من « الايسورين »(٣٣) وكان من ضمن الرجال البارزين القـــود قسطنطينوس Constantinus وبيزاس Byzas من تراقيا ، وبيرانيوس Poranius (٣٤) من ايبريا القريبة من ميديا وكان رجلا من أعضاء الأسرة المالكة الأيبيرية ولكن قبل ذلك جاء كجندى هارب الى الرومان من خلال عداء الفرس ، وتولى فرق سلاح الفرسان فالنتينوس Valantinus وماجنوس Magnus واينوسنتيوس Innocentius وتولى سلاح المشاة هيروديان Herodian وبولوس Baulus وديمتريوس Demetius وأورسينس Ursicinus على حين كان أينيس Enes زعيم الأيسوريين ، كما وجد مائتان من الهون ، بصفتهم حلفاء وثلاثمائة من البربر المغاربة ولكن كان بليزاريوس هو القـائد الأعلى ومعه العديد من الرجال وجهاء القوم كرماة وحراس وكان يرافقه فوشيوس Fphotius ابن زوجته انطونيا Antonina من زوج

---

(٣٢) سالونى أو سالونا بالقرب من سبالتو Spaleto على الساحل الدلماشى .

(٣٣) الايسورينسية الى اقليم ايسوريا او ايزوريا جنـوب شرق آسيا الصغرى . (المترجمة)

(٣٤) ايبيريا تطلق على منطقة جورجيا Georgia وهى الى الجنوب من منطقة القوقاز . (المترجمة)

سلبى ولكن لا يزال شابا يحمل لحيته الأولى ولكنه كان يتحلى بحصافة تفكيره وطبع قوى .

وأعطى الامبراطور تعليماته لبليزاريوس لكى يعلن أن جهة الوصول كانت قرطاجة Carthage . ولكن بمجرد وصولهم الى صقلية كان عليهم النزول الى البر هناك اضطراريا لسبب ما واستكشاف الجزيرة . وعليهم أيضا الاستيلاء عليها اذا ما أتيحت الفرصة لاخضاعها دون اضطراب وعدم تركها تفلت مرة أخرى أما اذا صادفهم أى عائق فعليهم الابحار دون ابطاء الى ليبيا دون اعطاء الفرصة لاحد لكى يفطن الى مقصدهم .

كما أنه أرسل خطابا الى زعماء الفرنجة(٢٥) نصه كالآتى :

« حيث ان القوط استولوا بالقوة على ايطاليا التى كانت لنا ولم يرفضوا ردها فحسب وانما ارتكبوا أيضا أعمالا تتسم بالجور ضدنا ، وهذه الأعمال جاوزت جميع الحدود ولم تعد متحملة ، لذلك اضطررنا للنزول الى ميدان المعركة ضدهم ومن المناسب أن تنضموا الينا فى شن هذه الحروب التى هى حربكم بقدر ما هى حربنا ليس فقط ايمانا بالمذهب القديم الذى يرفض قبول رأى الأريوسيين(٢٦) ، وانما أيضا للعداء الذى شعر به كلانا نحو القوط » .

وهكذا كان نص خطاب الامبراطور ، وقد منح لهم عطية نقدية

---

(٢٥) الفرنجة قبيلة من قبائل الجرمان امتدوا فى اتجاهين بين الراين الأدنى والميزو الشلد — والآخرون امتدوا على الموزل الأدنى . (المترجمة)

انظر : Fliche «La Chretiente - Medievale».

(٢٦) الاريوسية نحلة مسيحية تنتسب الى آريوس وهو كاهن سكندرى وتقول بأن الاب وجد قبل الابن — ولما كان المسيح مخلوق للاله الاب فهو اذا دونه فلا يساويه فى المنزلة والمستوى . (المترجمة)

انظر Cam - Med. Hist. vol I, p. 119.

ووافق على منح المزيد بمجرد اتخاذهم دورا نشيطا • ووعدوا بكل حمية الدخول في القتال محالفة معهم •

والآن دخل مندوس والجيش تحت قيادته الى دلماشيا واشتبكوا مع القوط الذين قابلوهم هناك ، وهزموهم فى المعركة واستولوا على سالونى Salones أما بالنسبة لبيليزاريوس فقد دخل صقلية واستولى على كتانا Catana • وحيث انه جعل هذا المكان قاعدة لعملياته فقد استولى على سيراكوز والمدن الأخرى التى استسلمت دون اى مشقة باستثناء أن القوط الذين كانوا يقفون حراسا على بانورموس Panormus (٢٧) والذين كانوا يثقون فى قلاع هذا المكان وهو مكان قوى أبدا أن يستسلموا لبليزاريوس .وأمره بابعاد الجيش عن هذا المكان بكل سرعة حيث ان بليزاريوس أدرك أنه كان من المحال الاستيلاء على هذا المكان من جهة البر ، لذلك أمر الأسطول بالابحار داخل الميناء الذى كان يمتد يمينا حتى السور ذلك لأنها كانت خارج السور الدائرى والذى كان بدون مدافعين على وجه الاطلاق • والآن عندما رست السفن هناك لوحظ أن الأسوار كانت أعلى من الحاجز الترابى • وفى الحال قام بملء الزوارق الصغيرة للسفينة بالرماة ورفعهم الى أعلى الصوارى • وعندما أمطرت السهام من هذه الزوارق على رؤوس العدو دخل الرعب فى قلوبهم الى درجة أنهم سلموا بانورموس Banormus على الفور لبليزاريوس — ٣١ ديسمبر ٥٣٥ م — عن طريق الاستسلام • ونتيجة لذلك خضعت صقلية باكملها للامبراطور وأصبحت تابعة له • وحدث فى هذه الآونة — ونتيجة لطالعه الحسن فقد حدث له حادث تميز الكلمات عن وصفه لأنه نال منصب القنصلية بعد انتصاره على قبيلة الوندال وبعد أن انتصر على صقلية بأسرها فى اليوم الأخير من منصبه القنصلى زحف الى سيراكوز والجيش يصفق له بحرارة ودعمهم أهل صقلية الذين كانوا ينثرون العملات الذهبية عليهم جميعا • ومع ذلك فان هذه الظروف

(٢٧) اسمها الحالى بالرم او بالرمو . فى صقلية .

لم يعد لها بليزاريوس وانما كانت فرصة طيبة للرجل اذ انه بعد أن استرد الجزيرة بأكملها من القوط زحف الى سيراكوز فى هذا اليوم بالتحديد ، وقد نال بليزاريوس هناك المنصب القنصلى — مخالفا بذلك النظام المتبع بضرورة أن يتم التقليد فى بيزنطة وهكذا أصبح قنصلا EX - Consul ولم يفارق الحظ بليزاريوس منذ ذلك الحين .

(٦)

وعندما علم بطرس Peter بفتح صقلية ركز مجهوداته لكى يرهب ثيوداتس وقرر منعه من المغادرة وحيث انه أصبح جبانا وواجما كأنه أسير لجيليمر[٢٨] ، لذلك دخل فى مفاوضات مع بطرس دون علم الآخرين وعقد بينهما اتفاقا شريطة أن ينسحب ثيوداتس من صقلية بأكملها لصالح الامبراطور جستنيان وعلى أن يرسل له كل سنة تاجا ذهبيا يزن ثلاثمائة « ليترية »[٢٩] وثلاثمائة من المحاربين القوط كلما اراد ذلك . كما أنه حظر على ثيوداتس قتل أى أسقف أو عضو فى مجلس الشيوخ أو مصادرة ممتلكاته لصالح الخزانة العامة الا اذا قرر ذلك الامبراطور واذا ما أراد ثيوداتس ترقية أى من أتباعه الى البطرقية أو رتبة سيناتورية أخرى ، فليس له أن يقوم بذلك ، ولكن عليه أن يطلب من الامبراطور أن يمنح مثل هذه الترقيات كما ينبغى على عامة الشعب الرومانى عند الهتاف للملك أن يهتفوا أولا وعلى الدوام باسم الامبراطور ثم اسم ثيوداتس وذلك فى المسارح وميادين سباق الخيل وفى أى مكان آخر .

وفضلا عن ذلك فلا ينبغى أن يقام تمثال من البرونز أو من أية مادة اخرى لثيوداتس وحده ، ولكن يتعين أن تقام تماثيل لكليهما وعلى أن

---

(٢٨) ملية اسر جيليمر تلميروكوبيوس بوصفها كاملا فى كتابه الرابع . (المترجمة)

(٢٩) تساوى الليترية الآن حوالى ١٢٠٠٠ ليرة ايطالية .
انظر : Hodgkin cop-cite

تقام على الجانب الأيمن بالنسبة للامبراطور وعلى الجانب الآخر بال
لثيوداتس وبعد أن حرر ثيوداتس مستندا تأكيدا لهذا الاتفاق قام با
السـفير •

بعد فترة قليلة ملأ الرعب قلب الرجل وأصابه الهلع الذى ليـ
له حدود • وقد انتابه الهلع واضطرب ذهنه بمجرد سماعه كلمة الحر
وتذكر أنه اذا لم يوافق الامبراطور على الاتفاق المبرم بينه وبين بطر
فسوف تقوم الحرب حتما وفى الحال ، لذلك استدعى مرة أخرى بطر
الذى كان قد وصل الى البانى Albani [٣٠] نعقد مؤتمـر سر
واستفسر منه عما اذا كان يعتقد أن الاتفاق سوف يرضى الامبراطور
وأجاب أنه يعتقد ذلك وقال ثيوداتس « ولكن اذا لم تعجب هذه الأتـ
الرجل بالمرة فماذا سيحدث » فأجاب بطرس بعد ذلك عليك أن تشـ
حربا يا أنبل النبلاء ، قال ما هذا أهو سفيرى العزيز فأجاب بطرس ء
الفور كيف يمكن لنا أن نلاحق ما يناسب طبيعة كل رجل ؟ فسأله ثيودات
ماذا يعنى هذا ؟ وكان الجواب « انك تهتم كثيرا بالتفلسف فى حين
جستنيان امبراطور جدير بالرومان وهنا الفرق لأن الشخص الذى مار
الفلسفة لا يستطيع أن يتسبب فى موت الرجال وعلى الأخص بهـ
الأعداد الكبيرة ، وأضافة الى ذلك فان هذه النظرية تتفق مع تعـالي
افلاطون التى تعتنقها بلا شك لذلك فمن المجحف لك الا تكون متحرر
من اراقة الدماء •ولكن بالنسبة له فمن المناسب أن يسعى لاكتسـاب
أرض تنتمى منذ القدم الى مملكته على أثر ذلك اقتنع ثيوداتس بهـذ
النصيحة ووافق على الانسحاب من المملكة لصالح الامبراطور جستنيا
وحلف هو وزوجته اليمين القانونية لهذا الغرض ، ثم حلف اليمين اما
بطرس بعدم افشاء هذا الاتفاق لحين التأكد لأن الامبراطور ربما لا يقبا

الاتفاقية السابقة • وبعث معه رستيكس Rusticus وهو أسقف كرسى نفسه له ومعه مواطن رومانى لكى يقوم بالتفاوض على أساس هذا الاتفاق كما أنه اعطى خطابا لهؤلاء الرجال •

وعندما وصل بطرس وروستيكوس الى بيزنطة قاما بابلاغ القرار الأول الى الامبراطور تماما كما أوصاهما ثيوداتس لهما • لكن حين أبدى الامبراطور رفضه قبول لعرض قام بافشاء الخطة التى تلاها الخطاب فيما بعـــد •

وكان لهذ الخطاب الوقع التالى :

« اننى لست غريبا » على البلاط الملكى ولكن كان من حظى أن ولدت فى دار عمى حينما كان ملكا وأنى تربيت بطريقة جديرة بعنصرى • ومع ذلك فقد نلت القليل من الخبرة فى الحروب والاضطرابات الناتجة عن الحروب وذلك لأنى منذ سنواتى المبكرة كنت مولعا بالمناظرات المدرسية وكرست على الدوام وقتى لهذا الغرض ومن ثم كنت حتى هذا الزمن بعيدا كل البعد عن ربكة المعارك • لذلك فمن اللغو أن اتطلع الى عناصر الشرف التى تمنحها الحضرة الملكية ، أحيا حياة محفوفة بالمخاطر بينما فى استطاعتى أن اتحاشاها ، ذلك لأن مثل هذه الاشياء ليست ممتعة لى فالأولى عرضة للاشباع لنا وهناك المراط فى كل الأشياء الحلوة المذاق والثانية بسبب النقص فى الألفة فان هذه الحياة تربك المرء • أما بالنسبة لى فاذا منحت لى ضياعا تغل ايرادا سنويا لا يقل عن ١٢ « سنتيناريا » نظرت الى الملكة بأقل أهمية وسوف أسلم على الفور لكم قوة القـوط والايطاليين وذلك لأنى سوف أجد متعة أكبر فى أن أكون مزارعا بعيدا عن الهموم والمشاغل بدلا من قضاء حياتى كلها بين هموم الملكية اذ أن هذه المشاغل محفوفة بالمخاطر • أرجو أن تبعثوا الى برجل بأسرع ما يمكن كى أستطيع أن أسلم له بطريقة لائقة ايطاليا ومقاليد الملكة » •

هكذا كان مضمون خطاب ثيوداتس وحيث أن الامبراطور كان راضيا للغاية ، لذلك أجاب على النحو التالى :

« منذ القدم علمت من التبليغات التى تصلنى أنك رجل ذو فطنة ، ولكن الآن حيث أن التجربة علمتنى ، لذلك فانى اعلم هذا بناء على القرار الذى اتخذته بالا انتظر ما تتمخض عنه الحرب ذلك لأن بعض الرجال الذين تابعوا هـذا المسار فى الماضى أصابهم الكدر . وسوف لا تندم من انك جعلتنا أصدقاء بدلا من أعداء ، ولكن سوف يكون لك امتياز انخراطك فى قائمة شرف الرومان . وفى الوقت الراهن بعثت اثناسيوس Athanasius وبطرس Peter حتى يستطيع كل طرف أن ينال ضمانا بموجب اتفاق . وسوف يقوم بيلزاريوس بزيارتك لاتمام جميع الترتيبات التى وافقتنا عليها فيما بيننا » .

وبعد أن كتب هذه الرسالة بعث الامبراطور باثناسيوس شقيق الكسندر Alexander الذى سبق أن أوفد الى اتالاريك كما سبق القول، وللمرة الثانية بطرس الخطيب الذى ذكرته بعاليه وذلك لتخصيص ضياع الدار الملكية لثيوداتس المطلق عيها اسم « الميراث » وبعد أن قاموا بتحرير الوثيقة وأقسموا الايمان على تنفيذالاتفاق، استدعوا بيليزاريوس من صقلية ليتمكن من الاستيلاء على القصر وايطاليا باسمهم ووضعهما تحت الحراسة . وكتب لبيليزاريوس ألمهم بمجرد استدعائه ينبغى عليه أن يذهب هنا لمكل سرعة .

(٧)

فى غضون ذلك وبينما كان الامبراطور منشغلا فى هذه المفاوضات وكان هؤلاء المبعوثون فى طريقهم الى ايطاليا ، كان القوط تحت قيادة ازيناريوس Asinarius وجريبلس Gripas وآخر ممن قد أتوا

بجيش كبير داخل دلماشيا وعندما بلغوا حدود سالونى Salones [٣١] قابلهم موريشيوس Mauricius ابن مندس الذى لم يكن قد قدم للمعركة وانما كان مع بضع رجال فى حملة استكشافية ؛ فحدث اشتباك عنيف فقد فيه القوط أنبل الرجال ولكن الرومان أيضا فقدوا جماعات باكملها بما فى ذلك القائد موريشيوس وعندما علم مندس بذلك انتابه حزن عميق وفى الوقت ذاته ثورة شعواء ولذلك توجه لملاقاة العدو دون ابطاء وبغض النظر عن أى أمر • كانت المعركة محتدمة واسفرت النتيجة عن انتصار كامل بالنسبة للرومان[٣٢] • ورغم أن أغلب الأعداء سقطوا صرعى هناك واندحروا الا أن مندس الذى واصل القتال وتتبع العدو أينما كان وعجز عن تركيز أفكاره بسبب سوء حظ ابنه الذى جرح على يد احد الهاربين • وعلى أثر ذلك انتهت المطاردة وانفصل الجيشان واستعاد الرومان الى خاطرهم جزءا من قصيدة الكاهنة التى كانت تغنى فى الأزمان السالفة وبدا لهم نذير شؤم ذلك لأن الكلمات تقول عندما تخضع افريقيا فان العالم سوف يهلك مع ذريته • ومع ذلك فان هذا لم يكن المعنى الصحيح لهاتف الغيب ولكن بعد التنويه بأن ليبيا سوف تخضع مرة أخرى للرومان أضاف هذا البيان أيضا أنه عند قدوم مندس فسوف يهلك هو وابنه •وحيث ان مندس فى اللغة اللاتينية تعنى كلمة « العالم » لذلك اعتقدوا أن القول كان يشير الى العالم • أما بالنسبة لسالونى Salone ، فلم يتمكن أحد من دخولها ذلك لأن الرومان عادوا الى ديارهم لأنهم أصبحوا بدون قائد ، وحيث ان القوط لاحظوا أنه لم يبق معهم أى نبيل من نبلائهم لذلك انتابهم الخوف واستولوا على القلاع المجاورة ذلك لأنهم لم يثقوا فى دفاع سالونى ، وفضلا عن ذلك فان الرومان الذين كانوا يعيشون هناك لم يظهروا نية حسنة نحوهم •

---

(٣١) سالونى قلعة عند Amphissa فى بلاد اليونان •

(٣٢) وهى حكمة تشير الى أن انتصار تبع فيه المنتصر • وربما هى ترجع الى قصة ثيبان Theban أو كاهنين وابطالها اتيوكليس Etocles وبولينيسيس Polynices •

وعندما علم ثيوداتس بكل هذا ، لم يعبأ بالمبعوثين الذين كانوا قد أتوا اليه ، ذلك لأنه بطبيعته لم يكن يثق فيهم وعقله لم يكن ثابتا بأى حال من الأحوال . ولكن الحظ دفع به فى هذه الآونة الى حالة من الارهاب لا يعرف لها حدود وكان هذا مناقضا للفهم الصحيح للمواقف ، ودفعه ذلك الى جسارة لا يمكن وصفها .

ففى هذا الوقت حينما علم بوفاة مندس ووريشيوس تأثر للغاية بما حدث ورأى أنه من المناسب أن يوبخ المبعوثين عندما ظهروا أخيرا أمامه . وحينما أنبه بطرس فى مناسبة ما لأنه كان قد انتهك الاتفاق مع الامبراطور استدعى ثيوداتوس كليهما وتحدث علنا كما يلى :

« أن موقف المبعوثين يدعو الى الفخر وعلى وجه العموم فقد نالوا التقدير من جميع الرجال . ولكن المبعوثين يحتفظون لأنفسهم بهذه الحقوق طالما أنهم يحتفظون بشرف ايفادهم بفضل صلاحية سلوكهم الذاتى ، ذلك لأن الرجال أقروا بعدالة قتل أى مبعوث اما لأنه أهان الذات الملكية أو عرف بأنه على علاقة بامرأة لزوج آخر » . وهكذا كانت الكلمات التى ندد بها ثيوداتس ضد بطرس ليس لأنه كان قد اقترب من امرأة وانما على ما يبدو ليثبت صحة ادعائه بأنه كانت هناك اتهامات قد تؤدى الى قتل سفير ما ، ولكن المبعوثين أجابوا كما يلى : « ان الحقائق يا حاكم القوط ليست كما ذكرتها ولا تستطيع تحت ستار أعذار وهمية أن تقوم بارتكاب أعمال جائرة ضد رجال المبعوثين ذلك لأنه من المحال بالنسبة لسفير ما حتى اذا ما أراد ذلك أن يصبح فاجرا اذ انه ليس من السهل عليه أن يتناول حتى الماء الا بارادة الذين يحرسونه . أما بالنسبة للعروض التى تلقاها من شفاه من بعثوه فهو ذاته لا يستطيع أن يتحمل بصفة معقولة التأنيب الذى يأتى منهم ، ولكن من أعطى الأمر سوف يتحمل التهمة على حين أن مسئولية السفير تقتصر على الوفاء بمهمته .

لذلك ينبغى علينا أن نصرح بكل ما أوصى به الامبراطور عند ايفادنا وأن تسمعوا الينا بهدوء ذلك لأنه اذا أصابكم الهياج فسوف لا يكون فى وسعكم الا الاساءة الى رجال هم سفراء ، لذلك حان الوقت لكى تقوموا بأداء كل ما وعدتم الامبراطور بانجازه ، وهذا هو الغرض الذى أتينا من أجله حقا ، والخطاب الأخير الذى حرره لكم سبق تسلمه ، أما الكتاب الذى أرسله الى طليعة القوط فلن نسلمه الا لهم » .

وعندما سمع زعماء البرابرة الذين كانوا حاضرين هذا الحديث من المبعوثين طلبوا منهم أن يعطوا ثيوداتس ما كان قد حرره لهم . وجرى ما يأتى :

« كان هذا موضع عنايتنا لاستقبالكم فى دولتنا حيث يمكنكم التمتع فيها ذلك لأنكم سوف تأتون الينا ليس لأن الأمر أقل أهمية وانما لامكان تكريمكم بقدر أكبر . وفضلا عن ذلك فاننا لا نوصى القوط بالشروع فى عادات غريبة أو أجنبية وانما فى عادات قوم كنتم ذات مرة متآلفين معهم ولو أنكم انفصلتم عنهم بالصدفة نفصل من فصول السنة . ولهذه الأسباب تم ايفاد بطرس وأثناسيوس اليكم وينبغى عليكم أن تعاونوهما فى كل شىء » .

وهكذا كان مضمون هذا الخطاب . ولكن بعد أن اطلع ثيوداتس على كل شىء لم يكتف بتنفيذ ما كان قد وعد الامبراطور بتنفيذه فحسب بل قام أيضا بوضع المبعوثين تحت حراسة مشددة .

عندما علم الامبراطور جستنيان بهذه الأشياء وما كان قد حدث فى دالمشيا ، بعث قسطنطيانوس الذى كان يقود السلسة الملكيين الى الليريا وطلب منه أن يقوم بجمع جيش من هناك وعمل محاولة على سالونى بأية طريقة وحسب امكانياته .

وأمر بيلزاريوس بدخول ايطاليا دون ابطاء ومعاملة القوط كالأعداء

وهكذا جاء قنسطنطيانوس الى ابيداموس وقضى بعض الوقت يجمع جيشا • وفى غضون ذلك أتى القوط تحت زعامة جريباس Grepas ومعهم جيش آخر الى دالماشيا واستولوا على سالونى • وغادر قنسطنطيانوس ابيداموس مع قوته الكاملة عندما اكتملت ترتيباته قدر المستطاع وألقى مرساه فى ابيداروس Epidaros [٣٣] التى تقع على الجنب الأيمن عند الاتجاه الى داخل الخليج الأيونى • وتصادف الآن وجود بعض رجال هناك كان جريباس قد أرسلهم كجواسيس . وبعد أن سجلوا كل شىء عن السفن وعن جيش قنسطنطيانوس بدأ لهم ان البحر والأرض بأكملها مفعمة بالجنود ؛ فعادوا الى جريباس وأعلنوا أن قنسطنطيانوس قد جرد ضدهم جيشا من الرجال عددهم لا يقل عن عشرات الآلاف • وحيث انه كان متخوفا الى حد كبير لذلك اعتقد انه من غير المناسب أن يواجه هجومهم وفى الوقت ذاته أبى أن يحاصر بواسطة جيش الامبراطور اذ انه كان يتحكم فى البحر بالكامل . ولكن تحصينات سالونى أزعجته فى اغلب الأمر (اذ ان أكبر جزء منها كان قد سقط) بالاضافة الى موقف السكان المشكوك فيه الى درجة كبيرة فى هذا المكان تجاه القوط • ولهذا السبب غادر المكان ومعه جيشه بالكامل بأسرع ما يمكن وعسكر فى السهل الذى يقع بين سالونى ، ومدينة سكاردون[٣٤] • وأبحر قنسطنطيانوس بجميع سفنه من ابيداروس ودخل فى ليزينا[٣٥] وهى جزيرة فى الخليج ، ومن هناك بعث ببعض رجاله لكى يستقصوا الحقيقة بشأن خطط جريباس وابلاغه بها • وبعد أن علم منهم بالحالة بأكملها أبحر رأسا الى سالونى دون ابطاء • وعندما دخل فى مكان ما بالقرب من المدينة ، أنزل جيشه الى الجزء الرئيسى من البلاد وبقى هنالك ساكنا ، واختار خمسمائة رجل من الجيش وعين سيفيلاس Siphilas قائدا لهم وهو أحد حراسه الشخصيين •

---

(٣٣) هى الآن Ragusa Vecchia رجوزا فيكيا .

(٣٤) بالقرب من سابنكو Sebenico

(٣٥) وهى الآن Lesina ليزينا .

ثم أمرهم بالاستيلاء على المر الضيق[٣٦] الذى كان يقع فى أطـراف المدينة كما كان قد علم • وقد كان هذا ما فعله ســيفلاس • ودخـل قنسطنطيانوس وجيشه البرى باكمله سالونس فى اليوم التالى ورسى الأسطول بالقرب منها • ثم مضى قنسطنطيانوس يعتنى بتحصـينات المدينة ويقوم ببناء جميع الأجزاء التى كانت قد سقطت ، وغادر جريبـاس مع الجيش القوطى من هناك فى اليوم السابع بعد أن قـام الرومان بالاستيلاء على سالونس وتوجهوا الى رافينا • وهكذا احتل قنسطنيانوس دالماشـيا بأكملها وليبورينا Liburina بالكامل •

وحث جميع القوط الذين سكنوا هذه المنطقة على الوقوف الى جانبه وهكذا كانت الأحداث فى دالمـاشيا • واقترب موسم الشتاء من النهاية وانتهى العام الأول من هذه الحرب التى كتب بروكوبيوس تاريخها •

(٨)

وحيث أن بيليزاريوس ترك حراسا فى سيراكوز وبانورموس[٣٧] لذلك عبر الطريق مع باقى الجيش من مسينا Messena[٣٨] الى ريجيوم Rhegium[٣٩] حيث تقول أساطير الشعراء ان سيلا وكاريبديس كانا يتواجدان ، وظل أهل هذه المنطقة يأتون اليه حيث أن مدينتهم منذ القدم كانت دون أسوار لذلك لم يكن لديهم أى وسائل لحراستهم بالمرة وبسبب عدائهم تجاه القوط كانوا بطبيعة الحال غير راضين عن حكومتهم الحالية وجاء ابريموس Ebrimus هاربا من وجه القوط الى بليزاريوس

(٣٦) هو مدخل هام للمدينة من جهة الغرب •

(٣٧) سيراكوز وبانورموس • مدينتان من مدن صقلية • (المترجمة)

(٣٨) مضيق يفصل بين صقلية وجنوب ايطاليا ويطلق عليه مضـيق مسـينا • (المترجمة)

(٣٩) ريجيوم مدينة تقع فى كالابريا فى جنوب ايطاليا • (المترجمة) من ذلك انظر : Cam - Med. Hist. vol I V. p. 729 , 7360.

ومعه جميع أتباعه • وكان هذا الرجل صهر ثيوداتس الذى تزوج ا
ثيودينتثى Theodonanthe • وكان موفدا على الفور الى الامبراء
وتلقى هدايا شرفية وعلى الأخص منصب النبيل السامى • وزحف ج
بيليزاريوس من ريجيوم من خلال بروتيوم ولوكانيا • ورافقه أسـ
السفن الذى أبحر الى نفس الاتجاه • ولكن حينما بلغوا كامبانيا ج
الى المدينة عبر البحر « الى ما تسمى نابلى »[40] التى كانت تســ
قوتها ليس فقط من طبيعة موقعها وانما أيضا لأنها كانت تحتوى
حامية وافرة من القوط • وأمر بيليزاريوس ، السفن بأن ترســـو
الميناء الذى كان خارج خط القذائف على حين أنه أقام معسكره على مة
من المدينة • ثم استولى فى بادئ الأمر على القلعة عن طريق الاستسـ
وهى فى الضاحية وسمح بعد ذلك لسكان المدينة — بناء على طلبهم
بايفاد بعض وجهاء القوم الى معسكره حتى يتمكنوا من ابداء رغبـ
فيما يريدونه • وبعد أن تلقوا جوابه أخطروا عامة الناس بذلك • و
الفور قام أهل نابولى بايفاد ستيفانس Stephanus وعندما حـ
أمام بيليزاريوس تحدث على النحو الآتى :

« انك لم تتصرف بالعدل أيها القائد باستيلائك على ميدان الم
ضد رجال من الروّمان لم يرتكبوا أية اساءة • وهم يقطنون فى مد
صغيرة وأسيادهم عبارة عن حرس من البرابرة لدرجة أنه ليـس
وسعنا أن نقاومهم اذا ما أردنا ذلك • ولكن يتصادف انه حتى هؤ
الحراس يفطرون الى ترك زوجاتهم وأطفالهم وأثمن ممتلكاتهم تـ
يد ثيوداتس قبل مجيئهم ليقوموا بحراستنا • لذلك اذا ما تعاملوا مع
فسوف لا يغدرون بالمدينة وانما بأنفسهم • واذا ما رغب أحد أن يـ
الحقيقة دون موارية فانكم لم تنصحوا أحدا لكى يأتى ضدنا لصالحـ
ذلك لأنكم اذا استوليتم على روما فسوف تخضع لكم نابولى دون

(٤٠) تقع نابلى فى الغرب من ايطاليا على نهر العيير • (المترجم)

مجهـود بينما اذا اضـطررتم الى الانسحاب من هناك فمن المرجـح أنكم سوف لا تستطيعون الاحتفاظ بهذه المدينة آمنة .

لذلك فان الزمن الذى تقضونه فى هذا الحصار سوف يذهب مع الريح دون أن تحققوا أى غرض منه » .

وتكلم ستيفانوس على هذا المنوال . واجاب بيليزاريوس كما يلى :

« سواء تصرفنا بحكمة أو بغباوة بمجيئنا هنا فهذه ليست مسألة نقترح عرضها على أهل نابولى . ولكننا نرغب فى أن تقوموا بتقدير مثل هذه الأمور بعناية وبما يتلاءم ومشاورتكم ثم بالتصرف على انفراد وفقا لصالحكم الخاصة . وذلك عليكم ان تستقبلوا فى مدينتكم جيش الامبراطـور الذى أتى لتأمين حريتكم وجيش الايطاليين الآخرين ولا تختارون المسار الذى سوف يجلب عليكم سوء الحظ . وبالنسبة لمن يريد أن يتخلص من العبودية أو أى شئ آخر فليذهب مثل هؤلاء الرجال الى الحرب . فاذا حاربوا جيدا فى المعركة فسوف يكون الحظ مزدوجا لأنه مع انتصارهم سوف يكتسبون الحرية واذا نهزموا فسوف ينالون بعض العزاء لذاتهم اذ انهم لم يختاروا بعد بارادتهم الحظ الأسوأ أما بالنسبة لمن تتاح لهم فرصة التحرر دون صراع ولكن فى امكانهم خوض معركة بغية جعل حالتهم حالة من العبودية الدائمة فمثل هؤلاء الرجال حتى اذا ما انتصروا فسوف يخفقون فى المنطقة الأكثر حيوية ، واذا لم يسعدهم الحظ فى المعركة الى حد أقل عن ارادتهم فسوف يكون نصيبهم مع سوء حظهم نكبة انهزامهم .

أما بالنسبة لأهل نابولى فهذه الكلمات تكفى . وبالنسبة لهؤلاء القوط الحاضرين فاننا نخيرهم بين أن ينظموا أنفسهم فيما بعد الى جانبنا تحت شعار الامبراطور العظيم ، أو أن يذهبوا الى ديارهم جملة وهم معصنون ضد الأذى ، ذلك لأنه اذا ما أغفلتم جميع هذه الاعتبارات وتجرأتم برفع السلاح ضدنا فسوف يلتزم الأمر بارادة الله أن نعامل

أى شخص نقابا كأنه عدو اما اذا كانت ارادة أهل نابولى اختيار جانب الامبراطور والتخلص على هذا النحو من عبودية فنية فانى أتعهد بمنحكم تلك المزايا التى كان يأملها اهل صقلية والتى كانوا عاجزين ازاءها عن القول باننا اقسمنا اليمين تضليلا وكذبا •

وهكذا كانت الرسالة التى طلب بيليزاريوس من ستيفانوس أن يعود بها الى الشعب ولكنه وعده سرا بمكافآت وافرة اذا تمكن من حث اهالى نابولى بحسن تصرفه على الوقوف الى جانب الامبراطور وعند قدوم ستيفانوس الى المدينة أبلغ كلمات بيليزاريوس وأبدى رأيه الشخصى انه من غير المناسب القتال ضد الامبراطور • وقد عاونه فى مجهوداته أنتيوخس « الأنطاكى » Antiochus وهو رجل من الشام ولكنه ظل مقيما فى نابولى لمدة طويلة بغرض ممارسة أعمال النقل البحرى وكانت شهرته كبيرة هناك لصفاته الحكيمة والعادلة ولكن كان هناك رجلان يدعيان باستور Pastor واسكلبيودتوس Asclepiodotus وهما متحدثان متدربان ومن وجهاء القوم ضمن اهل نابولى • وكانت تربطهما علاقات ودية مع القوط ويرفضون بالكامل اجراء أى تغير فى حالة الدولة الراهنة ، وحيث أن الرجلين قاما بالتخطيط بشأن كيفية عرقلة المفاوضات ، لذلك قاما بحث الجمهور الغفير على طلب الكثير من الامتيازات الجدية ومحاولة اجبار بيليزاريوس على اعطائهم الوعد المقترن بحلف اليمين حتى يحصلوا على الفور على ما طلبوه • وبعد أن دونت مثل هذه الطلبات فى مستند أعطوها لستيفانوس وعاد هو الى جيش الامبراطور وأبرز الكتاب الى القائد واستفسر منه عما اذا كان ينوى تنفيذ جميع العروض المقدمة من أهل نابولى وأن يحلف لهم اليمين على تنفيذ ذلك • ووعد بيليزاريوس بانه سوف يقوم بالوفاء بجميع طلباتهم من ثم بعثه اليهم مرة أخرى • والآن عندما علم أهل نابولى بهذا تقبلوا تاكيدات القائد على الفور وبدأوا الحث على استقبال جيش الامبراطور داخل المدينة فى الحال ذلك لأنه أعلن انه سوف لا يسبب لهم أى أذى • وكانت حالة أهل صقلية دليلا كافيا لأى واحد منهم لكى يحكم

بنفسه اذ انه – كما أشار – لم بات مصيرهم هذا الا فى زمن قريب العهد بعد أن استبدلوا طغاتهم البرابرة بسيادة جستنيان حتى أصبحوا رجالا أحرارا ومتحررين من جميع المصاعب وحيث انه انتابهم هياج شديد فقد كانو على وشك الذهاب الى الأبواب بغية فتح الأبواب على مصراعيها – ولو أن القوط لم يرتضوا بما كانوا يفعلون الا أنهم كانوا عاجزين عن الحيلولة دون هذا ولذلك تنحوا جانبا عن الطريق .

ولكن قام باستور واسكليبيديوتس باستدعاء الشعب وجميع القوط فى مكان واحد وتحدث كما يلى :

« ليس من الطبيعى بالمرة أن يقوم عامة الناس بمدينة ما بالتخلى عن ذاتهم وأمانهم دون أن يستشيروا أيا من وجهاء القوم وعلى الأخص اذا ما اتخذوا قرارا يخصهم جميعا . ولكن من الضرورى لنا نحن الذين على وشك الهلاك معكم أن نقدم هذه النصيحة الأخيرة اسهاما منا فى خدمة الوطن للمرة الأخيرة . لذلك نرى أيها المواطنون الرفاق أنكم مصممون على التغرير بأنفسكم وبمدينتكم الى بليزاريوس الذى وعد واقسم بانه سيجلب لكم كثيرا من النفع . والآن اذا أمكنه الوعد بأن جيشه سوف يحقق الانتصار فى الحرب فلا يستطيع أحد أن ينكر أن المسار الذى تتخذونه سوف يكون لصالحكم ذلك لأنه من الغباوة عدم ارضاء أى نزوة اذا أصبح سيدا عليكم . ولكن اذا كانت هذه النتيجة غير أكيدة ولا يوجد رجل فى العالم يستطيع ضمان مصير الحظ فانظروا الى نوع الكوارث التى سوف تنتج عن استعجالكم ذلك لأنه اذا تغلب القوط على أعدائهم فى الحرب فسوف يقومون بفرض العقاب عليكم بصفتكم أعداء وعلى أساس أنكم أسأتم اليهم اساءة بالغة ذلك لأنكم تلجأون الى فعل من أفعال الخيانة ليس تحت ضغط الاحتياج وانما نتيجة جبن متعمد . وحتى بالنسبة لبليزاريوس . فاذا أحرز الانتصار على أعدائه فربما نظير بمظهر المخادعين والخائنين لحكامنا وبعد أن نثبت على أنفسنا أننا هاربون فمن المرجح أن يضع

الامبراطور حرسا علينا بصفة دائمة ذلك لأنه ولو أن الشخص الذ
يساعده خائن يكون راضيا فى لحظة الانتصار الا أنه بعد ذلك ينا
بالاشتباه القـائم على ماضى الخائن ويمقت ويخشى غـدره اذ ا
لديه دلائل خداع الآخرين • ومع ذلك اذا أظهرنا اخلاصـنا للقـو
فى الوقت الحالى خاضعين للخطر فانهم سوف يمنحوننا مكافآت حا
اكتسابهم السيادة على العدو واذا تصـادف وكان المنتصر بليزاريوه
فسوف يميل الى الغفران ذلك لأن القصور فى الولاء لا يجازيه أى رج
الا اذا كان قليل الفهم • ولكن ما حدث لكم هل انتم فى حالة من الرع
خشـية أن يحاصركم العدو أنتم الذين تتوافـر لديكم المـؤونة وا
تحرموا من نقص أى من مسـتلزمات الحيـاة ، ومن ثم تسـتطيعو
الجلوس فى دياركم واثقين من التحصينات فى حاميتكم هنا ؟ وفى رأي
فان بليزاريوس لم يكن ليوافق على هذا الاتفاق معنا اذا كان لدي
أمل فى الاسـتيلاء على المدينة عنوة • غير أنه اذا كان هذا هو الذ
يرغبه والذى سوف يؤدى الى منفعتنا ، فينبغى عليه ألا يحاول أن يطر
أهل نابولى أو أن يفرض سلطته الخاصـة بالقيـام بأعمـال جائر
من قبلنا تجاه القوط ولكن ينبغى عليه أن يحارب مع ثيودانتس والقـو
حتى تدخل المدينة فى سلطة المنتصرين دون مخاطرة لنا أو خيانة ،
طرفنـا » •

وعندما انتهوا من الحديث أحضر باستور واسكيدوتس اليهـ
الذين وعدوا بأن المدينة سوف لا تحتاج الى أى من مستلزمات الحياة
كما أن القوط وعدوا من جانبهم أنهم سوف يقومون بحراسـة السـ
الدائرى بأمان • وحيث أن أهل نابولى تأثروا من هذه المجادلات لذ
طلبوا من بليزاريوس أن ينصرف دون ابطاء • ومع ذلك بدأ الحصار
وأجرى عدة محاولات على السور الدائرى ولكنه كان يصد العدو ع
الدوام ويفقد العديد من جنوده وعلى الأخص هؤلاء الذين ادعوا البـ
ذلك لأن سور نابولى كان يتعذر الوصول اليه من جهة بسبب البحـر

ومن جهة أخرى بسبب صعوبة الأرض ، والذين خططوا للهجوم عليها لم يتمكنوا من الدخول الى اية نقطة منها ليس بسبب موقعها الهام فحسب بل أيضا بسبب شدة انحدار الأرض • ومع ذلك قطع بليزاريوس القناة المائية الصناعية التى كانت تجلب الماء داخل المدينة ، ولكنه لم يزعج على هذا النحو أهل نابولى حيث كانت تتوجد براميل مياه داخل السور الدائرى تكفى لتغطية احتياجاتهم ومن ثم لم يشعروا قط بفقدان القنـــاة •

(٩)

وهكذا بعث المحاصرون دون علم العدو الى ثيوداتس فى رومـــا يطلبون منه القدوم لمعاونتهم بأسرع ما يمكن • ولكن لم يكن ثيوداتس مستعدا قط للحرب اذ انه كان بطبيعته خائر الهمة كما سبق القول • ويقولون ان شيئا آخر حدث له وهذا الشيء أفزعه للغاية وجعله أكثـــر قلقـــا • ولكنى من قبـــلى لا أصـــدق هذا الادعاء • فقد كان ثيوداتس حتى قبل هذا الزمن ميالا لعمل اســـتقصاءات من أجـــل التنبـــــؤ بالمستقبل ، وفى الوقت الراهن كان فى حيرة شديدة بما ينبغى أن يفعل فى هذ الموقف الذى كان يواجهه وهى حالة تحث الرجال على البحث عن التنبؤات لذلك استفسر من أحد العبرانيين المشهورين جدا فى مجـــال النبوءة عن نتيجة الحرب • وأمره العبرانى أن يقيد ثلاث جماعات بهـــا عشرة خنازير يضعهم فى ثلاثة أكواخ ، وبعد أن اعطاهم أسماء القـــوط والرومان وجنود الامبراطور على التوالى ، أمره أن ينتظر بهدوء لبضعة أيام • وفعل ثيوداتس ما قيل له • عندما أتى اليوم المحدد ذهبا سويا الى الأكواخ ونظرا الى الخنازير ووجدا أن الخنازير التى أخذت اسم القوط ماتت جميعها ما عدا اثنين ، على حين أن الخنازير التى أخذت اســـم جنود الامبراطور بقت جميعها على قيد الحياة ما عدا عددا قليلا منهـــا أما بالنسبة للخنازير التى أطلق عليها اسم الرومان حدث أنه رغم سقوط الشعر من جميعها الا أن نصف عددها بقى على قيد الحيـــاة وعنـــدما

شاهد ثيوداتس هذا وضمن حقيقة نتيجة الحرب انتابه خوف كبير اذ أنه علم جيدا أن هذا سوف يكون مصير الرومان أى وفاة نصف عددهم وحرمانهم من ممتلكاتهم ، وهزيمة القوط وانخفاض عنصرهم الى عدد قليل منهم وأن الفتح سوف يأتى الى الامبراطور مع فقدان عدد قليل من جنوده ولهذا السبب يقولون أن ثيوداتس لم يشعر بأى قوة دافعة تحثه على خوض معركة مع بليزاريوس ، وفيما يتعلق بهذه القضـــية فلنترك كل واحد يعبر عن نظرياته وفقا لعقيدته أو عدم تصديقه فى هذا الشـــأن .

ولكن بليزاريوس الذى حاصر أهل نابولى برا وبحرا بدأ يشعر بالضيق وفكر أنهم سوف لا يستسلمون له ، وفضلا عن ذلك لم يستطع أن يتوقع أن المدينة سوف يتم الاستيلاء عليها اذ انه وجد أن موقعها يشكل عائقا لا يستهان به ، وانزعج للغاية بسبب اضاعة الوقت ذلك لأنه كان يجرى حساباته لكى يتحاشى الاضطرار للوقوف أمام ثيوداتس وروما فى موسم الشتاء ، وكان قد سبق له أن أعطى أوامر الى الجيش لحزم الأمتعة للرحيل حيث كان ينوى أن يغادر المكان بأسرع ما يمكن — ولكن بينما كان فى حيرة كبيرة تصادف لحسن الحظ أن قابل ما يأتى :

فقد قبض على أحد الأيسوريين وهو يحاول بناء القناة المائية ، واكتشف كيفية توصيل الماء الى المدينة ، لذلك دخل مكانا بعيدا عن المدينة حيث كان بليزاريوس قد قطعه وواصل السير على طول الطريق لا يجد أية صعوبة اذ أن الماء كان قد توقف بسبب اقتحامهم للقناة المائية .

عندما بلغ نقطة ما بالقرب من السور الدائرى إتجه نحو صخر كبير لم يقم الانسان بوضعه فى هذا المكان وانما كان جزءا من التشكيل الطبيعى فى هذا المكان ، والذين بنوا القناة المائية قبل سنوات عديدة مضت بعد أن قاموا بربط بناية الأحجار بهذا الصخر ولصلو الممـــــل

وشقوا نفقا من هذه النقطة وهي ليست عريضة عرضا كافيا وانما تكفي ليتمكن رجل من المرور من خلالها وامداد ممر الماء ، ولم تكن ترعة القناة المائية بذاك العرض في كل مكان ، وواجهة احداها ضيقة في هذا الصخر بحيث يصعب على رجل ما المرور منه خاصة اذا كان يرتدي درعا أو يحمل غطاءا واقيا وعندما لاحظ الأيسوري هذا ، بدا له أنه ليس من المحال للجيش أن يتوغل الى المدينة اذا ما قاموا بشق النفق في هذه النطقة بنسبة يسيرة ، حيث انه كان هو ذاته رجلا متواضعا ولم يتجاذب أطراف الحديث . دائما مع أي من القواد لذلك أبلغ الأمر لبوكاريس Paucaris وهو أيسوري لمع نجمه وارتفع شأنه بين حراس بليزاريوس ، وعليه قام بوكاريس على الفور بابلاغ الأمر بالكلمة الى القائد ، وحيث ان بيليزاريوس فرح بهذا البلاغ لذلك تشجع من جديد ووعد بمكافأة الرجل باعطائه مبالغ وافرة من المال وبالتالي استماله الى اجراء محاولة من المحاولات وأن يشرك معه بعض الايسوريين لشق ممر في الصخر بأسرع ما يمكن ، مع العناية بعدم السماح لأحد أن يتنبه الى ما كانوا يفعلونه ، ثم قام بوكاريس باختيار بعض الايسوريين ممن كانوا لائقين بالكامل لهذا العمل ، ودخلسرا معهم داخل القناة المائية ووصلوا الى المكان حيث كان الممر في الصخر ضيقا وشرعوا في العمل ممتنعين عن قطع الصخر بالصافور أو المعول خشية أن يتنبه الأعداء الى طرقاتهم ويكتشفوا ما كانوا يفعلون ، وانما قاموا بكشطه باصرار بأدوات حديدية حادة ، وتم انجاز العمل في فترة وجيزة بحيث يتمكن رجل ما يرتدي درعا ويحمل غطاء واقيا من التغلغل في هذه النقطة .

ولكن حينما تمت جميع ترتيباته فكر بليزاريوس في أنه اذا ما اضطر الى الدخول مع الجيش الى نابولي حربا فسوف يترتب على ذلك فقدان أرواح كثيرة وسيحدث للمدينة ما يحدث دائما عند اقتحام الأعداء ، لذلك استدعى ستيفانس Stevanos في الحال وتكلم كالآتي :

« لقد شاهدت مرات عديدة الاستيلاء على المدن وعلى دراية تامة

بما يحدث في مثل هذه الحالات ذلك لأنهم يقتلون جميع الرجال من كل الأعمار، وأما بالنسبة للنساء رغم انهن يتمنين الموت الا انهم لا يمنحونهن نعمة الموت وانما يحملونهن للاعتداء الأثيـــم عليهن ويتحملن المعـــاملة المنكرة التي يرثى لها، والأطفال الذين يحرمون على هذا النحو من العناية والتربية المناسبة يجبرون على أن يتجرعوا كأس العبودية بالاضافة الى الرجال الذين يرتكبون ابغض الأفعال حيث يروون على أيديهـــم دمـــاء آبائهم. ولم يقتصر الأمر على هذا يا عزيزي ستيفانس ذلك لأنى لم أذكر الحريق الهائل الذي يدمر جميع الممتلكات ويمحو جمال المدينة. وعندما أرى – كما لو كنت أرى في مرآة المدن التي تم الاستيلاء عليها في الأزمنة الماضية – عندما أرى مدينة نابولي تسقط ضحية لمثل هـــذا المصير فانى أتأثر لدرجة الشفقة عليها وعلى سكانها ذلك لأن مثل هذه الوسائل استكملتها الآن ضد المدينة وأصبح أمر الاستيلاء عليها لابد منه ولكن أرجو أن مدينة كهذه أقدم فيها كل من المسيحيين والرومان(١١) في الأزمنة السحيقة لا تواجه مثل هذا المصير وعلى الأخص على يدى بصفتى قائد وحدات الرومان. وهذا ليس لأن جيشى يتكون من جموع غفيرة من البرابرة الذين فقدوا أخوات أو أقرباء امام أسوار هذه المدينة لأنى سوف أعجز عن التحكم في غضب هؤلاء الرجال اذا ما تم الاستيلاء حتما على المدينة حربيا. وعليه فلا يزال الأمر في وسعك لاختيار المسار الأفضل وتنفيذه سوف يعود عليك بالنفع، فجد بالمسار الأفضل وتحاشى سوء الحظ ذلك لأنه اذا أصبت به ومن المرجح أنه سوف يصـــيبك فسوف لا تلوم الحظ فحسب وانما أيضا حكمك الخاص».

وبهذه الكلمات أذن بليزاريوس لاستيفانيس بالانصراف. وذهب الى شعب نابولي باكيا وأبلغ بالنحيب الحاد كل من كان قد سمع قوله من

---

(١١) تعتبر مدن ايطاليا من أقدم المدن التي عاش فيها القديســـون والحواريون الذين نقلوا تراث المسيحية اليها. (المترجمة)

انظـــر: ... Dewing (op - Cit)

بليزاريوس . ولكن حيث نه لم يقدر لأهل نابولى أن يصبحوا اتباعا للامبراطور دون معاقبة لذلك لم يدخل الخوف فى قلوبهم ولم يقرروا بعد الرضوخ لبليزاريوس .

(١٠)

وأخيرا قام بليزاريوس من ناحيته بوضع الترتيبات اللازمة لدخول المدينة كما يلى : فقد اختار ٤٠٠ (اربعمائة) رجل عند حلول المساء وعين ماجنوس Magnus قائدا عليهم ، وقاد الأخير كتيبه من سلاح الفرسان . وأمرهم اينيس Ennes زعيم الايسوريين جميعهم أن يضعوا دروعهم ويمسكوا أغطيتهم الواقية وسيوفهم والبقاء على هذا الوضع فى هدوء حتى يقوم هو بنفسه باعطاء الاشارة . استدعى بيزاس Byzes وأصدر له الأوامر كي يبقى معه . ذلك لأنه كان يريد التشاور معه فيما يتعلق بموضوع معين خاص بالجيش . وحينما كان كل شيء تيلا على ما يرام شرح لماجنوس واينيس المهمة الملقاة على عاتقهما وأشار الى المكان الذى سبق له أن اقتحم فيه القناة المائية وأمرهم بقيادة الـ ربعمائة رجل داخل المدينة مع أخذ وسائل الاشعال معهم ، كما أنه بعث معهم — رجلين ماهرين — فى استعمال البوق حتى يتمكنوا بمجرد الدخول داخل السور الدائرى من ارباك المدينة واشعار رجالهم بما كانوا يفعلونه وكان يعد هو بنفسه عددا كبيرا من السلالم سبق بناؤها قبل ذلك .

وهكذا دخل هؤلاء الرجال القناة المائية واستمروا فى السير صوب المدينة على حين بقى مع بيزاس وفوتيوس فى مركزه وظل بمساعدتهم يشرف على جميع التفاصيل كما أنه بعث برسالة الى المعسكر يأمر الرجال بالبقاء مستيقظين والاحتفاظ بأسلحتهم فى أيديهم . وفى الوقت ذاته احتفظ بقوة كبيرة بجواره — مكونة من الرجال الذين كانوا فى اعتباره أشجع الرجال . ولأن حوالى نصف عدد الرجال الذين كانوا فى طريقهم

الى المدينة أصابهم الذعر امام الخطر وعادوا ادراجهم وحيث أن ماجنو
لم يتمكن من اقناعهم باتباعه رغم أنه حثهم على ذلك مرارا وتكرار
أنه عاد معهم الى القائد . وبعد أن قام بليزاريوس بتوبيخهم اخذ
٢٠٠ من الوحدات العسكرية وأمرهم بالذهاب مع ماجنوس . و
فوشيوس أيضا قيادتهم ووثب داخل مجرى القناة المائية و
بيليزاريوس منعه عن ذلك . أما الذين هربوا من قبل من الأخذار
شعروا بالخزى من القائد وفوشيوس وتبعوا الآخرين ، وحيث
بليزاريوس كان يخشى أن يتنبه بعض الأعداء من عملياتهم وهم ال
كن لهم حارس يقوم بحراسة البرج الذى تصادف وجوده بالقرب
القناة المائية . لذلك ذهب الى هذا المكان وأمر بيزاس بمواصلة حد
هناك باللغة القوطية مع البرابرة اذ ان غرضه كان الحيلولة دون حد
أى رنين أسلحة يمكن سماعه . وبناء عليه صاح بيزاس فيهم بصـ
عال يحث القوط على الاستسلام لبليزاريوس ووعدهم بمكافآت ك
ولكنهم سخروا منه وانغمسوا فى اطلاق شتائم كثيرة موجهة لك
بليزاريوس والامبراطور . وانشغل بعد ذلك بليزاريوس وبيزاس

والآن فان قناة نابلى لم تكن مغطاة فقط حتى تقاربت اسوار المد
ولكنها ظلت كذلك وامتدت الى اتجاهات بعيدة فى قلب المدينة مـ
قنطرة عالية من الطوب الأجر . لذلك عندما نفذ الرجال تحت قيـ
ماجنوس وإينيس داخل التجسينات عجزوا حتى عن التخمين أين ك
فى هذه الدنيا، وفضلا عن ذلك لم يتمكنوا من مغادرة القناة المائية فى
نقطة منها حتى وصل أغلبهم الى مكان حيث تصادف أن كانت القنـ
المائية دون سقف وحيث كان يوجد مبنى مهجور تماما ، وكان داخل ال
مسكن لامرأة تعيش على انفراد وكان الفقر الكامل رفيقها الوحيـ
وخارجه كانت شجرة زيتون قد ترعرعت على القناة المائية ، وعليه عـ
رأى هؤلاء الرجال السماء ولاحظوا انهم كانوا فى وسط المدينة ـ ر
فى التخطيط بشأن كيفية امكان خروجهم ولكن لم يكن لديهم اية و
لمغادرة القناة المائية سواء بأسلحتهم أو بدونها ذلك لأنه ...

الهيكل عاليا جدا فى هذه النقطة . وفضلا عن ذلك كانت وسائل التسلق الى القمة معدومة • ونظرا لأن الجنود كانوا فى حالة من الحيرة الشديدة وبدأوا يكتظون فى هذا المكان وأيضا لاستمرار تدفق الرجال القادمين من الخلف بدأ حشد غفير يتجمع ، لذلك فكر أحدهم فى محاولة الصعود • وعليه ألقى السلاح وتسلق مستعملا يديه ورجليه حتى بلغ بيت المرأة . وبعد أن ظهرت أمامه هددها بالقتل ان لم تلزم السكوت ، وقد أصيبت بالذعر وظلت صامتة • ثم قام بربط سير قوى الى جذع شجرة الزيتون وألقى بالطرف الآخر داخل القناة المائية • وهكذا تمكن الجنود من امساك هذا الطرف والصعود بصعوبة . وبعد أن صعد الجميع وبقى الجزء الرابع من الليل شرعوا فى الاتجاه الى السور وقاموا بقتل اثنين من حرس الأبرج دون أدنى فكرة عما حدث من قبل الرجال وكان هؤلاء الرجال بداخلها وكانت هذه الابراج تقع على الجزء الشمالى من السور الدائرى •• حيث كان بليزاريوس مرابطا مع بيزاس وفوشيوس وهم مشغولو البال على ما سوف يتمخض عنه الموقف • وعلى حين كان البواقون يستدعون الجيش للقدوم الى السور ، وكان بليزاريوس يضع السلالم قبالة التحصينات يأمر الجنود بالصعود عليها • تصادف أن أيا من السلالم لم يصل الى حافة التراس ذلك لأن العمال لم يقوموا بصنعها على قياس السور وبالتالى تعذر عليهم الوصول الى القياس المناسب • ولهذا السبب تم قيد كل اثنين معا ، وباستعمال هذه الطريقة دون غيرها، تمكن الجنود من الصعود فوق منبسط التراس ، وهكذا سارت مجريات الأمور •

ومن ناحية السور الدائرى الذى يواجه البحر حيث كانت القوات المرابطة للحراسة من غير البرابرة ولكنهم من اليهود ، كان الجنود عاجزين عن استعمال السلالم أو تسلق السور ذلك لأنه سبق لليهود أن أغضبوا العدو وذلك بسبب مجهوداتهم للاستيلاء على المدينة دون معركة ، ولهذا السبب لم يكن لديهم أمل اذا ما وقعوا تحت سيطرتهم • لذلك استمروا يقاتلون بعناد رغم انه كان من المستطاع ملاحظة أن

المدينة كانت على وشك الاستيلاء عليها . وعندما اتى النهار قام بعض الجنود الذين كانوا قد صعدوا الى السور بالزحف ضدهم ، واخيرا ولوا هاربين حيث ان النيران كانت تطلق عليهم ، وتم الاستيلاء على نابولى — ٥٣٦ م — بطريقة عاصفة . وفى هذه اللحظة اقتحمت الأبواب ودخل الجيش الرومانى باكمله . ولكن الجنود الذين كانوا مرابطين بالقرب من الأبواب المواجهة للشرق تصادف عدم وجود سلالم لديهم فاشعلوا النار فى هذه الأبواب التى كانت بالجملة دون حراسة ذلك لأن هذا الجزء من السور — كان مهجورا اذ أن الحراس ولوا هاربين ثم حدثت مذبحة كبرى ذلك لأن جميعهم كانوا فى حالة غضب شديد لا سيما هؤلاء الذين افتقدوا أخا او قريبا قتل فى المعركة أمام السور . واستمروا يقتلون كل من يتصادف وجوده أمامهم دون رحمة لا يفرقون بين الشيوخ أو الشباب . وقد اندفعوا داخل البيوت واسترقوا النساء والأطفال وسلبوا النفائس . وفى هذه الأفعال تفوّق « المساجيتى » Massagetae [(٤٢)] على غيرهم ذلك لأنهم لم يمتنعوا حتى عن سلب الأماكن المقدسة وقاموا بقتل العديد من الذين لجأوا اليها كملاذ لهم الا أن بليزاريوس الذى زار كل جزء من المدينة وضع حدا لهذه الحالة واستدعى الجميع وتحدث اليهم كالآتى :

« بما أن الله أعطانا الفتح وسمح لنا بلوغ أوج المجد وذلك باستيلائنا على مدينة لم يسبق أن استولى عليها أحد ، لذلك ينبغى علينا من جانبنا الا نبرهن على أننا غير جديرين بنعمته ولكن يتعين علينا أن نتحلى بمعاملة انسانية تجاه المقهورين وأن نوضح بكل جلاء أننا انتصرنا على هؤلاء الرجال بالعدل لذلك يجب الا تكرهوا أهل نابولى كرها

---

(٤٢) المساجيتى ينتسبون الى احدى القبائل الاسيوية التى قدمت من وسط آسيا وقد احتلت الأراضى الرومانية شمال نهر الامودارايا . وقد انتسبوا الى القبائل الجرمانية فى الاستيلاء على الأراضى الرومانية وتكوين وطن لهم .
(المترجمة)
Encyclopedia Britanica

لا حد له ولا نهاية ولا تسمحوا لعداوتكم نحوهم بأن تستمر خارج حدود الحرب ذلك لأنه حين ينهزم الرجال فان المنتصرين لن يعودا يمقتونهم •

وسوف تتخلصون من الأعداء فى المستقبل بقتلهم وانما سوف تعانون من فقدان شخص عزيز من خلال وفاة اتباعكم . لذلك كفوا عن ايذاء هؤلاء الرجال واكبحوا جماح الغضب ذلك لأنه من العار السيطرة على العدو والظهور بمظهر من يغلبه الانفعال النفسى ، لذلك عليكم أن تكتفوا بممتلكات هؤلاء الرجال حتى تكون بمثابة مكافأة مقابل جسارتكم، ولكن اتركوا زوجاتهم وأطفالهم وأعيدوهم الى الرجال . واجعلوا المقهورين يعلمون بالخبرة نوعية الأصدقاء الذين افتقدوهم نتيجة النصيحة الحمقاء •

وبعد أن تكلم بليزاريوس على هذا النحو قام بالافراج عن زوجات واطفال أهل نابلى والعبيد اذ انه لم يلمن أو يسب أحدا منهم . وأعاد الوئام بين الجنود والمواطنين وهكذا تحول أهل نابلى بعد أن كانوا أسرى الى الحرية • بالاضافة الى أنه أعاد اليهم ممتلكاتهم ذلك لأنه من أخفى الذهب أو أى شىء ذا قيمة بدفنه تحت الأرض استطاع أن يخفيه عن أعين الأعداء والدليل على ذلك أن من عاد الى داره استرد أمواله أيضا • والحصار الذى كان قد دام لأكثر من عشرين يوما انتهى على هذا المنوال • أما بالنسبة للقوط الذين وقعوا فى الأسر فى المدينة وعددهم كان لا يقل عن ثمانمائة قام بليزاريوس بوضعهم تحت الحراسة وجنبهم اى أذى اذ انه كان يقدرهم تقديرا لا يقل عن جنوده •

أما عن باستور Pastor الذى كان قد قاد الشعب الى مسار الحماقة كما سبق أن بينت هذه الواقعة ، حينما شاهد الاستيلاء على المدينة أصيب بنوبة من السكتة المخية ، وتوفى فجأة رغم أنه لم يسبق له أن مرض أو عانى من أى أذى من أى شخص كان • ولكن اسكليبيديوس الذى ارتبط معه فى هذه المؤامرة تقدم أمام بليزاريوس مع هؤلاء

الوجهاء الذين ظلوا على قيد الحياة . وسخر ستيفانوس منه وقام بسبه بهذه الكلمات :

« انظر يا أحط الرجال الى مدى الأضرار التى جلبتها لوطنك . فقد بعث أمان المواطنين مقابل الولاء للقوط . وفضلا عن ذلك اذا ما سارت الأمور جيدا بالنسبة للبرابرة فسوف تكون قد طالبت بحقك فى أن تكون أجيرا فى خدمتهم وتقديم كل واحد منا الى المحاكمة ، نحن الذين أعطينا أفضل نصيحة وذلك بتهمة محاولة التغرير بالمدينة الى الرومان ولكن الآن بعد أن استولى الامبراطور على المدينة وانقذتنا استقامة هذا الرجل وسمحت لك وقاحتك أن تتقدم الى الامبراطور بكل استهتار كما لو لم تكن قد تسببت فى أى أذى لأهل نابولى او لجيش الامبراطور ، فسوف تنال العقاب الذى تستحقه » . وهكذا كانت الكلمات التى ألقاها ستيفانوس بشدة ضد اسكليبيديوس ، أن كان قد تألم للغاية بسبب سوء حظ المدينة ، وأجاب اسكليبيديوس عليه كما يلى :

« بلا تعمد أيها السيد النبيل أمطرتمونا بوابل من المديح حينما انبتمونا على ولائنا للقوط ذلك لأنه لم يستطيع أحد أن يكون وفيا دوما لأسياده عندما يكونون فى حالة من الخطر فيما عدا اذا كان هذا الموقف نتيجة عقيدة راسخة أما بالنسبة لى فسوف يجد المنتصرون فى ذاتى حارسا حقيقيا للدولة كما وجدوا فى ذاتى عدوا فى وقت قريب العهد اذ أن طبيعة الشخص الذى يتميز بالوفاء لا يتغير عقيدته حينما يقوم بتغيير قدره ، ولكن سوف تستمعون أنتم الى محادثات مهاجميهم اذا وقفت أقدارهم عن الازدهار اسوة بالماضى » . وهكذا كانت كلمات اسكليبيديوس .

ولكن عندما رآه عامة الناس من أهل نابولى عائدا من عند بليزاريوس ، تجمعوا وبدأوا فى القاء المسئولية على عاتقه وذلك عن كل ما حدث لهم . ولم يتركوه الا بعد أن قتلوه ومزقوا جسده اربا اربا .

وبعد ذلك توجهوا الى دار باستور يبحثون عنه . ولما أمر الخدم على أن باستور كان ميتا أبوا أن يصدقوا الا أن قام الخدم بالكشف عن جسد الرجل وقام أهل نابولى بخرقه بسيخ فى نواحى المدينة ثم توسلوا الى بيليزاريوس لكى يصفح عنهم بسبب افعالهم عندما دفعهم الغضب الى ارتكاب هذه الحماقات . وبعد أن نالوا العفو تفرقوا وهكذا كان مصير أهل نابولى .

(١١)

نظر القوط الذين كانوا فى روما الى نيوداتس المكنوف اليدين بدهشة كبيرة ذلك لأنه بالرغم من أن العدو كان بجوارهم الا أنه كان يرفض اشراكهم فى المعركة . ولذلك اشتبهوا فيه معتقدين أنه كان يعوق تحركات القوط تجاه الامبراطور جستنيان بارادته الكاملة . ولم يلق بالا لأى شىء سوى أن يتمكن هو بذاته من العيش فى هدوء ويحصل على أكبر قسط ممكن من المال . وعليه حينما علموا بواقعة الاستيلاء على نابلى شرعوا على الفور فى توجيه كل هذه الاتهامات شدة وعلنا وتجمعوا فى مكان على بعد ٢٨٠ « ستيد »[٤٣] عن روما (اطلق الرومان على هذا المكان اسم ريجاتا[٤٤] ، وبدا لهم من الأفضل أن يعسكروا فى هذا المكان بسبب السهول الواسعة التى تستخدم مرعى للجياد ويجرى النهر أيضا فى هذا المكان ويطلق عليه السكان اسم ديسينوفيوم[٤٥] باللغة اللاتينية لأنه يجرى بعد ١٩ صخرة ، وهى مسافة تبلغ ١١٣ « ستيد » قبل أن يصب داخل البحر على مقربة من مدينة تراسينا ، وبالقرب من هذا المكان يوجد جبل سيرسيوم حيث تقابل أدوسيوس مع سيرسى[٤٦]

(٤٣) الستيد وحدة رومانية قديمة للطول .

(٤٤) بالقرب من تيراسينا Terracina .

(٤٥) الكلمة مركبة من مقطعين Novem, Decen ومعناها تسعة عشر وهو تشكيل قديم والنهر كان عبارة عن قناة تمتد من ابى فوريوم Appii Forum الى تيراسينا Terracina

(٤٦) وقد وردت هذه الأحداث فى الالياذة واوديسيا لهوميروس .

كما يقولون رغم ان القصة تبدو فيه جديرة بالتصديق ذلك لأن هوميروس صرح أن مسكن سيرسى كان يقع على جزيرة ومع ذلك استطيع القول أن هذا هو سيرميوم الذى يمتد بعيدا داخل البحر وهو يشبه الجزيرة حتى انه يبدو بالنسبة للذين يجرون بالقرب منه ، وبالنسبة للذين يسيرون على الشاطىء بحذائه ، يبدو من جميع الوجوه كالجزيرة ولم يدرك المرء أنه خيب أمله فى رأيه السابق الا حين يصعد فوقه • ولهذا السبب ربما أطلق هوميروس على هذا المكان اسم جزيرة • وسوف أعود الى القصة السابقة •

اختار القوط والأيطاليون بعد ان تجمعوا فى ريجاتا ملكا عليهم يدعى فيتيجيس Vittigis والرجل رغم انه ليس من بيت عريق الا أنه سبق له أن اكتسب شهرة كبيرة فى معارك سيرميوم[٧] عندما كان ثيودريك يواصل الحرب ضد الجبيداى •

ولذلك عندما علم ثيوداتس بهذه الوقائع انطلق واخذ الطريق الى رافنا ، ولكن فيتيجس بعث بسرعة أوبراتس Opratis وهو قوطى ، وأعطاه التعليمات باحضار ثيوداتس حيا أو ميتا ، والآن تصادف أن أوبراتس هذا كان معاديا لثيوداتس للسبب التالى : كان أوبراتس يتودد الى امرأة شابة كانت وريثة وعلى جانب وفير من الجمال • ولكن ثيوداتس بفعل الرشوة تمكن من خطبة هذه المرأة لرجل آخر ، لذلك ثارت نفس أوبراتس وأراد الانتقام من ثيوداتس كما أراد أن يؤدى أيضا خدمة لفيتيجيس • ولذلك طارد ثيوداتس بتلهف شديد وحماس • ولم يتوقف واستمر فى المطاردة ليلا ونهارا • ولحق به بينما كان لا يزال فى طريقه ووضعه على ظهره فى الأرض وقضى عليه كذبيحة للقربان — ديسمبر

---

(٧) كانت معارك سيرميوم ايام حكم ثيودريك وامالاسونثا وابنها أثالاريك — وقد خاضها القوط ضد الجبيداى الذين حاولوا ان يستولوا على هذه المدينة • (المترجم)

٥٥٦ م — • وهكذا اختتم ثيوداتس حياته وحكمه الذى كان قد بلغ العام الثالث •

وزحف فيتيجيس Vittigis والقوط الذين كانوا معه الى روما • وعندما علم بما حدث لثيوداتس، اغتبط لهذا الخبر ووضع ثيوديجيسكلوس Theodegisclus ابن ثيوداتس تحت الحراسة ، ولكن بدا له أن ترتيبات القوط غير مكتملة ، ولهذا السبب فكر أنه من الأفضل الذهاب أولا الى رافينا ، وبعدما يقوم باعداد كل شيء هناك بأفضل أسلوب ممكن ، يستطيع بعد ذلك خوض الحرب ، لذلك استدعى جميع القوط وتحدث كالآتى :

« يتوقف نجاح أكبر المغامرات يا أيها الجنود الرفقاء ، على وجه العموم ليس على العمل المتسرع فى اللحظات الحرجة فحسب وانما أيضا على التخطيط الدقيق ذلك لأنه فى كثير من الأحيان جلبت خطة التأخير فى الوقت المناسب أكبر النفع من الخطة المضادة ، والتسرع فى وقت غير مناسب أحبط أمل نجاح العديد من الرجال ذلك لأنه فى كثير من الحالات يكون هناك رجال غير مستعدين رغم أنهم يحاربون بشروط متساوية ، هؤلاء يسهل قهرهم بقدر أكبر عن الذين يدخلون المعركة بأقل استعداد ممكن وقوة أقل ، لذلك فلا نترك الرغبة ترغمنا لنكتسب شرفا مؤقتا يؤذينا أذية لا تعوض ذلك لأنه من الأفضل أن نعانى من الخجل لمدة وجيزة ونكسب مجدا أبديا عن الافلات من السباب فى اللحظة الراهنة وبذلك نترك فى الظلام بعد وقت معين •

ولا شك انكم تعلمون اكثر منى أن جيش القوط الكبير وتقريبا جميع معداتنا موجودة فى غالة والبندقية وفى أبعد الأراضى • وفضلا عن ذلك فاننا نواصل حربا ضد بلاد الفرنج وهى حرب لا تقل أهمية عن هذه الحرب • ومن الحماقة لنا أن نسير فى حرب أخرى قبل تسوية هذه الحرب بطريقة مرضية ذلك أنه من الطبيعى للذين يصبحون معرضين

للهجوم على كلا الجانبين ولا نقتصر يقظتهم على عدو واحد أن يتغلب خصومهم عليهم • ولكنى أقول اننا ينبغى انا الآن أن نذهب رأسا من هنا الى رافينا وبعد قيامنا بانهاء الحرب ضد الفرنج وتسوية جميع أمورنا بأحسن ما يكون وما يمكن • يجب علينا — ومعنا جيش القوط باكمله — أن نحارب ضد بليزاريوس • وارجو من كل واحد منكم الا يحاول أن ينافق فيما يختص بالانسحاب أو التردد وهو ما نسميه هروبا ذا لآن لقب الجبان انقذ العديد على حين أن شهرة الجسارة التى اكتسبها بعض الرجال فى الأوقات السيئة ادت بهم فيما بعد الى الهزيمة ذلك لأن الأمر ليس بأسماء الأشياء، وانما العبرة بالفائدة التى تأتى من الشيء ذلك ن أفعال رجل ما لا تكشف عن قيمته فى بدايتها وانما فى نهايتها • وفيما يتعلق بالاستيلاء على هذه المدينة فلا تتركوا الخوف يدخل فى قلوبكم ذلك لأن الرومان أوفياء لنا وسوف يحرسون المدينة للقوط وسوف لا يلاقون أية مشقة لأننا سنرد اليهم فى خلال فترة وجيزة • ومن جهة أخرى اذا أضمروا لنا أى أذى فسوف يؤذوننا بنسبة أقل من استقبال العدو داخل المدينة لأنه من الأفضل القتال فى العراء ضد أعدائنا • ومع ذلك فسوف أعمل على الا يحدث شيء من هذا القبيل لأننا سنترك فى الخلف العديد من الرجال وزعيما متحفظا للغاية • وسوف يكونون باعداد كافية لحراسة روما بطريقة فعالة الى حد أن الموقف سوف لا يكون لصالحنا فحسب بل أيضا بحيث لا يصيبنا أذى يمكن أن يأتينا من انسحابنا هذا • [illegible]

وهكذا تحدث فيتيجيس وأبدى جميع القوط استحسانا واستعدوا للرحيل • وقام فيتيجيس بعد ذلك بمناشدة سلفريوس Siliverius (٢٨) وهو أسقف المدينة ومجلس الشيوخ وشعب الرومان مذكرا اياهم بعهد ثيودريك ، وحثهم جميعا على الولاء لدولة القوط وحلفهم اليمين الخاصة

---

(٢٨) انتخب سلفريوس بابا على روما سنة ٥٣٦ — ٥٣٧ م •
(المترجمة)

على التصرف على هذا المنوال واختار عددا لا يقل عن اربعمائة رجل وعين نيدريس Leuderis قائدا عليهم . وهو رجل ناضج تمتع بشهرة كبيرة فى الاتزان والتعقل ، وذلك حتى يستطيعوا حراسة روما للقوط ثم شرع فى الرحيل الى رافينا مع بقية الجيش محتفظا بأغلب الأعضاء فى مجلس الشيوخ كرهائن وعندما بلغ هذا المكان . تزوج من ماتاسونثا Matasuntha ابنة امالاسونثا وهى فتاة ذات عمر يؤهلها للزواج . ولكن ضد ارادتها وذلك بغية تأمين حكمة بطريقة أكثر ضمانا باقترانه بأحد أعضاء أسرة ثيودريك وقام بعد ذلك بتجميع القوط من كل ناحيـة لتنظيمهم وتجهيزهم ووزع عليهم الأسلحة والجياد . ولم يتمكن من استدعاء القوط الذين كانوا مرتبطين بمهمة حماية غالة خوفا من الفرنج. وكان يطلق على هؤلاء الفرنج اسم « الجرمان » فى الأزمنة القديمة وسأقوم الآن بسرد كيف وطدت فى بادئ الأمر أقدامهم فى غالة وأين عاشوا قبل ذلك ، وكيف صاروا معادبين للقوط .

(١٢)

عندما يقوم أحد بالابحار من المحيط الى داخل البحر المتوسـط فى جاديرا Gadira (٤٩) فان الأرض التى تقع على الجانب الأيسر كما سبق ذكره فى القصة السابقة تسمى أوروبا ، على حين أن الأرض المقابلة لها تسمى ليبيا ، وهى مسافة أبعد آسيا . والآن فانى عاجز عن التحدث بدقة على المنطقة خارج ليبيا ذلك لأنها خالية من الناس على وجه التقريب ، ولهذا السبب فان المصدر الأول للنيل الذى يقولون انه يتدفق من هذه الأرض صوب مصر غير معروف(٥٠) . ولكن لأوروبا فى

---

(٤٩) تقع جاديرا فى جنوب ايطاليا على البحر المتوسط . (المترجمة)

(٥٠) المعلومات الجغرافية والطبيعة التى يوردها بروكوبيوس غير صحيحة . (المترجمة)

بدايتها بالذات تشبه الى حد كبير البليبونيز(٥١) وتواجه البحر من الجانبين . والأرض التى تقع أولا صوب المحيط والغرب تسمى أسب وهى تمتد لغاية جبال لألب من صف البرانس . واعتاد رجال هـذه البـ تسميتها بالممر الضيق « الألب » . والأرض من هذا المكان حتى حـ ليجوريا Liguria تسمى غالة .

وفى هذا المكان تفصل جبال الب أخرى أهل غالة وأهل ليجو ومع ذلك فان غالة أوسع بكثير من اسبانيا وهى هكذا بطبيعة الحال أوروبا التى تبتدىء بشبه جزيرة ضيقة تتسع بالتدريج اذ ان أحدا تتقدم حتى بلغ عرضا خارقا للعادة ، والمـاء يحاصر هذه الأرض على الجانبين اذ ان المحيط يصطدم بها شمالا وعلى جنوبها البحر المـ بحيرة توسكانى . وتجرى عدة أنهار فى غالة ومن ضمنها الرون والرا ولكن حيث ان مسار النهرين فى اتجاهات معاكسـة لذلك يصب أحدهما بحيرة التوسكانى على حين يصب الراين فى المحيط(٥٢) وهناك بحير كثيرة فى هذه المنطقة حيث عاش الجرمان فى سالف العصر والزمـ وهم دولة بربرية لم يكن لها وزن يذكر فى البداية . ويطلق عليهم ا اسم الفرنج وعاش بعد هؤلاء الاربوريكى(٥٣) وكانوا اتباعا للرومان سالف العصر والزمان ومعهم باقى غالة وأيضا أسبانيا وما بعدهم نـ الشرق استوطن البرابرة الثورنجيان اذ ان أوغسطس كان قد أعطى ا

---

(٥١) البليبونيز « شبه جزيرة المورة » حاليا . هى تسمية يونا قديمة لهذه المنطقة التى كان لها تاريخ حافل فى العصور اليونانية التد وهى مركز للحضارة الهيلينية بدا الصقالبة يتدفقون عليها رغم ذلك حافظ على مركزها الحضارى . (المترجمة) .

(٥٢) هذه الجملة الغامضة المقصود بها وصف الاقليم الذى يقع فى خـ الراين وكان فى هذه الآونة أرض وغابات ومستنقعات . (المترجمة)

(٥٣) هذا الشعب الذى اطلق عليه بروكوبيوس لقب الاربور المفروض انهم الأرموريكى Armorici واذا كانوا هم لهم يسكـ الشاطىء المعروف باسم بلجيكا Belgium .

هـذه البـلاد[٥٤] • ولم يعـش البرجنـديين بعيـدا عنهم تجـاه الجنـوب[٥٥] وعاش السـويفى[٥٦] ايضـا ما بعـد الثـورنجيان والألمانى[٥٧] وهى دول قوية كل هؤلاء استوطنوا هناك كشعوب مستقلة فى الأزمنـة المبـكرة •

حيث ان الوقت كاد ينقضى لذلك اقتحم القوط الغربيون Visigoths الامبراطورية الرومانية واستولوا على اسبانيا باكملها وكذا جزءا من غالة الذى كان يقع ما بعد نهر الرون[٥٨] وجعلوها تابعة لهم •

وفى غضون ذلك تصادف ان أصبح الأربوريكى جنودا للرومان • وحيث ان الجرمان ارادوا اخضاع هذا الشعب لهم بسبب قرب اقليمهم منهم وكانوا قد غيروا الحـكم الذى عاشوا تحته فى سـالف العصر والزمان ، لذلك قاموا بسلب أرضهم • وبما أنهم كانوا متلهفين لشـن الحرب ، لذلك زحفوا هم مع شـعبهم باجمعه ضـدهم • ولكن اثبت الأربوريكى جسارتهم وولاءهم للرومان وأظهروا بسالة فى هذه الحرب• وحيث ان الجرمان لم يتمكنوا من التغلب عليهم عنوة لذلك أرادوا أن يتوددوا اليهم وربط الشعبين بأواصر النسب والتزاوج ولم يعـارض الأربوريكى على هذا العرض بتاتا ذلك لأن كلا الشعبين من المسيحيين • وبهذه الطريقة اتحدا فى شعب واحد وأصبح لهما قدرة كبيرة •

والآن كان هناك جنود رومان آخرون مرابطون على حدود غالة لكى يؤدوا خدمة الحراسة • وحيث ان هؤلاء الجنود لم يكن لديهم وسائل العودة الى روما وفى الوقت ذاته كانوا رافضين الاستسلام الى أعدائهم الذين كانوا من الأريوسيين لذلك قاموا باعطاء أنفسهم مع

---

(٥٤) تقع الآن فى الجنوب الشرقى لالمانيا •

(٥٥) تقع الآن فى الجنوب الشرقى لفرنسا •

(٥٦) عاشوا فى المنطقة بين موطن الجرمان والبرجنديين •

(٥٧) فى منطقة بلغاريا الحالية •

دعاماتهم العسكرية والأرض التى ظلوا يحرسونها للرومان منذ مدة طويلة الى الأربوريكى الجرمان[٥٩] . وعلموا ذريتهم جميع عادات آبائهم التى احتفظوا بها على هذا المنوال وحتى الوقت الرهن فانهم معترف بهم على أساس أنهم ينتمون الى الفيالق التى كانوا معينين عليها عند الخدمة فى الأزمنة القديمة ، ويحملون على الدوام دعاماتهم الخاصة عندما يخوضون المعركة ويتبعون على الدوام عادات وتقاليد آبائهم . كما أنهم يلبسون لباس الرومان بحذافيرها ، حتى فيما يتعلق بأحذيتهم .

وطالما بقى نظام حكم الرومان دون تغيير احتفظ الامبراطور بجميع غالة حتى نهر الرون . ولكن حينما قام اودواكر بتحويل الحكم الى الاستبداد — ٤٧٦ م — وبما أن الطاغية استسلم لهم لذلك استولى القوط الغربيون على غالة بأكملها وحتى جبال الألب التى تحدد الحدود بين غالة وليجوريا ، ولكن بعد سقوط اودواكر بدأ الثورنجيون والقوط [redacted]

(٥٨) تقع غرب نهر الرون .

(٥٩) [redacted] على قبيلة الفرنجة [redacted] الجرمان . وهو اللقب العام لجميع هذه الشعوب . (المترجمة)

فيما بعد دخل الفرنج والقوط فى حلف دفاعى ضد البرجنديين ووافقوا على وجوب ارسال جيش ضدهم • كما أنهم وافقوا على انه اذا ما تغيب أى جيش حين يذهب الآخر الى الميدان ويقوم باسقاطهم ويكتسب الأرض ففى هذه الحالة ينبغى على المنتصرين أن ينلقوا مبلغا ثابتا من الذهب من هؤلاء الذين لم ينضموا الى الحملة كغرامة وان تستولى على الأرض بناء على هذه الشروط • وهكذا ذهب الجرمان ضد البرجنيين ومعهم جيش كبير وفقا لاتفاقية فيما بينهم وبين القوط • ولكن ثيودريك كان لا يزال مشغولا بترتيباته كما قال ، وظل يرجىء عن قصد مغادرة الجيش الى اليوم التالى منتظرا ما قد يتمخض عنه الموقف • وفى نهاية الأمر ارسل الجيش ولكنه أمر القواد بالزحف دون عجلة واذا ما علموا أن الفرنج انتصروا فعليهم أن يذهبوا بعد ذلك بسرعة اما اذا علموا أن نكبة قد حلت بهم فعليهم أن يتوقفوا ويبقوا فى المكان الذى وصلوا اليه • وعليه شرعوا فى تنفيذ أوامر ثيودريك وفى غضون ذلك اشترك الجرمان والبرجنديون فى المعركة دون سواهم ودخلت المعركة فى دور من النضال العنيد ووقعت مذبحة كبيرة على كلا الجانبين ذلك لأن الصراع كان متكافئا للغاية • وفى نهاية الأمر تمكن الفرنج من تشتيت فلول عدوهم ودفعوا بهم الى حدود الأرض التى كانوا يسكنون فيها فى ذلك الوقت حيث كانت لديهم قلاع كثيرة ، على حين استولى الفرنج على كل ما تبقى • وعندما علم القوط بهذا أتوا بسرعة على مقربة منهم • وحينما قام حلفاؤهم بتأنيبهم تأنيبا حادا فقد القوا التبعة على صعوبة الأرض وبعد أن قاموا بدفع مبلغ الغرامة اقتسموا الأرض مع الظافرين وفقا للاتفاق المبرم • وهكذا ظهر بعد نظر ثيودريك أكثر وضوحا عن ذى قبل ، ذلك لأنه مع قليل من الذهب كان قد اكتسب نصف أرض عدوه دون فقد أى شخص من أتباعه وهكذا استولى القوط والجرمان فى البداية على جزء محدد من غالة •

فيما بعد حينما تمت قدرة الجرمان أكثر فأكثر بدلوا ، يستخفون بثيودريك والعلم الذى كان يوحى به ، وعليه نزلوا الى ميدان المعركة

ضد الاريك والقوط الغربيين ، وعندما علم الاريك بهذا استدعى ثيودريك باسرع ما يمكن وشرع فى معاونته ومعه جيش كبير • وفى غضـــون ذلك حيلما علم القوط الغربيون أن الجرمان كانوا فى معسكر بالقرب من مدينة كاركاسيانا(٦٠) ؛ ذهبوا لمقابلتهم وبعد أن أقاموا معسكرا ظلوا فى حالة من الهدوء ولكن بما أنهم قضوا وقتا وافرا فى عرقلة العدو بهذه الطريقة •• فلذلك انتابهم الاستياء وحيث انهم شاهدوا العدو يقـــوم بسلب أرضهم لذلك سخطوا عليهم •

وفى نهاية الأمر انهالوا على الاريك بالسباب بسبب خوفه من العدو ووجهوا اليه توبيخا بتهكم لاذع بسبب تأخير صهره ذلك لأنهـــم أعلنوا انهم هم انفسهم كانوا ندا للعدو فى المعركة وأنه بالرغم من عدم المعاونة الا أنهم يستطيعون التغلب بيسر على الجرمان فى الحرب • ولهذا السبب اضطر الاريك الى الاشتباك مع العدو ـ ٥٠٧ م ـ قبل وصول القوط وحيث ان الجرمان كان لهم اليد الطولى فى هذا الاشتباك لذلك قتلوا أغلب القوط الغربيين وحاكمهم الاريك • ثم استولوا على أكبـــر جزء من غالة واحتجزوه وحاصروا كاركاسيانا بحماس كبير لأنهم كانوا قد علموا أن الكنز الملكى كان مدفونا هناك وكان الريك الكبير فى الأزمنة الماضية قد أخذها ـ كغنيمة عندما إستولى على روما ـ ٤١٠ م ـ • وكان أيضا من ضمن هذه الكنوز كنوز سليمان ملك العبرانيين(٦١) • وكان أغلبهم يتزين بالزمرد الذى استولى عليه الرومان فى قديم الأزمنة من القدس(٦٢) • ثم أعلن من بقى حيا من القـــوط الغربيين ان جيزليـــك

(٦٠) فى غالة وتسمى تريولة ولسمها الآن برتشونة وقد اخطـــأ بروكوبيوس حيث دارت المعركة التى وصفها بجوار بواتييه . (المترجمة)

(٦١) يقصد بذلك سيدنا سليمان .

(٦٢) عندما استولى تيكوس Titus على روما سنة ٧٠ م انتقل جزء الكنز المشار اليه من روما سنة ٤١٠ م وما تبقى من كنوز اليهـــود وأستولى عليه جزريك حاكم الوندال . عندما غزا روما سنة ٤٥٥ م . انظر : Dasnealyt op. cit.

Gislec ابن غـير شرعى لألريك ذ ان آمالاريـك Amalric
ابن شقيقه ثيودوريك كان لا يزال طفلا صغيرا • وبعد ذلك عندما اتى ثيودوريك ومعه جيش القوط . صار الجرمان خائفين وحلوا الحصـار .
وهكذا انسحبوا من هناك واستولوا على جزء من غالة فيما بعد نهـر الرون حتى المحيط وحيث أن ثيودوريك كان عاجزا عن اخراجهم من هناك .
لذلك صرح لهم بالاحتفاظ بهذا الاقليم ولكن هو ذاته قام باسترداد باقى غالة وبعد أن وضع جيزليك خارج الطريق ومنح حكم القوط الغربيين لحفيده أمالاريك وكان بالنسبة له منذ طفولته وصيا عليه • وبعد ان اخذ النقود بأكملها المودعة فى مدينة كاركاسيانا — سار بسرعة عائدا الى رافينا • وبالاضافة الى ذلك استمر فى ارسال قواد وجيوش داخل غالة واسبانيا ويتولى السلطة الحقيقية بذاته وبما أنه كان من الشروط أن يتولاها بأمان وبصفة دائمة . لذلك أصدر أمرا بأن يقوم حكام هذه البلدان بأداء اتاوة له ورغم انه تلقى هذه الاتاوة كل سنة الا أنه أرسلها كهدية سنوية الى جيش القوط والقوط الغربيين حتى لا يعطى الاحساس بأنه جشع • ونتيجة لذلك قام القوط والقوط الغربيون بخطبة أطفالهم لبعضهم البعض بمرور الوقت اذ ان رجلا واحدا كان يحكمهم ويحتفظ بذات الأرض ، ومن ثم ضم المنصرين فى النسب •

فيما بعد تزوج ثيوديس وهو قوطى كان ثيودوريك قد أرسـله بصفته قائدا للجيش تزوج امرأة من اسبانيا • ولم تكن هذه المـرأة من عنصر القوط الغربيين لكنها كانت تنتمى الى بيت أحد السكان الأثرياء لتلك الأرض • ولم يمتلك هذا الرجل ثروة كبيرة فحسب بل أيضا ضيعة كبيرة فى أسبانيا • ومن هذه الضيعة جمع حوالى ٢٠٠٠ ألفين من الجنود وأحاط نفسه بقوة خاصة من الحرس وعلى حين كان حاكما على القوط بفضل انعام ثيودوريك عليه • كان بالفعل طاغية مالئة فى المائة •

ولكن ثيودوريك الذى تميز بالحكمة والذكاء الى أعلى درجة متخوفا

من مواصلة الحرب ضد عبده الخاص خشية أن يقوم الفرنج بارتياد الميدان ضده بطبيعة الحال ، أو من شروع القوط الغربيين فى حركة تمرد ضده • وبناء عليه لم يعزل ثيديس Theudis من منصبه بل استمر فى اصدار الأوامر اه كلما ذهب الجيش للقتال • ومع ذلك أعطى تعليمات الى أول رجل من القوط كى يكتب لثيديس بانه سوف يتصرف تماما وبطريقة جديرة بحكمته اذا ما جاء الى رافينا ليحيى ثيودوريك ورغم أن ثيديس نفذ جميع أوامر ثيودوريك ولم يقصر فى ارسال الاتاوة السنوية الا أنه سوف لا يوافق على الذهاب الى رافينا أو على الوعد للذين كتبوا له بانه سوف يتصرف على هذا المنوال •

(١٣)

وبعد أن ترك ثيودريك هذا العالم « توفى » —(٥٢٦ م)— نزل الفرنج الى ميدان المعركة ضد الثورينجيان اذ أن الطريق كان خاليـا لهم دون مواجهة أى شخص يقاومهم . ولم يقتلوا زعيمهم هيمينيفريدس فحسب ولكنهم أخضـعوا أيضا الشعب باكمله لهم •• ولكن زوجـة هيرمينفيريدس Hermenefridus أخذت أطفالها وهربت سرا متجهة الى شقيقها ثيوداتس الذى كان يحكم القوط فى ذلك الوقت • وبعد ذلك قام الجرمان بشن هجوم على البرجنديين الذين بقوا على قيد الحياة اثر الحرب السابقة وبعد أن هزموهم فى المعركة قاموا بحصر زعيمهم فى احدى قلاع البلد ووضعوه تحت الحراسة فى حين أخضعوا الشعب لهم ، واجبروهم بصفتهم أسرى حرب على الزحف معهم منذ ذلك الحين ضد أعدائهم • كما أنهم أخضعوا لهم كامل الأرض التى سبق للبرجنديين أن سكنوا فيها • واصيب املريك Amalric الذى كان يمارس حكمه على القوط الغربيين بالهلع عندما تولى القوط السلطة ولذلك تزوج من شقيقة ثيديبرث Theudibert حاكم الجرمان وقام باقتسام غالة مع القوط وابن عمه أتالاريك Atalric ونال القوط الأرض الواقعة شرق

نهر الرون وهى بمثابة نصيبهم على حين أن الأرض الواقعة فى الغرب وقعت تحت سيطرة القوط الغربيين .

وقد تم الاتفاق على أن تبطل الاتاوة التى فرضها تيودوريك لتدفع الى القوط وقام أتالاريك Atalric بامانة وعدل برد جميع الأموال التى كان قد أخذها من مدينة كاركاسانيا الى أمالاريك Amalric .

وحيث ان هاتين الدولتين اتحدتا بالتزاوج لذلك سمحنا لكل رجل كان قد تزوج من زوجة من الشعب الآخر أن يختار اما اتباع زوجته او احضارها بين أهله وشعبه . وكان هناك العديد ممن قادوا زوجاتهم الى أهل الشعب الذى يفضلونه وأيضا كان هناك العديد ممن انقادوا بواسطة زوجاتهم .

فيما بعد أساء أمالاريك الى شعور زوجة شقيقه لذلك كان يعانى من نكبة كبيرة ذلك لأنه على حين كانت زوجته تتبع المذهب القويم « الارثوذكس »[63] اتبع هو بدعة اريوس وسوف لا يسمح لها بالوفاء بعقائدها الاعتيادية أو أداء طقوس الدين وفقا لتقاليد آبائها ، وفضلا عن ذلك حيث انها كانت تأبى أن تستجيب الى عاداته ، لذلك كان ينظر اليها بعين الازدراء .

وحيث ان المرأة كانت غير قادرة على تحمل هذا ، لذلك قامت بافشاء الأمر باكمله الى شقيقها . لهذا السبب شرع الجرمان والقوط الغربيون فى الحرب فيما بينهم ، وكانت المنافسة فى المعركة شديدة لمدة طويلة . ولكن أمالاريك Amalric انهزم فى آخر الأمر وفقد العديد من رجاله وقتل هو ذاته فى هذه المعركة . وأخذ ثيديبرت Theudibert وشقيقته المال باكمله وجزءا مساويا لنصيب القوط الغربيين من غلة ،

(٦٣) كان هؤلاء جميعا تابعين لمذهب التابليوس المعادى لاريوس .
(المترجمة)

ومن بقي حيا من المقهورين وهاجر من غالة مع زوجته وأطفاله وذهب الى ثيديس في اسبانيا الذى سبق أن لعب دور الطاغية علنا • وهكذا فعل القوط والجرمان واستولوا على غالة •

فيما بعد[٦٢] قام ثيوداتس حاكم القوط عندما علم أن بليزاريوس كان قد قدم الى صقلية قام بعقد اتفاق مع الجرمان (العدو) حيث تم الاتفاق على أن يكون لدى الجرمان هذا الجزء من غالة الذى كان من نصيب القوط وأن يتسلموا ٢٠ (عشرون) سنتيناريا من الذهب وفى المقابل ينبغى عليهم أن يعاونوا القوط فى هذه الحرب • ولكنه قبل تنفيذ الاتفاق قدر المقدور له وكان لهذا السبب أن قام العديد من نبلاء القوط مع زعيمهم ماركياس Marcias بمهمة الحراسة فى غالة ، وكان هؤلاء الرجال الذين عجز فيتيجيس Vittigis عن استدعائهم من غالة ، ولم يعتقد حقا أن عددهم يكفى لمناواة الفرنج الذين يحتمل جدا أنهم سوف يكتسحون كلا من غالة وايطاليا ، اذا ما قام بالزحف مع جيشه الكامل ضد روما • لذلك استدعى جميع من كانوا موالين له ضمن القوط وتحدث كما يلى :

« ان النصيحة التى أردت أن أعطيكم اياها بعد أن جمعتكم هنا فى الوقت الراهن ليست نصيحة سارة ولكن هى ضرورية ذلك لأن الأمور لا تسير كما يريد الرجال فمن غير المناسب لهم أن يتصرفوا بترتيباتهم الحالية غير عابئين بالحاجة أو الحظ •

والآن ترتيباتنا للحرب فى أحسن حالة من جميع الوجوه الأخرى ، ولكن يجدر الاشارة أن الفرنج يشكلون عائقا لنا • وقد بذلنا حياتنا ومالنا ضدهم وهم أعداؤنا منذ القدم ، ومع ذلك وقفنا فى الصمود حتى الوقت الحاضر اذ انه لم تقم أى قوة عدائية أخرى بمواجهتنا • ولكن

(٦٢) اقتصر بروكوبيوس روايته التى قطعها باستطرادات كبيرة بدات من جزء ١٢ ، ١ .

الآن حيث انه يتعين علينا أن نسير ضد أى خصم لذلك فمن الضرورى أن نضع حدا للحرب ضدنا • وفى المقام الأول اذا ما ظلوا معادين لنا فسوف يرتبون أنفسهم بكل تأكيد مع بليزاريوس ضدنا ، ذلك لأن الذين يواجهون ذات العدو يميلون بطبيعة الحال الى انماء علاقات الصداقة والتحالف مع بعضهما البعض وفى المقام الثانى ، فاذا واصلنا الحرب على انفراد ضد كل جيش فسيكون مصيرنا القهر على أيدى كل منهم لذلك فمن الأفضل لنا أن نتقبل الاقلال من الخسارة والحفاظ على أكبر جزء من مملكتنا عن تلهفنا للاستحواذ على كل شىء يدمره العدو ونفقد فى نفس الوقت السلطة والسيادة باكملها، لذلك أرى انه اذا أعطينا أقاليم غالة للجرمان ومع هذه الأرض جميع الأموال التى وافق تيوداتس أن يعطيها لهم فسوف لا يتحولون من عداوتهم لنا فحسب وانما سوف يمدون يد المعونة لنا فى هذه الحرب •

ولكن عند نحسن أحوالنا . فهاهى طريقة اعادة الاستيلاء على غالة، سوف لا يدخل أحدكم فى الاعتبار هذه المسألة فى وقت لاحق ، هناك مثل قديم يدور فى مخيلتى يقول « ضع حلا مناسبا للامور فى الوقت الراهن » •

وعند الاستماع الى هذه الخطبة تمنى القوط تنفيذها حسب مصالحهم وبناء عليه فوضوا مندوبين عنهم فورا الى بلاد الجرمان بغية منحهم أراضى بلاد غالة بالاضافة الى الذهب ، وتوقيع اتفاقية تحالف هجومية ودفاعية • وكان زعماء الفرنج فى هذا الزمن ايدلبرت Idelbert وتوديبرت Theudebert وكلوداريوس Cloderius تسلموا بلاد غالة واقتسموا الأراضى بينهم وفقا للمناطق التى يحكمونها • كما اتفقوا على المزيد من الصداقة مع القوط وأمدوهم سرا بالجيوش المساعدة من غير الفرنج بل جنود من أتباع الدول الخاضعة لسيطرتهم ولما استحال عليهم عقد تحالف علنى معهم لمواجهة الرومان بعد أن

سبق لهم الاتفاق منذ فترة وجيزة على مساعدة الامبراطور فى
الحرب عاد المندوبون الى رافينا بعد انهاء ماموريتهم فى هـذه
أرسل « فيتجيس » انذارا الى « ماركياس » واتباعه ٠

(١٤)

أثناء قيام فيتجيس Vittigis بهـذه المفاوضات أج
بليزاريوس استعداداته للتوجه الى روما ، لذلك اختار ثلاثمائة ر
من قوات المشاة بقيادة « هيروديان » Herodian وكلفهم بحر
مدينـة نابولى ، كمـا بعث الى مدينـة كـومى حاميـة عـ
اعتقـد أنها كافيـة لحراسـة قلعتها — فلم تكن هنـاك استحك
قوية فى كمبـانيا ما عـدا تلك الموجـودة فى نابولى وكومى —
كومى كانت المنطقـة المسـكونة خارج الكهف المعـروف بكم
سـيبل كما أن كومى تقع على ساحل البحـر على بعد مائـة و
وعشرين ستاد « الاستاد يوازى ٤٠٠ قدم تقريبا من نابولى » و
اضطر بليزاريوس أن يجهز جيشه ويكون على اهبة الاستعداد .
أهل روما كانوا خائفـين من أن تحل عليهـم الويلات ، فرأوا أن
المستحسن السماح لجيش الامبراطور بدخول المدينة حتى لا يحدث
ما حدث مع أهل نابولى .

وبالاضافة الى ما حدث فقد حثهم سيلفريوس Silvirius
أسافقة المدينة على المضى فى هذا الاتجاه ، لذلك فقد بعثوا فيديلو
Videlius وهو من ميلانو الكائنة فى ليجوريا وهو منشـ
« أتالاريك » السابق (يطلقون الرومان اسم كويستور(٦٥) على

(٦٥) يتمتع الكويسـتور بمنصب هام على اسـاس انه مستش
للامبراطور فى الأمور القانونية ومن مهامه صياغة ونشر القوانين الجدي

هذا الرجل » . ليدعو بليزاريوس للحضور الى روما بعد أن وعدوه بتسليمه المدينة بدون قتال لذلك فقد خرج بليزاريوس بجيشه من نابولى على الطريق « اللاتينى » تاركا أعلى شماله طريق ابيان والذى انشاه ابيوس قنصل الرومان منذ مئة سنة من قبل وأطلق اسمه عليه فيما بعد .

يبلغ طول طريق ابيان مسافة رحلة تستغرق خمسة أيام بالنسبة للمسافرين الذين لا يثقلون أنفسهم بالأمتعة لامتداده من روما الى كابوا Capua كما يتسع عرض الطريق لعربتين تسيران فى عكس الاتجاه . ويعتبر هذا من أجمل المناظر العالمية ذلك لأن حجرها بصفة عامة من حجر الرحى[٦٦] الصلب بطبيعته . اذ قام أبيوس بتقطيعه فى محاجر بعيدة ونقلها هناك . ولا يوجد مثيلها فى هذه المنطقة[٦٧] . وبعد تقطيع الأحجار لتكون منبسطة ومسطحه وتتنوع الى أشكال متعددة الجوانب ، جمعها مع بعضها البعض دون ضمها بالأسمنت أو غيره . وقد تم احكام الربط بينها بدقة . وسداد التوصيلات بينها حتى يخيل للناظر أنه ليس هناك ربط بينها بل انها التحمت تماما . وحتى بعد مضى هذه الفترة الطويلة من الزمن وبعد مرور العديد من العربات والحيوانات يوميا عليها لم تنفصل عنها التوصيلات ولم يتآكل الحجر أو تقل كثافته ولا يزال يحتفظ بلمعانه .. هذا اذن هو طريق « ابيان » .

وبالنسبة للقوط المكلفين بالحراسة فى روما ، فلم يهتموا بالأمر الا بعد علمهم باقتراب العدو الوشيك ، وبعد أن علموا بقرار الرومان فقد

---

(٦٦) وهو المعروف بالبازلت وقد بناه ابيوس ، كلوديوس الذى كان مراقبا سنة ٣١٢ م — فى افتتاح شبكة الطرق الحربية — وعرفت الطريق باسمه ويبدأ من الباب الابيوسى ويسير عبر لاتيوم — كامبانيا — سامنيوم — وابوليوم حتى ميناء برنديزى ويصل الى الشرق . (المترجمة)

(٦٧) يظهر أن هناك خطأ حيث انه بسبب البراكين لقد وجدت حجارة كثيرة على طول الطريق . (المترجمة)

اعتصموا بالمدينة ولكن نظرا لعجزهم عن مقاتلة الجيش المهاجم فى ا
فقد شعروا مسبقا بالهزيمة ولكن فيما بعد وبعد الحصول على مو
الرومان فقد رحلوا على التو متوجهين الى رافينا واعتقد أن ق
« لدريس » Leuderis شعر بالخذى من موقفه — فلم يبرح
وحدث فى نفس اليوم وفى نفس الوقت أثناء دخول بليزاريوس و
الامبراطورى فى روما تحت البوابة المسماة «بوابة آزينريان» أن ا
القوط خارج المدينة من خلال بوابة أخرى مسماة فلامنيان ، هذا
خضعت روما لسيطرة الرومان مرة أخرى بعد مضى ستين عاما فى
التاسع من الشهر الأخير المعروف بـ « ديسمبر » عند الرومان —
وفى العام الحادى عشر من عهد الامبراطور جستنيان ٥٣٦ م —
بليزاريوس « الان لودريس » قائد القوط ومعه مفاتيح البوابـ
الامبراطور ولكنه وجه اهتمامه الى الحائط الدائرى المدمر فى ا
من أجزائه . واعادة بناء جناح على المسافات على طول سور القـ
وأضاف سورا وثانيا على الجانب الأيسر[٦٨] . لوقاية المقاتلين على
من المهاجمين والقذائف التى تنهال عليهم من مهاجمى السور على الـ
الأيسر كما حفر خندقا أمام السور ذا عمق كاف يقوم بدور فعال
فى الدفاع ، وليتضح الرومان من انجازات القائد وخاصة خبرته
تجهيز سور القتال — ولكنهم تعجبوا كثيرا وتملكهم الغضب لمجرد
القائد فى الدخول الى روما اذ ستكون الثكنة فى حالة الحصار د
وذلك لاستحالة حصار المدينة وتموينها حيث انها تبعد عن البحر و
لتحصنها داخل أسوار مرتفعة [٦٩] وفوق سور هذه المدينة مقدمة
سهل متساو تماما وسهل للمهاجمين اقتحامها ، هذا وبالرغم من الا

الى كل هذه الانتقادات فان بليزاريوس استمر فى تجهيز الاستعدادات لمقاومة الحصار وقام بتخزين الغلال التى احضرها معه على سفنه داخل صوامع عامة وزودها بالحراسة وأرغم الرومان على احضار كافة المواد التموينية لديهم من الريف رغم سخطهم على ذلك .

(١٥)

فى هذا الوقت تطوع « بيزاس » Bezas أحد القوط المقيمين أصلا فى مقاطعة « سامنيوم » Saminum فى خدمة بليزاريوس وسيتصرف كذلك كل مواطنى القوط المقيمين فى هذه المقاطعة . وانضم اليه نصف مقاطعة « سامنيوم » الممتده على ساحل البحر وحتى النهر الذى يجرى وسط هذه المقاطعة . ورفض القوط المقيمون على الضفة الأخرى من النهر ــ الانضمام الى بيزاس أو الخضوع لسيطرة الامبراطور . وقد سلمه بليزاريوس عددا قليلا من الجنود لمساعدته فى حراسة هذه المقاطعة وحتى قبل هذه الفترة خضع كل أهالى كلابريا Calebrian وابوليا Apulians من تلقاء أنفسهم لبليزاريوس لعدم وجود قوم من القوط فى أراضيهم وكانوا فى الأصل يقيمون على السواحل والآخرون داخل الأراضى .

ومن بين المدن الداخلية تقع مدينة « بنفنتو » المعروفة عند الرومان قديما بـ « ماليفنتوس » تجنبا للاسم القديم الذى يذكر بالشر « منتوس » « الريح » باللغة اللاتينية [illegible] ويرجع ذلك لأن أهلها [illegible] الكائنة أمام المدينة على الساحل الأكثر من البحر تهب عليها ريح عاصفة ، وعندئذ يستحيل على أى رجل السير فى الطريق ، ويضطر سكانها جميعا الى الايواء داخل المنازل والانتظار . وقد بلغت قوة الريح درجة انها تحمل

---

(٢٠) كان الاسم فى الأصل « ماليفنتوم » تعبيرا من قبائح [illegible] السلبية [illegible] الكبرى من ايطاليا . (المترجمة)

رجلا وجواده وتطيح بهما فى الهواء ثم تقذفهما فى بوابة الى مسافة بعيدة تقذفهما على الأرض أينما كانا وتقتلهما ، وقد حدث فى هذه الأونة أن تنفينتو تواجه دالماشيا كما سبق أن نوهت وهى مرتفعة لذلك فانها تعرضت الى بعض الضرر المتسبب عن هذه الريح .

شيد ديوميدس Diomedes بن تايدوس Tydeus هذه المدينة قديما بعد طرده من ارجوس Argos (٧١) على اثر سقوط طروادة . وترك للمدينة كرمز له أنياب الخنزير « الكاليدونى » Calydonian وكان عمه ميليجر Meleager قد حصل على الأنياب كجائزة صيد وهى لا تزال هناك حتى وقتى هذا ، منظرها جميل ومفيد اذ تبلغ ما لا يقل عن سبعة وعشرين بوصة وهى هلالية الشكل يقال أن فى هذه المدينة تقابل أيضا ديوميدس Diomedes مع اينياس Aeneas ابن أنشيز Anchises اثر عودته من اليوم وتلبيته لطلب الآلهة ووهب له تمثال أثينا الذى اغتنمه بمصاحبة أوديسيوس عندما دخل الاثنان طروادة للتجسس قبل أن يقتحمها الاغريق ، ويروبان قصته على أنه سقط مريضا فى وقت لاحق وأجرى بحوثا عن مرضه وأجابت الآلهة أنه سوف لا يشفى من مرضه الا بعد أن يهدى هذا التمثال الى أحد رجال طروادة ، وعن مكان وجود هذا التمثال فى العالم يعترف الرومان بعدم علمهم بمكانه ، ولكن حتى وقتى هذا أخرجوا نسخة منه منحوتة على نوع معين من الحجر فى معبد « فورتون » Fortune بجوار تمثال « أثينا البرونزى » والمعروض مكشوف فى الجزء الشرقى من المعبد تمثل النسخة الحجرية وجه امرأة فى موقف المقاتل وهى تمد رمحها استعدادا للقتال ورغم ذلك فهى ترتدى فستانا يتدلى حتى قدميها ولكن الوجه لا يشبه وجه

---

(٧١) تقع ارجوس Argos شمال شرق البليبونيز اليونانية « شبه جزيرة المورة » .

Encyclopedia Britanica. vol. I.

تماثيل أثينا اليونانية بل تشبه بصفة عامة أعمال قدماء المصريين ولكن البيزنطيين يقولون ان الامبراطور قسطنطين اخرج هذا التمثال من الساحة التي تحمل اسمه(٧٢) ، ووضعه في مكانه الحالي ولنكتفي بهذا .

هكذا استولى بليزاريوس على كل هذه المقاطعة من ايطاليا تقريبا التي تمتد جنوبي خليج أيونيا حتى روما وسامنيوم Samnium والمنطقة الكائنة شمال الخليج حتى ليبورينا Liburina والتي سبق أن فتحها أيضا قسطنطين من قبل ، وسوف أشرح الآن كيفية انقسام ايطاليا بين سكان المنطقة ويتوغل البحر الادرياتيكي(٧٣) بعيدا داخل القارة ويشكل خليج أيونيا ولكن لا يكون برزخا عند نهايته مثل غيرها من الأماكن عندما يتوغل البحر داخل الأراضي . وعلى سبيل المثال فان خليج كريزيوم Crisaeam المزعوم الذي ينتهي في ليكاوم Lechaeum حيث توجد مدينة كورنثة تشكل برزخا عند المدينة باتساع أربعين ستاد ، وخليج هلوس(٧٤) المعروف بالخليج الأسود يشكل برزخا على شيرسونيز Chersonese بنفس اتساع كورنثة وبنفس الحجم تقريبا ، ولكن من مدينة رافينا حيث ينتهي عندها خليج أيونيا الى البحر التوسكاني مسافة يقطعها المسافر الذي لا يحمل متاعا في أقل من ثمانية أيام . ويرجع السبب الى توغل الخليج وشدة اتجاهه الى اليمين . وأول مدينة على الخليج هي درايوس Dryus المعروفة الآن بـ « هيدروس » وعلى اليمين يقطن قوم « الكلابريان » والابوليان والسمنيت وبجوارهم البيسانى وتمتد مقاطعتهم حتى مدينة رافينا وعلى الجانب الآخر يقطن

---

(٧٢) يقع سوق قسطنطين على مسافة بسيطة غرب الهيدروم — ومن اهم الاثار هذا العمود الذي ما زال موجودا ويعرف باسم العمود المحترق .

(٧٣) هو الادرياتيك وهو يعني جزءا من البحر المتوسط يقع بين افريقيا في الجنوب وصقلية وايطاليا في الغرب وبلاد اليونان وابيروس في الشرق فهو البحر الادرياتي .

(٧٤) هو الآن خليج ساروس شمال غرب شبه جزيرة غاليبولي .

يلقى قوم الكلابريان والبروتي واللوكاني حتى مدينة تراسينا ومقاط
تجاور روما . احتلت هذه الشعوب سواحل البحرين والأراضي الدا
لهذه البلاد في ايطاليا هذه المقاطعة معروفة منذ القدم باسـ
« ماجناجريسيا » والى جانب قوم البروتي Bruttii يوجد قـ
« الابيزيفيريان » Epizephurian ولوكريان Locrian وسكان كرو
Corton وشوري Thurii وعند شمال الخليج فان أول من ـ
الاغريق المشهورون بالابروت وحتى مدينة ابيداموس على البحـ
وبجوارها توجد أرض بريكليس Precalis وبعدها مقاطعة دالمـ
وتعتبر جزءا من الامبراطورية الغربية ، وعند هذا الموقع توجد ليبو
Liburina واستريا Istria [75] وأرض البنادقة الممتدة .
مدينة رافينا تقع هذه البلدان على ساحل البحر وعند هذه المنطقة و
قوم السيسي Siscii والسويفي Suovi الغير خاضعين للفـ
وكذلك مجموعة أخرى يقطنون في الداخل وبعدهم يوجد قوم الـ
Carni والنوريشي Norici وعلى يمين المذكورين اذ يـ
الداكيين Dacian البانونيين Pannonians الذين استولوا
مدن كثيرة ومنها سينجيدونوم Singidunum وسيره
Sirmium [76] وتمتد حتى نهر ايستر [77] وتخضع هذه الشـ
المقيمة الآن شمال خليج أيونيا لسيطرة القوط عند نشوب هذه الحر
وكان يقيم قوم الليجوريان وبعد مدينة رافينا على يسار نهر البو و
شمالهم قوم الألباني Albeni على أرض جيدة معروفة باسـ
لانجوفيلا Langoville وبعدها البلاد الخاضعة لسيطرة الفرنج

(٧٥) هي الآن كرواتيا .

(٧٦) هي بلجراد الآن .

(٧٧) نهر ايستر هو نهر الدانوب الآن .

تخضع الأراضي الكائنة غربا لمانه وبعضها للاسبان وعلى يمين مهر البوتوجد اميليا Aemilia (٧٨) والشعوب التوسكانية التي تمتد حتى حدود روما • ونكتفي بهذا •

(١٦)

هكذا استولى بليزاريوس على كل أراضي روما الممتدة حتى نهر التيبر ، وحصنها ، وبعد أن جهزها على أحسن حال سلم الى قسطنطينوس عددا كبيرا من حرسه الخاص وبصحبتهم مجموعة من حاملي الرماح ومعهم مساجتاى زارتر Massagotes Zartor وخورسومنوس Chorsomanus واسخاموس Aeschamus ومعهم جيش ، ثم أمرهم بالتوجه نحو توسكانى لفتح المدن فى هذه المقاطعة كما أمر بيزاس بالاستيلاء على نارينا Narina وهى مدينة حصينة فى توسكانيا وكان بيزاس Bisas المذكور قوطى المولد وسبق أن اقام فى تراقيا منذ زمن طويل ، هذا ولم يتبع تيودوريك عندما قاد القوط الى ايطاليا وكان فى ذلك الوقت رجلا قويا ومقاتلا قديرا وقائدا من الدرجة الأولى وفى نفس الوقت رجلا بارعا فى القتال • استولى بيزاس على نارينا ، لكن ليس ضد رغبة أهل المنطقة كما استولى قسطنطينوس على بروزيا (٧٩) فى سبوليتيوم (٨٠) وغيرها من المدن بدون عناء واستقبله أهل توسكانيا فى مدينتهم بحفاوة بالغة ، لذلك طلب أن توضع حامية فى سبوليتيوم اقام هادئا بجيشه فى بروزيا أكبر مدن توسكانيا •

والآن عندما سمع فيتيجيس بما حدث أرسل ضدهم جيشا بقيادة اونيلاس Unilas وبيزاس وقد تقابل قسطنطينوس مع هذا الجيش فى

---

(٧٨) ماسمتها بالاكتيا « بياكنزا » •

(٧٩) حاليا بيروجيا •

(٨٠) حاليا سبوليتو Spoleto

ضواحى بروزيا واشتبك معهم وسارت المعركة فى اولهـا متكافئة بين الطرفين نظرا لتفوق البرابرة عدديا ولكن تغلب الرومان عليهم بعد ذلك بسبب بسالتهم واجبروهم على الفرار • واثناء الفرار قتـل الرومان البرابرة كلهم تقريبا ، كما اعتقلوا قواد العدو وهم احياء وارسلوهم الى بليزاريوس • ولمـا سمع فيتيجيس بما حدث رفض المكوث فى رافينا حادثا اذ تورط بها بسبب غياب مارسياس Marcias ورجاله الذين لم يحضروا بعد من بلاد الغال لذلك فقد ارسل الى دالماشيا جيشـا جبارا بقيادة ارزيناريوس Arsinarius واليجيزالوس Miigisalus لاعادة فتح دالماشيا واخضاعها لسيطرة القوط •

كما اصـدر لهما امرا بتزويد جيشهما بجيش آخر اضافى من بلاد السويف يتكون من البرابرة المقيمين هناك ثم التوجه مباشرة الى دالماشـيا وسـالونى Salone كما ارسل معهم العديد من السفن الحربية بغية حصار سالونى ارضا وبحرا ولكنه اسرع شخصيا بكامل جيشه ليقاتل بليزاريوس وروما على رأس قوة الفرسـان والمشـاة باعداد لا تقل عن مائة وخمسين الف رجل معظمهم مدرعين كما كانت الخيول مدرعة ايضـا •

وعند وصوله الى أرض السويف شرع أزيناريوس فى جمع جيش البرابرة فى حين قام أوليجيزالوس بمفرده بقيادة القوط داخل ليبورينا Liburina (٨١) وتشابك الرومان معهم فى مكان معروف باسـم سكاردون Scardon وهزموهم فى المعركة • وانسحبوا الى مدينـة بورنوس Burnus وهناك انتظر اوليجيزالوس وصوله — وصول زميله — ولما علم قسطنطينوس بالاستعدادات التى يقم بها أزيناريوس خلف على سالونى واستدعى الجنود المكلفين لحراسة القلاع فى هـذه المنطقة ثم قام بحفر خندق حول الأسوار الدائرية كما قام بغيرها من

(٨١) هى كراوتيا كما سبق ان ذكرنا •

لاستعدادات لمقاومة الحصار على أفضل وسيلة . وجمع اريناريوس جيشا كبيرا من البرابرة واقاموا أمام مدينة بورنوس وانضم اليه هناك أوليجيزانوس وجيش القوط ثم توجه الى سالونى . واقاموا جدارا خشبيا تجاه السور الدائرى ثم شحنوا السفن بالجنود لحراسة جانب الاستحكامات المطل على البحر وبهذه الوسيلة تقدموا لحصر سالونى أرضا وبحرا ولكن الرومان شنوا هجوما مفاجئا على سفن العدو وأجبروها على الفرار كما أغرقوا الكثير منها بما عليها من رجال وعتاد واستولوا على الكثير منها بدون طاقمها . ورغم ذلك لم يفك القوط الحصار بل تمسكوا به بقوة الى درجة أنهم حبسوا الرومان داخل المدينة اكثر من ذى قبل . هذه هى مغامرات الرومان وجيوش القوط فى دالماشيا ، وعندما سمع فيتيجيس من الأهالى القادمين من روما أن جيش بليزاريوس صغير جدا لذلك ندم على انسحابه من روما ولم يعد قادرا على تحمل الموقف أكثر من ذلك حيث تملكه الغضب وتندم لمقابلتهم وفى طريقه الى هناك قابل أحد الكهنة القادمين من روما ، يقول ان فيتيجيس وهو فى حالته الانفعالية سأل الرجل عن مكان وجود بليزاريوس داخل روما مظهرا قلقه لعدم اللحاق به أو ان يكون بليزاريوس قد سبقه وفر هاربا ، ولكن قيل ان الأسقف فطن الى عدم لجوء بليزاريوس الى الفرار وانه لا يزال فى موقعه . وقيل ان فيتيجيس أسرع لعله يرى بعينيه أسوار روما قبل أن يتمكن بليزاريوس من الفرار خارج المدينة .

عندما سمع بليزاريوس بقدوم القوط بكامل جيوشهم لمواجهته ، وقع فى ورطة فمن جهة فهو لا يرغب فى الاستغناء عن جيوش قسطنطينوس وبيزاس ، خاصة وان جيشه صغير ومن جهة أخرى بدا له أن الجلاء عن الاستحكامات الموجودة فى توسكانى غير مناسب أو سوف يستولى القوط على هذه القلاع لاستعمالها ضد الرومان ، لذلك وبعد دراسة الموقف أبلغ قسطنطينوس وبيزاس بالتزام وجود الحاميات فى المواقع الهامة باعداد كافية لحراستها وعليهما الحضور مسرعين مع

باقي الجيش الى روما ، فتمثل قسطنطينوس للبلاغ بكل دقه اذ ان
الحاميات في « بيروزيا » Perusia وسبوليتوم Spolitium ثم تو
مع ما تبقي من جيشـه الى روما ، ولكن بيزاس تصرف ببسطه وا
استعداداته في نارينا Narina وحدث أن كان العدو مارا في طر
فامتلات السهول وضواحي المدينة بالقوط ، وهم طلائع لباقي القو
واشتباك معهم بيزاس Bissas فجأة وارغم من اشـتبك منهم
الفرار وقتل العديد منهم ولكن أمام تفوق العدو العددى اضـطر
الانسحاب داخل نارينا Narina وبعد أن أقام حامية بها تنفيـ
لأوامر بليزاريوس توجه مسرعا الى روما وأفاد بأن العدو على وشـ
الاشتباك ذلك لأن نارينا Narina على بعد ثلاثمائة وخمسين
من روما لم يحاول فيتيجيس الاسـتيلاء على بروزيا usia
وسبوليتوم Spolitium لأن المدينتين حصينتان اذا لم يرغب في اه
الوقت أمامها ، وكانت رغبته الوحيدة مقابلة بليزاريس قبل أن يفر
روما ، وبالاضافة الى ذلك فقد علم بسقوط نارينا في أيدى العد
ولذلك لم يرغب في القيام باية محاولة هناك لعلمه بصعوبة الو
الى المكان ولشدة انحدار أرضه لأنه مبنى على تل شاهر يجرى نه
نارنوس Narnus على قدم التل لذا سميت المدينة باسمه وهنا
طريقان يوصلان الى المدينة أحدهما شرقي والآخر غربي واحد الطر
ضيق جدا ووعر بسبب لتزلاق الصخور أما الثاني فلا يمكن الو
اليه الا عن طريق جسر فوق النهر يسهل المرور عليه عند هذه النقط
وتم بناء هذا الجسر في عهد أغسطس منذ زمن بعيد ومنظره جميل
اقواسه أعلى الأقواس المعروفة لدينا ،

هذا ولما لم يتحمل فيتيجيس فكرة اضاعة الوقت عند هذا ا
فقد رحل مسرعا ومتجها مع كامل جيشه الى روما مارا في رحلته ب

السابين[٨٢] وعند اقترابه من روما — ٢١ فبراير ٥٣٧ م — وعلى بعد أربعة عشر ستاد منها وصل الى جسر فوق نهر التيبر[٨٣] بنى بليزاريوس فى هذا المكان منذ فترة وجيزة — برجا به بوابات واقام به دورية جنود ليس فقط للحراسة لأن هذه هى المنطقة التى يمكن للعدو أن يعبر منها نهر التيبر (لوجود سفن وكبارى فى أماكن كثيرة من النهر) • ولكن رغبة فى اضاعة المزيد من وقت العدو فى الرحلة اذ كان ينتظر قدوم جيش آخر من الامبراطور ولاتاحة المزيد من الوقت للرومان بغية احضار المؤن لأنه فى حالة صد البرابرة عند هذا المكان فانهم سوف يحاولون العبور على جسر فى موقع آخر فقد أيقن أنهم يحتاجون الى ما لا يقل عن عشرين يوما بل أكثر من ذلك فى حالة قيامهم بانزال السفن على « التيبر » هذه هى اذا الاعتبارات التى جعلته يقيم الحامية فى هذا الموقع وعسكر القوط فى ذلك اليوم عند هذا المكان بعد أن أخطأوا الظن اذ اعتقدوا أن الهجوم سوف يقع على البرج فى اليوم التالى • لكن وصل اثنان وعشرون من الهاربين من الجيش البربرى ولكنهم جنود رومان من سلاح الخيالة بقيادة « اينوسنتيوس » Innocentius فكر « بليزاريوس » فى هذا الوقت بالذات فى اقامة معسكر بجوار نهر التيبر بغية عرقلة عبور قوات العدو والقيام بمظاهر الشجاعة أمام اعدائهم ولكن وكما سبق أن قيل تملك الرعب الجنود المكلفين بحراسة الجسر أمام أعداد القوط الهائلة فاضطروا يولولون أمام الخطورة الهائلة ثم هربوا من البرج ليلا أمام استحالة الدخول الى روما ، فقد توجهوا الى

---

(٨٢) بلاد السابين المقصود بها المناطق التى سكنها عنصر السابى احد عناصر الجرمان .

(٨٣) جسر ملفيان وهو الذى دارت عليه من قبل موقعة حربية كبرى بين قسطنطين الكبير وخصمه ماكسنتيوس Maxentius سنة ٣١٢ م ودان له بذلك الجزء الغربى من الامبراطورية . (المترجم)

كامبانيا Campania [84] خوفا من المقلب الذى سيوقعه القائد عليهم أو بسبب شعورهم بالعار عند الظهور أمام زملائهم .

(١٨)

وفى اليوم التالى دمر القوط بوابات البرج دون صعوبة وعبروا اليه دون مقاومة ، وكان بليزاريوس يجهل حتى هذه اللحظة أحداث الحامية ، لذلك أمر ألفا من الفرسان بالتوجه نحو الجسر فوق النهر لمعاينة الأرض تمهيدا لاختيار أفضل مكان لتعسكر به قواته ؛ ولكن عند اقترابهم منه وجدوا العدو قد عبر النهر واشتبكوا مع جزء منهم دون الشعور بالرغبة الحقيقية للقتال ودخلت قوات الفرسان من الجانبين فى المعركة حيث كان بليزاريوس فى مكان آمن ولم يقو على الاحتفاظ بوظيفة القائد لذلك نزل الى المعركة يقاتل فى الصفوف الأولى مع الجنود وتعرض تباعا موقف الرومان لخطر البالغ الداهم اذ ان مصير الحرب بين يديه ولكن حدث أنه أمتطى جوادا يتمتع بخبرة قتالية خارقة ويعلم جيدا كيف ينقذ راكبه . فقد كان جسم الجواد رمادى اللون فيما عدا وجهه من أعلى رأسه حتى فتحتى الأنف كان ناصع البياض وقد سمى الاغريق هذا الحصان « فاليوس » Phalius [85] والبرابرة « بالان » ولهذا السبب فقد حدث أن وجه أغلبية القوط الرماح وغيرها من الأسلحة اليه والى بليزاريوس أما الهاربون المنضمون الى القوط فى اليوم السابق فعندما شاهدوا بليزاريوس يقاتل بين الصفوف الامامية أيقنوا تماما أنه

(٨٤) تقع كمبانيا على الشاطىء الغربى « جنوبى روما » . (المترجمة، ماشور : أوربا ص ٢٦٤) .

(٨٥) ذو النقطة البيضاء « صاحب الوجه الأبيض » .

فى حملة مفتوحة سوف تنتهى بنصر للرومان فورا . فأخذوا يهتفون ويحرضون الجنود بالتصويب على الجواد ذى الوجه الأبيض وتباعا انتقل الهتاف بين الجيش القوطى ولكنهم لم يهتموا به اذ انشغل المقاتلون فى ضوضاء القتال العنيف وهم يجهلون أن هذا النداء يخص بليزاريوس ولكن أيقن البعض أن هذا النداء خاص بأشخاص معينين فقط صوبوا ضرباتهم الى بليزاريوس هذا وقد تحمس كل من رأى فى نفســـه الشجاعة والرغبة فى الحصول على الشرف وحاولوا الاقتراب منه بقدر المستطاع والامســاك به ووجهــوا اليه الضربات المحمــومة بالرماح والسيوف • ولكن بليزاريوس كان يلتفت يمينا ويسارا يقتـــل كل من يقترب منه ، كما استفاد فى هذه اللحظات الحرجة من وفاء مقاتليه من حاملى الرماح والحرس لأنهم أحاطـــوا به وكما اعتقد فقد أظهـــروا شجاعة لا يظهرها أى رجل فى عالمنا اليوم اذ رفعوا الدروع أمام القائد والجواد دفاعا عنهما ولم يتعرضوا للضربات الموجهة اليهم فحسب ولكنهم تمكنوا أيضا من صد المهاجمين الذين وجهوا ضرباتهم اليـــه • وهكذا تركزت المعركة حول جسد رجل واحد • ووقع فى هذه المعركة ما لا يقل عن ألف مقاتل من القوط من الذين كانوا يقاتلون فى الصفوف الأولى أما مقاتلو « بليزاريوس » فقد قتل الكثير من النبلاء وكذلك حامل الرمح « ملكسنتيوس » Maxentius بعد أن اظهر شجاعة فائقة أمام العـــدو ولكن الحظ حالف بليزاريوس إذ لم يصب من الخيلة ولجودة فى هذا اليوم بالرغم من تركيز المعركة حوله دون غيره •

وأخيرا أرغم الرومان العدو على الفرار بدافع من شجاعتهم وهرب عدد كبير من البرابرة وانضموا الى الجيش الرئيسى هذا ولمـــا كانت قوة المشاة من القوط مستريحة فانها تحدت العدو وأرغمته على التقهقر دون صعوبة وعند قيام قوة اضافية من الفرسان لتدعم القوط ، اضطر الرومان الى الفرار حتى وصلوا الى تل معين وصعدوا عليه وعززوا مواقعهم به •

ولكن لاحقتهم قوة فرسان العدو مباشرة ووقعت معركة ثانية بين الفر
الظهـر فيها فالنتينوس Valentinus ابن « أنطونينا » ntonina
مساعد « فوشيوس » Photius ببسالة مرموقة عندما قفز بمف
بين جحافل العدو وهاجم القوط وتمكن بذلك من انقاذ رفاقه وتمـ
الرومان من الفرار بهذه الوسيلة حتى وصلوا الى استحكامات رو
والبرابرة يطاردونهم من الخلف وحتى السور والبوابة المسماة «سالاري
Salarian ولكن خشى أهالي روما أن يدخل العدو مع الفارين دا
الاستحكامات ورفضوا فتح البوابات بالرغم من نداءات واستعجا
بليزاريوس وتهديداته المتكررة ، فقد صعب على من يطل من البـ
التعرف على الرجل لأن وجهه ورأسه داميتان تغطيهما الأتربة ، هذا
ناحية ومن ناحية أخرى استحالت الرؤية بسبب تقدم النهار وغر
الشمس وبالاضافة الى ذلك لم يجد الرومان أمامهم سببا لنجاة الق
من الموت لأن الفارين من المعركة أفادوا بوفاة « بليزاريوس » وهو يق
ببسالة بين الصفوف الأمامية وهكذا زحف بقواته يطوء النفـ
وينوى عبور الخندق فورا والهجوم على الفارين هناك ، وهكذا تكد
الرومان أمام السور بعد دخولهم الخندق ملتصين بعضهم البعض دا
مكان ضيق بينما ظل الجند داخل الاستحكامات بدون قائد وعلى غـ
استعداد يخافون على أرواحهم وعلى مصير المدينـ
وبالتالى لم يحاولوا من الدفاع عن زملائهم فى موقفهم البـ
الخطورة .

ولكن خطرت على بال بليزاريوس فكرة جريئة ، فقد تمكن من انة
الرومان فى هذا اليوم جمع رجاله بسرعة وانقض فجاة على العدو
وكان العدو قبل ذلك فى حالة الاضطراب بسبب الظلام والمطاردة ، وه
أثار دهشتهم قيام جماعة من الفارين بمهاجمتهم فظنوا أن هناك جيد
آخر حضر من المدينة لمساعدتهم وبالتالى تملكهم الذعر وفروا هاربين

ورفض بليزاريوس بأي حال من الأحوال مطاردتهم بل اكتفى بانعزدة الى السور • وفي هذه اللحظة تشجع الرومان واستقبلوه وجيشه بأكمله داخل المدينة ، وبدأت المعركة في الصباح الباكر ولم تنته حتى الليل •

وهـؤلاء الذين برزوا في القتـال بفضل شـجاعتهم كانوا هم بليزاريوس من الرومان ومن القـوط فيسـاندوس Visandus فاندلاريوس Vandelarus أول من هجم بليزاريوس في المعركة الا أن بليزاريوس لم يتركه الا بعد أن أصيب بثلاث عشره اصابة في جسده حتى سقط على التو فلم يهتم رفاقه به بالرغم من كونهم منتصرين وظل ملقيا هناك بين القتلى ، وظنوا أنه قتل . ولكن في اليوم الثالث عندما عسكر البرابرة أمام السور الدائري لروما انتدبوا بعض الرجال لدفن موتاهم ، والقيام بطقوس الدفن التقليدية وعثر الباحثـون عن جثث الموتى على فيساندوس فاندلاريس وهو لا يزال حيا بين جثث رفاقه يرجو أن يتفوه بكلمة ولكنه لم يتمكن حتى من النطق نظرا لأن جـوفه كان محترقا بسبب الجوع والعطش الناتجين عن آلامه وقد أشار بأن يسكب ماء في فمه • هذا وبعد أن شرب وأفاق حملوه الى المعسكر ، واكتسب « فيساندوس » فاندالاريوس شهرة واسعة عند القوط بسبب هذه الواقعة وعاش بعد ذلك طويلا يتمتع بشهرته الواسعة ، هذا ما حدث في اليوم الثالث بعد المعركة •

ولكن في هذه الآونة بعد أن دخل بليزاريوس وجنوده منطقة الامان جمع جنوده ومعظم أهل روما عند السور وأمرهم باشعال النيران الكثيرة والقيام بالحراسة طوال الليل ثم دار حول مسار الاستحكامات وأنشأ النظام وكلف قواده بحراسة البوابات ، وتولى بيزاس Bissas قيادة الحراسة على البوابة المسماة « برينستين » Praenestine ثم أرسل أحد أتباعه الى « بليزاريوس » ليخبره بأن المدينة وقعت في قبضة العدو بعد أن اقتحمها من خلال بوابة أخرى تقع عبر التيبر وتعرف باسم « بانكراتيوس » Pancratius وهو اسم أحد القديسين •

وعند سماع هذا الخبر حرض اتباع بليزاريوس أن ينجو هو بأسرع ما يمكن من خلال بوابة أخرى • ولم يستسلم للخوف ولم يتردد لحظة واحدة بأن يقر بكذب البلاغ ثم ارسل بعض خيالته مسرعين عبر التيبر وبعد معاينة المكان ، عادوا لابلاغه بعدم وقوع أى هجوم على المدينة من هذه الناحية وارسل بعد ذلك مندوبيه الى كافة البوابات مع تعليماته الى القادة فى كل مكان بأن عليهم بمجرد سماعهم بدخول العدو الاستحكامات ألا يتعاونوا فى الدفاع او ترك أماكنهم بل يلزمون الهدوء، حيث انه سيسوى شخصيا هذه الأمور • وقد تصرف هكذا منعا من وقوعهم فى اضطرابات مرة أخرى اثر انتشار اشاعات كاذبة •

ولكن أثناء الارتباك الكبير الذى وقع فيه الرومان ، ارسل فيتيجيس Vittigis أحد كبار القادة « فاكيس » الى بوابة «سلاريان» Salarian وعند وصوله هناك أخذ يؤنب الرومان على عدم ولائهم للقوط ووبخهم بقسوة على الخيانة التى زعم انهم ارتكبوها ضد الوطن وضد أنفسهم حيث انهم بدلوا سلطة القوط بسلطة الاغريق الذين عجزوا عن الدفاع عنهم بالرغم من أنهم لم يشهدوا من قبل رجلا من الجنس الاغريقى فى ايطاليا فيما عدا ممثلى التراجيديا والبانتوميم[٨٦] وبعض اللصوص من البحارة ، هكذا تفوه « فاسيس » Vacis بمثل هذه الكلمات وما يشابهها ولكن حيث انه لم يتلق اجابة عنها من احد عاد الى القوط والى فيتيجيس ، أما فيما يخص « بليزاريوس » فقد جلب على نفسه سخرية الرومان فبالرغم من هروبه من العدو فقد حثهم على الشجاعة من الآن فصاعداً كما نظر الى البرابرة نظرة ازدراء • ذلك لادراكه كما قال بأنه سوف ينقض عليهم فى النهاية • وسوف نبين فيما بعد كيفية معرفته لهذه النقطة بصفة قاطعة وعندما تأخر الليل كان

---

(٨٦) هو فن التمثيل الصامت وهو ما اشتهرت به ثيودورا زوجة جستنيان قبل زواجها • (المترجمة)

« بليزاريوس » ينهو وقد اجبرته زوجته والحاضرون من أصدقائه على تناول كسرة من الخبز وهكذا قضى الجيشان الليل .

(١٩)

في اليوم التالي أعدوا الترتيبات للقتال ، وفكر القوط في الاستيلاء على روما بضرب الحصار حولها بدون مشقة نظرا لمساحة المدينة الواسعة ، وصعوبة دفاع الرومان عنها . فسور المدينة يحتوي الآن على أربع عشرة بوابة واسعة والعديد منها أقل حجما ، هذا ولما عجز القوط بجيوشهم الكاملة . عن حصار السور من جميع جهاته . أقاموا سته معسكرات مخصصة لشن هجمات متتالية على جزء من السور يحتوي على خمس بوابات من بوابة « فلامينيان » Flaminian حتى بوابة « برينستين » Pranestine وأقام القوط هذه المعسكرات على الضفة اليسرى لنهر التيبر . وخاف البرابرة من قيام عدوهم بتدمير الجسر المعروف باسم « ملفيوس » Mulvius لقطع طريق وصولهم الى الضفة اليمنى للنهر وحتى البحر وحيث انهم يجهلون تماما متاعب الحصار فقد أقاموا معسكرا سابقا عبر التيبر على سهل نيرون Nero وذلك لحصر الجسر بين جيشيهما ووفقا لهذا فقد تعرضت بوابتان أخريان لهجو العدو .. بوابة « أوريليان »[٨٧] Aurlien (المسماة الآن باسم بطرس زعيم تلاميذ المسيح حيث دفن بالقرب منها)[٨٨] . وبوابة « ترانسيتبورتين » Transtiburtine [٨٩] وهكذا حاصر القوط فقط نصف السور بجيشهم ونظرا لعدم احكام الخطط في صدهم في كافة الجهات فقد شنوا هجمات فقط على طول السور كيفما شاءوا .

---

(٨٧) هذا خطأ ويقصد بروكوبيوس به بوابة كورنيليا Porta Cornelia (المترجمة)

(٨٨) وفقا للتقاليد فقد قلوا بتاء كاتدرائية القديس بطرس على قبره الرسولي .

سوف أصف الآن كيف شيد الرومان هذا السور على ضفتى النهر فى العصور القديمة كان التيبر يجرى حول السور الدائرى الى مسافة طويلة وحتى فى المكان الذى ينحصر فيه مجراه ولكن الأرض الموازية لمجرى النهر منبسطة ويسهل الصعود اليها وتجاه هذه الأرض على ضفة التيبر الثانية يوجد تل كبير(٩٠) بنى عليه طواحين المدينة وتأتيها مياه كثيرة عن طريق قناة مائية صناعية مرتفعة الى قمة التل ثم انتصب بشدة على المنحدر • لذلك عزم قدماء الرومان(٩١) على بناء سور حول التل وضفة النهر المجاورة له لمنع العدو من تدمير هذه الطواحين ، واجتياز النهر والقيام بعمليات سهلة على السور الدائرى للمدينة ومرروا بناء جسر على هذا الموقع من النهر وربطه بالسور وبناء منازل كثيرة فى المقاطعة وعلى جانبى النهر مما جعل مجرى التيبر فى وسط المدينة ونكتفى بهـــذا •

حفر القوط خنادق عميقة بمعسكراتهم ثم جمعوا التراب المستخرج منها فى أكوام على الجانب الداخلى للخنادق فارتفعت على آثارها ضفتا النهر وغرسوا خوازيق حادة داخلها ، مما جعل هذه المعسكرات لا تقل أهمية عن الحصون أعلاها • تولى ماركياس Marcias زعامة المعسكر القائم على سهل نيرون Nero (حيث كان قد وصل حالا من غابة مع أتباعه وعسكر معهم هنا وتولى فيتجيس وغيره زعامة باقى المعسكرات على أن يتولى قائد واحد زعامة المعسكر الواحد هذا ولما اتخذ القوط مواقعهم على هذا النحو قاموا بنسف قنوات المياه المعلقة لمنع وصول المياه داخل المدينة • ويبلغ عدد القنوات المعلقة فى روما أربع عشرة قناة مبنية من قوالب الطوب الصلب شيدها القدماء وهى مرتفعة وتتسع لرجل

---

(٩٠) بوابة اورليان •

(٩٠) تيبس تل جانكولوم (المترجمة)

(٩١) السور الذى وصفه بروكوبوس المحدود هو جزء من سور اورليان • (المترجمة)

يمتطى جوادا يجرى عليها(٩٢) نظم بليزاريوس دفاع المدينة على الوجه الآتى تولى بنفسه حراسة بوابة « بنسيان » Pincian الصغيرة والبوابة المجاورة لها من جهة اليمين والمعروفة باسم سالريان Salarian ذلك لأن اقتحام السور عند البوابتين المذكورتين سهل وفى نفس الوقت يسهل على الرومان الخروج من البوابتين لمقابلة العدو . ثم كلف بيزاس Bissas بحراسة بوابة بنسيان وكلف قسطنطينوس Constantinus بحراسة بوابة فلامينيان Flaminian الكائنة على الجانب الآخر لبوابة بنسيان بعد أن أقفل البوابات وسدها بطريقة محكمة بين سور من الحجر الكبير على الداخل مما يجعل فتحها مستحيلا . ونظرا لوجود أحد المعسكرات فى مساحة ضيقة فقد خشى أن يقوم العدو بمؤامرة سرية ضد المدينة . وأصدر الأوامر الى قادة المشاة المكلفين بحراسة البوابات الأخرى لتشديد الحراسة عليها وأمن القنوات المائية قد استطاعته بقفلها وسد القنوات بالأحجار .

وربط فوق الكبارى سلاسل حديدية طويلة عبرت نهر التيبر تماما واوقفت هذه السلاسل الأشياء التى يحملها النهر وتجمعت عند هذه النقطة دون أن تبتعد عنها فكان على القائمين بهذا العمل سحب هذه الأشياء بمجرد وصولهم ونقلها عى الأرض وهكذا تصرف « بليزاريوس » ليس فقط بالنسبة للطواحين بل لأنه بد تفكر مذعورا أن العدو سوف يدخل على الجسر عند هذه النقطة بالعديد من السفن ويصل الى منتصف المدينة قبل أن يفطن أحد الى وجودهم . لذلك بعد تداول البرابرة عن محاولاتهم لفشلهم فيها واستمر الرومان فى استعمال الطواحين فيما بعد ولكن حرموا من الحمامات نظرا لقلة المياه . ١٣٥ وقد توفرت لهم مياه الشرب وحتى السكان البعيدون عن النهر أمكنهم سحب المياه من الآبار اما فيما يخص المجارى التى تصرف المياه الملوثة فلم يتخذ

---

(٩٢) هذه المبالغة فالقنوات تتراوح من اربعة الى ثمانية اقدام طولا .

بليزاريوس اى خطه امنية بشأنها نظرا لأنها تصب فى نهر التيبر لذلك استحال تدبير أية مؤامرة من العدو ازاءها .

(٢٠)

اتخذ بليزاريوس كذلك احتياطه تجاه الحصار . شمل قوم السمينيت[٩٣] عددا كبيرا من الأطفال المكلفين برعايه الأغنام فى بلادهم اختاروا اثنين من الأطفال من اقوياء البنية وأطلقوا عليهما اسماء « بليزاريوس وفيتيجيس » . وادخلوهما فى بيارة . اخذوا يتكامون بقوة وقد حدث أن الطفل المسمى باسم فيتيجيس طرح ارضا . لذلك قام بقية الأطفال بشنق الطفل المهزوم على فرع شجرة . ولكن لحسن حظه أن ظهر ذئب أمامهم اضطر الصبية الى الفرار تاركين من سمى فيتيجيس معلقا على الشجرة يتألم لفترة معينة حتى مات ، ولما علم قوم السمنيت بهذا الحادث لم يعاقبوا الصبية ولكن تكهنوا بأن بليزاريوس سوف ينتصر نهائيا .. ونكتفى بهذا .

كان شعب روما يجهل تماما ويلات الحرب والحصار لذلك لما ضاقوا ذرعا لاستحالة وجود حمامات وندرة المؤن واستغنوا عن النوم للقيام بحراسة السور الدائرى وتوقعوا قرب سقوط المدينة فى وقت قريب ، وشاهدوا العدو ينهب حقولهم وغيرها من الممتلكات شعروا بالفشل والسخط ينتابهم اذ تعرضوا لمتاعب الحصار وللتهلكة بالرغم من عدم ارتكابهم اخطاء معينة ولذلك انضموا فى مجموعات وشنوا غارات

---

(٩٣) السمنيت شعب يسكن بالقرب من روما — واصل هذا الشعب من سكان الجبال الأشداء وهم من الأجناس الايطالية ونجحوا فى اسقاط مدينة كابوا فى كمبانيا فى العصر الجمهورى . وكانت لهم حروب طويلة . وينتمى لهم شعب اللوكانيين . (المترجمة)

عن ذلك انظر : روما واسباب عظمتها Jones موسوعة تاريخ العالم ، ص ٢٢٢ .

على بليزاريوس بحجة استعداده لمقاتلة القوط دون انتظار وصول جيش قوى من الامبراطور . وهؤلاء الذين وقفوا فى وجه بليزاريوس عندهم أعضاء المجلس المعروفون « بالسناتو » وسمع « فيتيتيجيس » عن هذه الأحداث من الهاربين ورغبة منه فى خلق مزيد من البلبلة بينهم وبالتالى زيادة موقف الرومان صعبه فقد أرسل الى بليزاريوس بعض المندوبين كان « البيس » Albis احدهم وعندما مثل المندوبون أمام بليزاريوس تحدثوا اليه والى اعضاء مجلس الشيوخ الرومانى وقادة الجيش على الوجه التالى :

أيها القائد اتخذ الانسان منذ القدم تمييزات حقيقية وملائمة على الأسماء التى يطلقونها على الأشياء واحدى هذه التمييزات متماثل فى الآتى :

يختلف الاندفاع عن الشجاعة ذلك لأنه عندما يستولى الاندفاع على الانسان فانه يوقعه فى المخاطر مع الخذى والعار فى حين أن الشجاعة تزوده بجائزة مناسبة من الشهرة والبسالة . والآن تسبب أحد هذين العاملين فى قيام العداوة بيننا فأيهما تراه مناسبا . فاذا وضعتم رأيكم على الشجاعة من جهة عندما قاتلتم القوط فان امامكم أيها السيد النبيل العديد من الفرص للقيام بأعمال الرجل الشجاع انه يكفيكم فقط النظر من السور الى جيش العدو ، ومن جهة أخرى اذا اخترتم الاندفاع فى الهجوم علينا فسوف تندم الآن للقيام بهذه المهمة التى لا جدوى فيها، ومن آراء المتورطين فى مغامرات يائسة أنهم اختاروا قبول تغييرات عند تورطهم فى مصائب شديدة لذلك فلا تطيلوا فى اطالة عذاب هؤلاء الرومان . هؤلاء الرجال الذين أنشأهم ثيودريك على حياة دعة ورفاهية علاوة على حياة حرة لذلك فكف عن مقاومته اذ هو سيد القوط والايطاليين أيضا ليس هناك بشاعة فى أنكم تقيمون فى روما وتتطلعون ما تشاءون من أجل اخافة العدو فى حين أن ملك هذه المدينة يقضى وقته فى معسكر حصين يرمى ويلات الحرب على اتباعه ولكن تضمن لكم ولاتباعكم فرصة

الرحيل فى أمان وبكلفة ممتلكاتكم لابد أن تتيقظوا وتواجهوا الجند من زاوية جديدة فاننا لا نعتبر الوسائل الانسانية مقدسة أو جديرة بالاهتمام ، وبالاضافة الى هذا اننا نسأل هؤلاء الرومان عن شكواهم ضد القوط التى أدت بهم الى الخيانة تجاه أنفسهم وتجاهنا علما بأنه حتى هذه اللحظة قد تمتعوا بطيبة قلوبنا وهم يعرفون الآن من واقع اختبارهم لنا نوع المساعدة المرجوة منهم .

هكذا تحدث المندوب فاجاب بليزاريوس بالآتى : ليس من شأنكم اختيار الزمان لمثل هذا المؤتمر لأن الرجال لا يعقدون وفقا لتقدير العدو ولكن جرت العادة أن ينظم كل واحد شئونه حسب مصلحته ولكن أقول لك سيأتى الوقت الذى سوف تختفون رؤوسكم تحت الأشواك ولكن سوف لا تجدون مخبأ فى أى مكان . وفيما يخص روما التى استولينا عليها فعندما نحتفظ بها فاننا لا نحتفظ بممتلكات غيرنا ولكنكم اردتم التعدى على هذه المدينة فى أوقات سابقة بالرغم من أنكم لا تملكونها قد أعدتموها رغم أنوفكم الى أصحابها الأصليين هذا ومن منكم يأمل أن يدخل فى روما دون قتال فهو مخطىء .. فى تفكيره فمن المحال أن يسلم « بليزاريوس » المدينة طيلة حياته .. هذه هى كلمات بليزاريوس .

ولكن الرومان وقد تملكهم الرعب ، جلسوا فى صمت يفكرون فى خدعة المندوبين لحثهم على الخيانة لصالح القوط . ولم يجيبوا بكلمة فيما عدا أن فيداليوس Fidelius وبخهم على ذلك .

كان هذا الرجل وقت ذاك قائدا للحرس عينه بليزاريوس فى هذا المركز ويبدو أنه لهذا السبب كان يميل أكثر من غيره الى مصالح الامبراطور .

الرجال لا يقل عن خمسين للآلة الواحدة مهمة تحريكها من الداخل وعند لمس الآلة للسور فانهم يسحبون العارضة التي سبق أن نوهت عنها الى الوراء بادارة جهاز آلى معين ثم يطلقونها فتندفع بقوة شديدة فى انجاه السور وفى مقدرة هذه الآلة بضرباتها المتكررة أن تهدم السور فى مكان الاصابة ولهذا السبب فقد سميت الآلة بهذا الاسم لأن طرف العارضة المعد للضرب ينطلق بقوة نحو الامام الى الهدف تماما مثل الكباش وها هى ذا الكباش التى يحركها المهاجمون على السور قد جهز القوط عددا كبيرا من أكوام الحطب المكونة من قطع الخشب والغاب والقوها فى الخندق لتسوية الأرض وعدم اعاقة مرور الآلات عليها ، وبعد اتمام هذه الاستعدادات بهذه الوسيلة أبدى القوط رغبتهم الملحة لبدء مهاجمة السور ولكن بليزاريوس جهز كل برج من الأبراج بآلات تسمى « باليستا » Ballistae ⁽⁹⁴⁾ هذه الآلة على شكل قوس ولكن على الطرف الآخر منه توجد قناة خشبية فى وضع يسمح لها بالتحريك وهى محملة على قاعدة حديدية ضيقة وعندما يقوم الجنود بتوجيه الضربة بهذه الآلة للعدو فانهم يحركون أطراف القوس الموجودة فى المؤخرة بانحناء بعضها تجاه البعض عن طريق حبل صغير يربط بينها ثم يدخلون السهم داخل المجرى ، ويبلغ طول السهم نصف طول القذيفة العادية المنطلقة من القوس ولكنها أعرض منها أربع مرات هذا وهى لا تحمل ريش طيور عليها ، ولكن بعد ادخال قطع خشب رفيعة عليها بدلا من الريش السهم العادى ثم يقوم الرجال المؤلفون حوله بتثبيته باستخدام بعض الأجهزة المساعدة تنطلق القناة الى الامام ثم تقف ، وتخرج القذيفة من المجرى بقوة الاندفاع الكبرى لتصل الى مسافة لا تقل عن مدى قذيفتين وعند ارتطامها بشجرة أو صخرة فانها تخترقها تماما ، هذه هى الآلة التى تحمل

---

(٩٤) هذه الآلة التى وصفها بروكوبيوس هى المنجنيق المعروف فى العصور الحديثة — فالباليستا تقذف الاحجار لا السهام ..

(القاموس التوضيحى القديم)

هذا الاسم وسميت بذلك لأنها تطلق القذفة بقوة هائلة . كما رفعوا عيرها من الآلات على أسطح السور لكي تقذف الحجر وهي تشبه انقلاع وتسمى الحمار الوحشي وخارج البوابات ثبتوا الذئب التي صنعوها بالكيفية التالية ، ثبتوا لوحين من الخشب بحيث يرتفعا من الأرض حتى الشرفات ثم يربطون عوارض بالتمشيق ببعضها البعض منها في وضع رأسي والبعض الآخر على هيئة صليب بحيث تظهر الفواصل بينها كمجموعة متتالية من الفتحات ويبرز من كل وصلة نوع من منقار يشبه المهماز الكثيف الى حد كبير ثم يربطون العوارض المصلوبة الى اللوحتين الرأسية ابتداء من القمة وتتدلى حتى منتصف الارتفاع ويشدون اللوحتين الى الوراء في اتجاه البوابات . عند اقتراب العدو يمسك الرجال المقيمون أعلى السور بأطراف اللوحتين ويدفعونها الى الأمام فتسقط فجأة على المهاجمين وتقتل المناقير البارزة بسهولة الكثير منهم وكل من أمسكت بهم ... وهكذا استعد بليزاريوس .

(٢٢)

وفي اليوم الثامن عشر من بداية الحصار تحرك القوط تجاه الاستحكامات عند شروق الشمس وتحت قيادة « فيتيجيس » للهجوم على السور وأصاب الرومان موجة من الذعر والذهول عند مشاهدة الأبراج والكباش القادمة اذ كان هذا المشهد غير مألوف لديهم . ولكن عندما شاهد بليزاريوس صفوف العدو تتقدم بالآلات أخذ يضحك . وأمر جنوده بالتزام الهدوء وعدم الشروع في التشابك بأي حال من الأحوال الا بعد صدور اشارة منه ، ولم يكشف عن سبب ضحكه في هذه اللحظة ولكنه عرف فيما بعد . افترض الرومان أنه يخفي شعوره الحقيقي وراء المزاح وأخذوا يوبخونه وقالوا انه وقح وسخطوا عليه لامتناعه عن مراقبة العدو وهو يتقدم . ولكن عند وصول القوط قرب الخندق شرع القائد في تصويب القوس وهي ضربة محكمة أصاب عنق أحد الرجال المدرعين كان يقود الجيش وقتله وبعد أن وقع على ظهره هلل

الجيش الروماني باكمله كما لم يهلل من قبل اعتقادا منه أنها بشرى خير ، أطلق بليزاريوس القوة مرة أخرى وتكررت الواقعة للمرة الثانية، هذا واشتد اطلاق القذائف من السور الدئرى حتى اعتقـد الرومان بالانتصار المبكر ثم أطلق بليزاريوس الاشارة الى الجيش باكمله لإطلاق الاقواس وأمر المقربين له بضراب الثيران • جرت الثـيران باكملها على التو لذلك لم يتمكن العدو من تحريك الأبراج الأمامية الى الامام وفي حيرتهم مما حدث لم يتمكنوا من مواجهة حالة الطوارىء • فبينما كان القتال يحتدم أدرك الجنود صوب فكرة بليزاريوس عندما لم يحاول مراقبة العدو من مسافة وكذلك بسبب ضحكه على سذاجة البرابرة اذ لم يمعنوا التفكير عندما حضروا الثيران حتى سور العدو حدث كل هذا عند بوابة « سالاريان » Salarian وبعد أن وقف فيتيجيس في هذا الموقع ترك فيه قوة كبيرة من القوط في صفوف متراصة طويلة وأمر القادة بالامتناع عن أي هجوم على الاستحكامات على أن يكونوا على أهبة الاستعداد لاطلاق القذائف على سطح السور والا يمنحوا بليزاريوس فرصة نقل التعزيزات الى موقع آخر من السور ، اذ سوف يهجم عليه بنفسه بقوة كبيرة ثم توجه الى بوابة « برينستين » على رأس قوة كبيرة وهو جزء من الاستحكامات سماه الرومان « فيفاريوم » حيث يمكن تسلق السور ولكن حدث أن الآلات الحربية كانت في هذا المكان بما فيها من أبراج وكباش وعدد كبير من السلالم •

ولكن أثناء ذلك انطلق القوط بهجوم آخر عند بوابة «أوريليان»[٩٥] على النحو التالي أقيمت مقبرة الأمبراطور الروماني هادريان[٩٦] Hadrian خارج بوابة « أوريليان » Aurlian على بعد قليل من الاستحكامات ومنظرها جميل، اذ شيدت من الرخام الوارد من

---

(٩٥) يعلى بذلك بوابة كورنيلا Porta Cornelia .

(٩٦) تسمى حصن القديس انجلو Sant Angelo .

باروس(٩٧) ، وتم تركيب الحجر واحدا فوق الآخر وليس بينه شيء له أربعة جوانب متساوية تبعد الواحدة عن الأخرى بمسافات قصيرة وترتفع الى ما فوق ارتفاع سور المدينة وعليها تماثيل جيدة الصنع للرجال والخيول(٩٨) .

وحيث رأى القدماء أن هذه المقبرة عبارة عن حصن يشكل خطرا على المدينة فقد بنوا جدارين حولها تمتد من السور — عند السور الدائرى(٩٩) — وأصبحت بذلك جزءا من السور وحقيقة تبدو كحصن مرتفع شيد كدعامة للبوابة لذلك كانت الاستحكامات عند هذا الموقع مناسبة وحدث أن أمر بليزاريوس قسطنطينوس Constantinus بأن يتولى قيادة الحامية عند المقبرة وأصدر تعليماته ليه لحراسة السور المجاور نظرا لأن حاميته صغيرة وقليلة العدد نظرا لصعوبة الهجوم على هذا الموقع من السور الدائرى حيث أن النهر يجرى محاذيا له . فقد اعتقد أنه سوف لا يقع هجوم عند هذا الموقع لذلك عسكرت هناك حامية قليلة العدد ، فقد جمع أغلبية الجنود فى المواقع التى تتطلب وجودهم وذلك لأن جيش الامبراطور اجتمع فى روما عند بداية الحصار يبلغ عدده خمسة آلاف رجل فقط ، ولما أحبط قسطنطينوس Constantinus محاولات العدو لاجتياز التيبر خلف على هذا الموقع من الاستحكامات واتجه نحوها مسرعا بصحبة عدد قليل من الرجال لمدافعته بعد أن أصدر

---

(٩٧) بلروس مدينة بونلتية مشهورة برخلمها .

(٩٨) اهمل بروكوبيوس ذكر أن هذه المقبرة كانت عبر النهر من عند السور الدائرى فى هذه المنطقة الى نهاية الجسر « جسر اليوس » وهو الذى يواجه بوابة كورنيلا والتى سماها بروكوبيوس بوابة اوريليان .
(المترجمة)

(٩٩) شيد هذا الميدان كان أساس النصب التذكارى لكل جانب من جوانبه طوله ٣٠٠ قدم رومانى طولا و٨٥ قدما عرضا ، وفوق ذلك ترتفع اسطوانة مستديرة محاطة بالأعمدة وتحمل التماثيل ، وربما كانت مغطاة باسطوانة ثانية .
(المترجمة)
انظر : Jordan «Topographie der Stadt rom III, '603.

أوامره الى رجاله بحراسة البوابة والمقبرة بينما هاجم القوط بوابة أوريليان ، وبرج هادريان وحيث انهم لم يمتلكوا آلات حربية فقد احضروا معهم عددا وفيرا من السلالم اعتقادا بأنهم باطلاق عدد كبير من السهام سوف يقع العدو فى شلل تام وبالتالى الاستيلاء على الحامية دون مشقة نظرا لقلة عدد الجنود بها . وبينما هم متقدمون يرفعون أمامهم دروعا صغيرة تشبه دروع الفرس نجحوا فى الاقتراب من الأعداء دون أن يفطن اليهم أحد منهم لأنهم تقدموا خلف العمود الممتد الى كنيسة بطرس تلميذ المسيح ثم ظهروا فجأة من هذا المخبأ وشرعوا فى الهجوم اذ تعذر على الحرس استعمال الآلة المسماة بـ « باليستا » (لأن هذه الآلات لا تطلق قذائفها الا فى اتجاه مستقيم) وعجزوا عن صد المهاجمين بالسهام اثر انقلاب الموقف ضدهم بسبب الدروع . ولكن القوط شددوا الهجوم عليهم باطلاق قذائف عديدة تجاه الشرفات المرتفعة وكادت سلالمهم تلمس السور بعد انحصار المقاتلين داخل المقبرة لأنه كلما تقدم القوط فانهم يتسللون دائما وراء الرومان على الجانبين(١٠٠) . أصيب الرومان بالذهول لمدة قصيرة بعد أن حاروا فى استخدام وسيلة معينة للنجاة ولكن بعد ذلك وبالاتفاق المشترك بينهما كسروا معظم التماثيل الكبيرة الحجم الى قطع صغيرة . وبعد توفير عدد كبير من الحجارة القوها بالأيدى على رؤوس العدو الذى شرع فى التقهقر ورموهم بوابل من القذائف أثناء انسحابهم قليلا الى الخلف لذلك تشجع الرومان بعد انقلاب الموقف لصالحهم وأصدروا صرخة مدوية وشرعوا فى صد المهاجمين باستعمال الأقواس ضدهم ورجموهم بالحجارة ثم لجئوا الى الآلات وأنزلوا الرعب على المهاجمين حتى أوقفوا هجومهم تماما . وفى هذه الأونة حضر كذلك قنسطنطينوس Constantinus بعد أن أخاف الذين تقدموا عن طريق النهر وجعلهم يتقهقرون الى الخلف

---

(١٠٠) لأن هذا البناء كان رباعى الشكل — تمكن القوط من الاجهاز على اعدائهم فى الجناح والمؤخرة ويتقدمهم وراء الزوايا . (المترجمة)

دون مشقة . اذ انهم لم يجدوا فى هذا الموقع من السور الا حراسة بسيطة كما سبق أن اعتقدوا وبذلك عاد الأمن الى بوابة أوريليان[١٠١] .

(٢٣)

وصلت قوات من العدو عند البوابة المطلة على نهر التيبر المسماة ببوابة « بانكراسيان » Pancratian ولكنها لم تقم بنشاط يذكر نظرا لتحصين الموقع لأن استحكامات المدينة عند هذا الموقع مشيدة على مرتفع شديد الانحدار ولا يسهل الهجوم عليه .

تولى بولوس Paulus حراسة الموقع بفرقة من المشاة وحسب ما حدث من قبل امتنعوا عن أية محاولة للهجوم على بوابة فلامينيان Flaminian الكامنة على منحدر شديد يصعب الوصول اليه ، قامت فرقة من المشاة المسماة بـ « ريجيس »[١٠٢] Reges بالحراسة هناك بقيادة « أورسينيوس » Ursicinus وبين هذه البوابة والبوابة الصغيرة المجاورة على اليمين بـ « بينسيان » Pincnan هناك فتحة فى السور منذ قديم الزمان . ليست بجوار الأرض ولكن منتصف السور لم يهدم ولم يسقط بل يميل الى الجهتين أى جزء منها يظهر خارج السور ، وجزء آخر بداخله لذلك أطلق قدماء الرومان على هذا المكان اسم « السور المكسور » ولكن عندما شرع « بليزاريوس » فى هدم هذا الموقع واعادة بنائه منعه الرومان عن ذلك قائلين أن بطرس الرسول وعدهم بحراسة هذا الموقع وكان هذا القديس مقدسا عند الرومان وله

---

(١) بوابة كورنيليان .

(١٠٢) ليس هناك من شك ان هذا الـ « ريجيس » يتشابه مع Regii وهو احد الفرق المساعدة السبع عشرة البلاتينية تحت قيادة القائد العسكرى برايزنتالبس Praesentalis (المترجمة)

انظر : Hodjkin eop-cito.

رهبة عندهم أكثر من غيرهم من تلامذة المسيح وتوالت الأحداث فى هذا الموقع وفقا لتوقعات الرومان ذلك لأنه ليس فى هذا اليوم ولا طوال مدة هجوم م القوط على روما لم يحدث أن وصلت قوة محاربة الى هذا المكان ولم تحدث أية مناوشات عنده ونتعجب اذ لم نر تحصينات بهذا الموقع ولا حتى العدو خلال المدة كلها أثناء قيامهم بالهجوم أو تنفيذ خططهم على السور أثناء الليل بالرغم من قيامهم ببعض المحاولات فلم يجازف أحدهم فيما بعد باعادة بناء هذا الجزء الدفاعى ، ولا يزال السور مفتوحا على هذا النحو .

عند بوابة سالريان رفض رجل من رجال القوط البقاء داخل الصف مع رفاقه وهو رجل قوى البنية ومقاتل جبار يرتدى درعا ويغطى رأسه بخوذة . وقف بجانب شجرة وأخذ يطلق قذائف كثيرة على قمة السور ، ولكن لسوء حظه أصابته احدى القذائف المنطلقة من الآلة الموجودة على البرج على يساره . اخترقت القذيفة درع الرجل وجسده ودخل فى الشجرة أكثر من نصف طوله وعلق الرجل على الشجرة جثة هامدة ، فأصاب القوط ذعر شديد عندما شاهدوا ما حدث وانسحبوا بعيدا عن مجال القذائف واصطفوا وكفوا عن استنزاف المقاتلين على السور .

وحيث أن هجوم فيتيجيس قد اشتد على الرومان فى منطقة « فيفاريوم » Vivarium وجه كل من (بيزاس) Bessas وبرانيوس Peranius انذارا الى بليزاريوس اذ انتابه الخوف على هذا الموقع من السور (ذلك لسهولة الوصول اليه كما سبق أن نوهنا هنا) لذلك أسرع شخصيا للنجدة بعد أن تخلف أحد أصدقائه عند بوابة « سالاريان » وعندما وجد الجنود العسكريين عند فيفاريوم يخشون هجمات العدو الذى يتقدم فى حشود هائلة مندفعة بغير هوادة — أمرهم أن ينظروا الى العدو بازدراء ، فأعاد بذلك الثقة اليهم ، وكانت الأرض

فى هذا المكان مستوية تماما(١٠٣) . مما سهل الهجوم ولسبب ما تهدم من السور عند هذا الموقع لدرجة أن الفواصل بين قوالب الطوب لم تعد متماسكة بشكل محكم لذلك كان قدماء الرومان قد بنوا سورا قصيرا خارجه لنطويقه ، ليس بغرض تحصينه إذ ذلك لأنه لم يحصن بالابراج علاوة على أنه ليس هناك شرفات لم تجهز بأية وسيلة أخرى لصد هجمات العدو على التحصينات) ولكن لأغراض ترفيهية معينة حتى تحبس الأسود وغيرها من الوحوش فيها . ولهذا السبب فقد سمى هذا المكان « فيفاريوم » اسم أطلقه الرومان على مكان يمنون فيه بالحيوانات المفترسة ، لذلك جهز فيتيجيس Vittigis آلات مختلفة فى أماكن متعددة طوال السور وأمر القوط بحفر ممرات تحت الأرض عند السور الخارجى اعتقادا منه أنه اذا دخلوا من خلالها سوف لا تصادفهم متاعب الاستيلاء على السور الرئيسى لعلمه أنه غير محصن بأى حال من الأحوال.

وعندما شاهد « بليزاريوس » العدو يقوم بالحفر عند الـ (فيفاريوم) ويهاجم الاستحكامات فى مواقع عديدة منها لم يسمح لجنوده بالدفاع عن السور أو البقاء أمام الشرفات الا القليل منهم بالرغم من أنه جمع حوله غرة رجال الجيش ، ولكن أوقفهم ينتظرون على أهبة الاستعداد أسفل البوابا متمرتدين الدروع وحاملين السيوف فقط ، ونجح القوط فى كسر فتحة على السور ودخلوا الى « فيفاريوم » ولكن أرسل « سيبريان » Cyprian مع غيره من الجنود فى الداخل وأمرهم بالقتال وقتلوا كل من دخل اذ لم يستطيعوا الدفاع عن أنفسهم ، وفى نفس الوقت قضوا على واحد تلو الآخر بين المكان الضيق عند الخروج، ودخل الرعب فى قلوب العدو بعد تغير الأحداث المفاجىء وانسحبوا بدون انتظام يجرون هربا فى اتجاهات مختلفة ، وفى هذه اللحظة فتح

---

(١٠٣) من الصعب أن نتصور الموقع الرئيسى ، لغالبية المصادر تؤكد على أن الموقع كان بالقرب من بوابة لابيكانا Port - Labicana

(المترجمة)

« بليزاريوس » بوابات السور الدائرى وأخرج جيشــه كاملا وراء أعدائه .

لم يفكر القوط فى المقاومة اطلاقا بل فروا فى كل الجهات والرومان خلفهم ولم يجدوا صعوبة فى قتل كل من وقع أمامهم . وطالت المطاردة لابتعاد القوط مسافة طويلة عن معسكراتهم وعند مهاجمة السور أمر بليزاريوس بسحق آلات العدو ولمــا رأوا النيران عاليــة زاد رعب الهاربين .

وفى هذه الآونة وقعت نفس الأحداث عند بوابة سالاريان وفتح الرومان البوابات فجأة وهاجموا البرابرة وقاتلوهم اذ لم يجدوا أمامهم مقاومة ثم أحرقوا الآلات الحربية التى استولوا عليها وارتفعت النيران عالية فى أماكن عديدة من السور مما أجبر القوط على الانســحاب من السور الدائرى وتزايدت القذائف من الطرفين حيث ان الجنود على السور أخذوا يشجعون المطاردين حينما أخذ الرجال داخل المعسكرات يندبون على الكارثة الكبرى التى أصابتهم . سقط فى هذا اليوم ثلاثون ألفا من القوط ، كما فر قوادهم وجرح عدد كبير منهم ويرجع السبب الى انهم حاربوا فى تجمعات كبيرة وتعرضوا للاصابة من جنود الشرفات الذين يقتلونَ حتما ، وأما الجنود الذين خرجوا لفك الحصار فقد قتلوا عددا غير عادى من الفارين المذعورين هذا وقد نشب القتال منذ الصباح عند السور ولم ينته الا متأخرا بعد الظهر وعسكر الجيشان فى مكانهما وخلال الليــل أخذ الرومان ينشدون أناشيد النصــر على الاستحكامات ويمجدون بليزاريوس بعد أن حصلوا على الغنائم من القتلى بينما عنى القوط بالجرحى وأخذوا يولولون على موتاهم .

(٢٤)

كتب بليزاريوس خطابا الى الامبراطور[١٠٤] يتضمن التقرير الآتي : « وصلنا الى ايطاليا حسب أوامركم وفتحنا الكثير من البلاد فيها وفتحنا أيضا روما بعد طرد البرابرة المقيمين هنا ، وقد ارسلت لكم مؤخرا زعيمهم « لدريس » Loudens وبما اننا تركنا حاميات من الجنود فى صقلية وايطاليا لحراسة الحصون التى استولينا عليها — انخفض تباعا عدد جنود الجيش الى خمسة آلاف فقط ، لكن وصل العدو مع حلفائه الينا على رأس قوة تصل الى مائة وخمسين ألف مقاتل ، ومنذ البداية توجهنا اليه للتجسس على قواته الممتدة على نهر التيبر ، ثم اضطررنا الى الاشتباك معه ضد ارادتنا ، وكدنا أن نختفى تحت وابل من الرماح لولا أن لاح لنا حسن الحظ • وبعدها هاجم البرابرة بكامل جيشهم الاستحكامات عند كافة المواقع بالآلات الحربية العديدة وكانوا على وشك أسرى والاستيلاء على المدينة عند أول وهلة : وكادوا ينجحون لولا أن خانهم الحظ •• ونجونا من الدماء لأنه لا يمكن أن ننسب الانجازات الفائقة الى طبيعة الأشياء من شجاعة الانسان ، بصفة موفقة وملائمة • ولكن الى قدرة أقوى منه والآن كل ما أنجزناه نسبناه الى حسن الحظ أو الى الشجاعة •• أما فيما يخص امكانيات المستقبل من الآن فصاعدا فانى أتمنى الأفضل بالنسبة لقضيتكم • هذا وسوف لا أخبىء عنكم شيئا مما يكون من واجبى أن أبوح به ومن واجبكم تنفيذه علما بأن شئون الانسان مهما كانت تمضى بمشيئة الله ولكن الشخص المكلف بمأمورية ما ينال الثناء أو اللوم حسب تصرفاته الشخصية لذلك •• أرجو أن ترسل لى الجنود والأسلحة بأعداد وكميات تسمح لنا بالاشتباك مع العدو بقوات متساوية • ذلك لعدم الركون كلية الى الحظ اذ أن الحظ لا يسرى دائما فى خط واحد •ولكن أرجو أيها الامبراطور

---

(١٠٤) المقصود به الامبراطور جستنيان : (٥٢٧ — ٥٦٥ م) .
(المترجم) .

أن تعتنى بهذا لأنه اذا انتصر البرابرة علينا فى هذه المرة سوف نطرد شرقا خارج ايطاليا التى نمتلكها غير أننا سنخسر الجيش وسوف نتحمل العار مهما كبر واصابنا هذا وأتوقف عن القول أننا سوف ندمر أهل روما الذين يريدون سلامتهم فضلا عن ولائهم لملكتكم وبالتالى وفى حالة حدوث ذلك تكون النتيجة بالنسبة لنا أن النجاح الذى كان من نصيبنا حتى الآن سوف يتحول فى النهاية الى مقدمة للمتاعب .. ذلك اذا طردنا من روما و« كامبانيا » Campania وقبلها من صقلية ، سوف نحس بأخف اهانات سوء الحظ وهى عدم قدرتنا على الثراء على حساب ممتلكات الغير . ومرة أخرى أرجو أن تأخذوا فى الاعتبار أيضا اذا استحق فى أى زمن من الأزمان أن يتولى عشرة آلاف رجل حراسة روما لفترة طويلة من الزمن . اذ أن المدينة تقوم على أرض واسعة وحيث انها بعيدة عن البحر فهى بالتالى معزولة عن الامدادات . وبالرغم من ارتياح الرومان لنا فى الوقت الحاضر الا أنه فى حالة طول الوقت وزيادة المشقة سوف لا يترددون فى اختيار الاتجاه المناسب لمصالحهم . لأنه عندما يتصاحب الانسان مع غيره فى لحظة نشوء . فانه يتمسك بولائه للاصدقاء .. ليس عندما يلازمه سوء الحظ ولكن أثناء الازدهار . وبالاضافة الى ذلك سوف يضطر الرومان الى اللجوء الى تصرفات عديدة غير راغبين فيها .

والآن فيما يخصنى فانى معرض للموت فى خدمة المملكة .. ولهذا السبب لم يتمكن أى انسان من اخراجى خارج المدينة طوال حياتى ولكن أرجو أن تأخذ فى الاعتبار ما هى الشهرة التى تعود عليك اذا توفى بليزاريوس .

هذا هو نص الخطاب الذى كتبه بليزاريوس وبقلق شديد شرع الامبراطور مسرعا فى جمع جيش وسفن وأرسل أوامره الى « فاليريان » Valerian و« مارتينوس » Martinus ،(١٠٥) باتخاذ الاجراءات

(١٠٥) كانوا من قواد المعاهدين . Foederati وقد استبعدوا من افريقيا الى بيزنطة .
(المترجمة)

فى أسرع وقت ، اذ أنهما انتدبا كما حدث على رأس جيش آخر عند أوائل الشتاء مع تعليمات بالابحار الى ايطاليا ، ولكنهما وصلا الى اليونان فقط نظرا لعجزهما عن الاستمرار فى الرحلة بعد ذلك . فقاما بقضـــاء الشتاء على أراضى « ايتوليـــا » Aetolia [١٠٦] و« اكارنانيا » Acarnina [١٠٧] وأبلغ الامبراطور جستنيان قائـــده بليزاريوس بجميع التفاصيل ، وزادت بسالة الرومان وعزت فى روحهم الحماسة والشجاعة .

وقد حدث فى هذه الآونة فى نابلى الواقعة التالية .. كان فى ميدان السوق هناك صورة لـ « ثيودوريك » حاكم القـوط مكونة من أحجار مختلفة صغيرة الحجم ملونة بكل الألوان وقد حدث أثناء حيـــاة ثيودوريك أن الرأس وقعت من الصورة بعد تخلخل الحجر دون أن تمسه يد ، وبالصدفة توفى ثيودريك على الفور .. وبعد مضى ثمانيـــة اعوام وقع فجأة الحجر الذى يكون الجسد وتوفى على أثر « اتالاريك » Atalric حفيد ثيودريك وبعد مضى زمن وجيز سقط حجر الفخذين وعلى أثره توفيت اماﻻ سونثا ابنة ثيودريك فجـــاة وقد وقعت هـــذه الأحداث حسبما رويت ولكن عندما شرع القوط فى حصار روما وبفعل انحط تهشم كذلك الجزء ما بين الفخذين والقدمين وبذلك اختفت الصورة تماما من الحائط وتكهن الرومان بمغزى هذا الحادث وأكدوا انتصـــار جيش الامبراطور فى الحرب ظنا منهم أن قدمى ثيودريك ما هى الا شعب القوط الذى كان تحت سيطرته وبالتالى زاد الأمل لدى الرومان .

---

(١٠٦) ايتوليا Aetolia مدينة يونانية قديمة تقع على خليج كورنثة مباشرة وقد اتحدت حاليا مع اكارنينا . (المترجمة)

(١٠٧) اكارنينا Acarnina مدينة يونانية قديمة على البحر الايوني ، وتقع حاليا فى ايتوليا وتسمى ولاية ايتوليا . Encyclopedies Britanica Vol I.

وفي روما تذكر بعض البطارقة حكم الإلهة(١٠٨) قائلين : ان الخطر الذى جثم على المدينة سوف يستمر عليها حتى شهر يوليو ان تقرر ضرورة تتويج شخص ما فى هذا التاريخ ملكا على الرومان ومنذ هذه اللحظة يختلى عن روما خطر جنس « الجيتيك » Getic اذا قيل ان شعب القوط ينتمى الى جنس « الجيتيك » كان حكم الآلهة كالآتى : فى الشهر الخامس تحت حكم — ملك سوف لا يدوم « الجيتيك » طويلا — فقرروا أن الشهر الخامس هو يوليو اذ قال بعضهم ان بداية الحصار فى اليوم الأول من مارس ومنه يصبح يوليو الشهر الخامس . وقال البعض الآخر ان مارس يعتبر الشهر الأول حتى حكم نوما Numa أذ كانت السنة تشمل قبل هذا الحكم عشرة شهور فقط وسمى يوليو « كوينتيليس » Quintilis .

وبالرغم من هذا فلم تتحقق أى من هذه النبوءات ، فلم يتوج ملك على الرومان فى هذا التاريخ ولم يرفع الحصار الا بعد مضى سنة وواجهت روما أخطارا مماثلة تحت حكم « توتيلا » Totila حاكم القوط ، حسب ما سأقصه فيما بعد ذلك يبدو لى أن حكم الآلهة لا يشير الى هجوم البرابرة الحالى بل الى هجوم آخر وقع فعلا أو هجوم سوف يقع فى وقت لاحق لأنه فى رأيى قد يصعب على الانسان التكهن بحقيقة حكم الآلهة قبل حدوث الواقعة . سوف أبين فيما بعد سبب هذا بعد أن اطلعت على كافة أحكام الآلهة الخاصة بهذا الموضوع . لم تظهر الكاهنة الأحكام والوقائع حسب حدوثها كما ولم تسرد بداية الأحداث بطريقة محكمة ولكن بعد أن ألقت بعض أبيات الشعر عن المشاكل فى ليبيا فانها تنتقل فجأة الى بلاد الفرس ومنها تتجه الى ذكر الرومان

---

(١٠٨) والقصة التى تحكى أصل هؤلاء الالهة موجودة فى ديونيسيس هاليكارناسوس Dionysius Halicarnossus قد احترقوا مع العاصمة عام ٨٣ قبل الميلاد واحترقت المجموعة الثانية على يد ستليكو سنة ٤٠٥ م ، والالهة التى يتكلم عنهم بروكوبيوس هم المجموعة الثالثة .

(المترجمة)

ثم تحيل القصة الى الأحباش ومرة أخرى تتكهن عن الرومان ومنهم عن متاعب الايزوريين •• فلهذه الأسباب يتعذر على الانسان ادراك تكهنات الكاهنة قبل وقوع الأحداث والزمن وحده هو المفسر الدقيق لهذه التنبوءات وبعد وقوع الأحداث فقط وتحليل الكلمات بالخبرة بالنسبة لهذه الأحداث فكل واحد يفكر حسب رغبته وسوف أعود الى هذا الموضوع بعد أن تحدث عنه •

(٢٥)

وبعد ايقاف زحف القوط فى المركزة عند السور عسكر الجيشان فى مواقعهما • وفقا لما سبق أن وصفته ولكن فى اليوم التالى أمر بلزاريوس الرومان باجلاء النساء والأطفال الى خارج نابولى وكذلك الفائض من الخدم والغير مكلفين بحراسة السور لضمان وفرة المؤن وأمر جنوده باتباع نفس النظام بالنسبة لمن له مرافق من الذكور أو الاناث ثم مضى يقول انه سوف لن يستمر فى توفير المؤن بالقدر العادى طيلة مدة الحصار وأن عليهم الاكتفاء بنصف الحصة اليومية من المؤن المتوفرة وأن يتسلموا النصف الآخر نقدا وعليه قام الجميع بتنفيذ التعليمات وعلى التو خرج حشد كبير متجها الى كمبانيا Campania وكان من حسن الحظ أن البعض منهم جهز بعض السفن الراسية داخل ميناء روما ليبحروا عليها(١٠٩) ولكن ترجل الباقون على الطريق المسمى ابيان ودون وقوع أى خطر أو خوف أو مضايقة للمترجلين المتجهين الى الميناء ذلك لاستحالة محاصرة العدو لروما باكملها بمعسكراتهم نظرا لامتداد المدينة الواسع من جهة ومن جهة أخرى فقد خشى العدو أن يبعد عن المعسكرات فى أعداد صغيرة خوفا من خروج الرومان لمهاجمتهم •

(١٠٩) كانت مدينة بورتس Portus فى هذه الآونة تقع على الجزء الشمالى من مدخل التيبر ، واوستيا Ostia على الجزء الجنوبى ، كلتاهما كانتا مهملتين • (المترجمة)

وتبعا لذلك فقد توفرت للمحاصرين المديد من الفرص والوقت الكافى للجلاء عن المدينة وادخال المؤن من الخارج • وخاصة أثناء الليل أصاب البرابرة الرعب فاكتفوا بتشديد الحراسة ومكثوا ساكتين داخل معسكراتهم اذ اعتادت الدوريات الخروج عن المدينة بصفة دائمة وخاصة عدد كبير من المغاربة وعندما عثروا على قوات العدو ودورياته الصغيرة (كما يحدث ذلك مرارا فى الجيوش الكبيرة يخرج الجنود ليس فقط لقضاء الحاجة ولكن للعناية بمراعى الخيول والبغال والحيوانات الى ستنحر) فيقتلونهم ويجردونهم من كل شيء هذا واذا صادفهم مهاجمة العدو باعداد كبيرة فانهم ينسحبون مسرعين لاستعدادهم الطبيعى فى سرعة العدو وحسن التجهيز • لذلك تمكن عدد غفير من الانسحاب من روما واتجه الى « كا مبانيا » والبعض الى صقلية والبعض الآخر الى جهة تناسبهم وقد تبين لبليزاريوس أن عدد الجنود غير كاف لتغطية السور الدائرى باكمله لقلة عددهم كما سبق أن نوهت به[110] وأنه يتعذر عليهم القيام بالحراسة بصفة مستديمة دون الخلود الى النوم اذ سوف ينام البعض بينما يتولى البعض الآخر الحراسة وفى نفس الوقت رأى أغلبية الشعب فى فقر مدقع وفى حاجة الى ضروريات الحياة لكونهم عمالا يدوين • وكل ما ينالونه هو قوتهم اليومى ، وحيث انهم اضطروا الى البطالة بسبب الحصار وقد عدموا وسائل كسب العيش ولهذه الأسباب جمع « بليزاريوس » الجنود والمواطنين معا ووزعهم على المواقع وحدد أجرا معينا يوميا لكل من الرجال الغير مجندين وهكذا تمكن من جمع وحدات تكفى لحراسة السور وأسند الى الدوريات الحراسة الليلية للاستحكامات بالتناوب وبذلك تمكن بليزاريوس من التغلب على متاعب الجنود والمواطنين •

كان هناك شك موجه ضد سيلفاريوس Silverius رئيس أساقفة المدينة اذ تورط فى المفاوضات مع القوط فأرسله بليزاريوس فورا الى اليونان ،

---

(١١٠) كانوا خمسة آلاف .   (المترجمة)

وبعد فترة وجيزة عين رجلا آخر يسمى « فيجيليوس » Vigilius في مركز رئيس الأساقفة كما نفى خارج روما بعض أعضاء مجلس الشيوخ ولكن أعادهم الى ديارهم بعد مدة اثر قيام المعويطك الحصار والجلاء عن المدينة ومن ضمن هؤلاء « ماكسيموس » Maximus وكان جد « ماكسيموس » قد ارتكب جريمة ضد الامبراطور فالنتيان وخشى أن يتورط حراس البوابات في مؤامرة ما بدخول أحد الأشخاص من الخارج بغرض افساد الحرس بدفع الرشاوى فاتلف المفاتيح كلها ووضع غيرها تختلف عنها في الشكل في كل مرة . ونقل الحرس الى مواقع أخرى تبعد كل البعد عن المواقع التى سبق لهم أن عسكروا فيها وغير الحراس وبدلهم بغيرهم على الاستحكامات على موقع معين من السور وقيد أسماء الحراس .. وفى حالة غياب احدهم يستبدل بغيره بصفة مؤقتة ، وفى اليوم التالى يبلغ بليزاريوس شخصيا باسم المتغيب لتوقيع الجزاء المناسب عليه كما أمر الموسيقيين بالعزف على الاتهم ليلا .

وفى هذه الآونة حاول بعض الرومان اقتحام معبد « جانوس » Ganus سرا . هذا الجانوس هو أول الآلهة القديمة التى سماها الرومان « بيناتس »[١١١] Penates وله معبد فى هذا المكان من الساحة فى مواجهة قاعة مجلس الشيوخ التى تمتد بعد « تريافانا »[١١٢] قليلا لذلك اعتاد الرومان أن يطلقوا عليه اسم « مويراى »[١١٣] Moirai ، وبنى المعبد باكمله من البرونز على شكل مربع وبعرض

---

(١١١) جانوس اله ايطالى قديم — وقد ظهرت عبادته فى عهد روميلوس .

(١١٢) معبد جانوس هذا من اكبر المعابد الشهيرة فى روما ولكنه ليس المعبد الوحيد فهو يحتل المكان المجاور لقوس سبتميوس سيفيروس فهو يواجه معبد جوبيتر ويواجه سجن مامرتين Mamertine وتريفاتا Tri Fata وهم ثلاث تماثيل لتبية الكهنة وهى منتصبة بجانب المنبر . (المترجمة)

(١١٣) المصير والقدر . — (المترجمة)

يكفى ايواء تمثال جانوس فقط . التمثال اذا من البرونز وبارتفاع خمسة أقدام مكعبة وعن باقى المواصفات فانه يشبه الرجل ولكن برأس ذات وجهين يتجه احدهما شرقا والثانى غربا ، أمام كل من الوجهين أبواب من النحاس الأصفر كان الرومان قديما يغلقونها فى أوقات السلم والازدهار ويفتحونها أثناء الحروب . وعندما تشرف الرومان بالدخول فى المسيحية ــ أقلعوا تماما عن هذه العادة ، وأقلعوا عن فتحها أثناء الحروب . واعتقدوا أنه خلال هذا الحصار ــ قام بعض ممن ظــل يتمسك بهذه العادة بمحاولات سرية لفتحها لكنهم لم ينجحوا على الاطلاق ، وقد حركوا الأبواب واحدا خلف الآخر ، وهؤلاء الذين حاولوا ذلك فشلت محاولاتهم ولم يحدث تحقيق شىء من هذه الأعمال ، وهذا طبيعى فى حالات الفوضى ، حيث لم يعلم القادة بهذه الواقعة كما ولم يعلم عامة الشعب الا القليل منهم .

(٢٦)

هذا وكان فيتيجيس فى حالة غضب وحيرة ، لذا أرسل بعض حراسه الى رافنا ، وأمرهم بقتل اعضاء مجلس الشيوخ الرومان من الأسرى الذين تم أسرهم عند بداية الحرب ، ولما علم بعضهم مسبقا بمصيرهم فروا هاربين ومنهم « فرجنتينوس » Vergentius و« ريباراتوس » Reparatus شقيق « فجيلوس » Vigilius رئيس أساقفة روما الذين اتجهوا الى ليجوريا وبقوا هناك ، وقتل الباقين ولما شاهد فيتيجيس العدو يتمتع بقدر واسع من الحرية ليس فقط فى حمل ما يريده خارج المدينة ولكن فى ادخال المؤن برا وبحرا ، قرر الاستيلاء على الميناء الذى سماه الرومان « بورتوس » .

يبعد الميناء عن المدينة بستة وعشرين ستاد ، لأن روما لا تشرف على البحر ، وتقع عند مصب نهر التيبر(١١٤) ، هذا وفي حين أن النهر يجرى بعيدا عن روما ويصل الى موقع يجاور البحر على مسافة خمسة عشرة ستاد منه يتفرع المجرى الى فرعين مكونا ما هو معروف بـ « الجزيرة المقدسة » هذا ويجرى النهر ويزيد عرض الجزيرة حتى يتساوى مع طولها اذ تبلغ المسافة بين فرعى النهر خمسة عشرة ستاد ، كما وتسرى الملاحة على الفرعين ، ويصب الفرع الأيمن للنهر فى الميناء وبنى قدماء الرومان عند المصب مدينة(١١٥) محوطة بسور حصين وسميت « بورتوس » مثل الميناء ولكن عند الجهة اليسرى يصب الفرع الآخر للتيبر فى البحر يوجد مدينة أوستيا Ostia عند نهاية الضفة وهو موقع ذو أهمية كبيرة فى الأزمنة القديمة ولكنها غير معمورة فى الوقت الحاضر وبالاضافة الى ذلك بنى الرومان طريقا من « بورتوس » الى روما وهو طريق أملس وسهل ، وهناك صنادل كثيرة ترسو عند الميناء جاهزة للخدمة عند وصول سفن التجار الى الميناء — يقوم التجار بانزال البضائع وشحنها على الصنادل التى تبحر على التيبر فى اتجاه روما دون استعمال القلاع أو المجاديف لاستحالة سيرها بالقلاع نظرا لكثرة التعرجات وعدم السير فى اتجاه مستقيم لأنها تسير عكس التيار فبدلا من اللجوء الى هذه الوسائل فانهم يربطون الحبال من الصنادل الى أعناق الثيران ثم جر مثل العربات الى روما ، ولكن على الضفة الأخرى من النهر حينما يتجه الشخص من « أوستيا » الى روما فان الغابات تغلب بصفة عامة على الطريق فهو مهمل وبعيد عن ضفة التيبر لانعدام حركة جر الصنادل على الطريق .

---

(١١٤) هذا هو المصب الشمالى .

(١١٥) قطع الامبراطور كلوديس القناة الشمالية من النهر حتى يمنع غرق روما وجعل ميناء كلوديو مفتوحا على البحر بالقرب من المصب ، والميناء المحصور الثانى المجاور لميناء كلوديس هو الذى بناه الامبراطور تراجان . (المترجمة)

لذلك تقدم القوط على دهمنت وشاهدوا المدينة ومينــاءها بدون حراسة لذلك استولوا عليها من الهجوم الأول وقتلوا العديد من الرومان المقيمين هناك كما استولوا على المدينة ثم اقاموا حراسة مكونة من ألف رجل من قواتهم وعاد الباقون الى المعسكرات ، ونتج عن ذلك استحالة ادخال البضائع الواردة بحرا الى المحاصرين الا عن طريق أوستيا وهو طريق يحتاج الى مجهود واسع بالاضافة الى الخطر الناتج عن عجــز السفن الرومانية عن الرســو عليها ولكنها رست عند « انثيـــوم » Anthium على بعد رحلة يوم واحد من أوستيا ، ولكنهم صادفوا متاعب جمة عند نقل البضائع الى روما بسبب ندرة الرجــال اذ خشى بليزاريوس على استحكامات روما وبالتالى عجز عن تحصين المينـــاء وتزويدها بالحاميات هذا وفى اعتقادى أنه لذا عسكر ثلاثمائة من الرجال للحراسة سوف لا يجرؤ البرابرة على محاولة اقتحام الموقع القــوى التحصـــين .

(٢٧)

قام القوط بهذا العمل البطولى فى اليوم الثالث بعد الهجـــوم وانسحابهم من الســور عند ذلك وصل « فاليريان » Valerian و« مارتينوس » Martinus بعــد مرور عشرين يــوما من الاستيلاء على مدينــة « بورتوس » وميناءها على رأس ألف وستمائة فارس ينتمى معظمهم الى قوم الهون ، و« الاسكلافين »(١١٦) و« الايتــان » (١١٧) المقيمين على نهر « أيستر »(١١٨) على مســافة بسيطة من الضــفتين . فــرح « بليزاريوس » عند قدومهما وظن أنه فى استطاعته الاستمرار فى

---

(١١٦) من السلاف وهم عناصر هاجمت مقدونيا فى العصور الوسطى . (المترجمة)

(١١٧) شعب من شعوب السلاف ايضا .

(١١٨) نهر ايستر سبق أن أوضحنا أنه نهر الدانوب حاليا . (المترجمة)

مقاومة العدو لذلك أمر أحد اتباعه في اليوم التالي واسمه « تراجان » Trajan وهو مقاتل نشط وقد حمله على مقابلة العدو على رأس مائتين من الفرسان ، وبمجرد وصوله الى المعسكر عليه أن يتوجه اعلى تل (بعد أن أشار اليه) والمكوث هناك ساكنا واذ تقدم العدو للقتال فعليه الا يشتبك معه وعدم لمس السيف أو الرمح بأى حال من الأحوال بل يستعمل الأقواس دون غيرها واذ تأكد أن كنانته خاوية من السهم أو السهام عليه القيام بالفرار بأسرع ما يمكن دون التفكير في العار واللجوء الى الاستحكامات . وبعد أن جدد تعليماته المذكورة جهز الآلات التى تطلق السهام والرجال المهرة في استخدامها . خرج تراجان على رأس مائتين من الرجال من بوابة « سالاريان » Salarian واتجهوا الى معسكر العدو . اندهش العدو من هذا التصرف المفاجىء وخرج من معسكراته بعد أن تناول كل رجل معداته على قدر المستطاع . امتطى رجال تراجان كلهم الجياد حتى قمة التل الذى أشار به بليزاريوس ومن هذا الارتفاع شرعوا يطلقون السهام على البرابرة وحيث انها وقعت كلها على حشد منهم فقد أصابت كلها الرجال والخيول ولكن وبعد أن استنفذت القذائف لديهم انسحبوا الى الخلف بسرعة وهنا تدفق القوط يطاردونهم . وعند وصولهم الى الاستحكامات أطلق عمال الآلات السهام على العدو . فدخل الرعب في قلوب البرابرة وفروا هاربين دون المضى فى المطاردة وقيل انه مات فى هذه المعركة ما لا يقل عن مائة من القوط . وبعد أيام أرسل « بليزاريوس » و« منديلاس » Mundilas شخصا آخر من حرسه الخاص مع « ديوجينيس » Diogenes وهما من أمهر المقاتلين على رأس ثلاثمائة حارس لاعادة تنفيذ الخطة وتنفذوها وفقا لتعليماته وكانت النتيجة انه بدأ الاشتباك مع العدو وقتل نفس عدد القتلى فى المعركة الأولى وربما أكثر ثم أرسل للمرة الحالية أحد حراس « أويلاس » Oilas على رأس ثلاثمائة فارس وزوده بتعليمات للقتال مع العدو على نفس الطريقة وقد أحرز

نفس النتيجة ، هذا وبعد اتمام الهجمات الثلاثة وفقا لما رويته قتل « بليزاريوس » حوالى أربعة آلاف جندى للعدو ، تسى « فيتيجيس » Vittigis أن يأخذ فى الحسبان الفرق بين الجيشين من ناحية التسلح والخبرة فى العمليات الحربية واعتقد انه كان فى استطاعته أيضا أن ينزل بالعدو خسائر فادحة اذا هاجمه على رأس قوة صغيرة لذلك أرسل خمسمائة من الخيالة وأمرهم بالاقتراب من الاستحكامات والقيام أمام جيش العدو بأكمله باظهار الخطط الحربية التى استعملت ضدهم بفرق صغيرة كانت السبب فى هزيمتهم فقد وصلوا الى مكان مرتفع لا يبعد كثيرا عن المدينة ولكن بعيد عن مدى اصابة القذائف ، وتوقفوا هناك واختار بليزاريوس الف رجل وعلى رأسهم « بيساس » Bessas وأمرهم بالاشتباك مع العدو ، وحوطت هذه القوة العدو فى دائرة وأخذوا يطلقون القذائف من الخلف وقتلت عددا كبيرا منهم وبالضغط القوى على الباقين أجبروهم على النزول الى السهل وقامت هناك معركة رجل ضد رجل بين القوتين ولكن بغير تكافؤ وقتل أغلبية القوط وقد تمكن عدد قليل منهم من الهرب بصعوبة وبالعودة الى معسكراتهم لعن فيتيجيس هؤلاء الرجال مؤكدا أن الجبن هو سبب هزيمتهم وشرع يحث على تجهيز كتيبة أخرى من الرجال لتعويض الخسائر بعد فترة وجيزة ثم تملك الى السكون فى الوقت الحالى — وبعد ثلاثة أيام اختار رجالا من كل المعسكرات يقدرون بحوالى خمسمائة رجل ، وأمرهم باظهار البطولات ضد العدو ، وهذا ولما شاهد بليزاريوس هؤلاء الرجال يقتربون أرسل ضدهم ألفا وخمسمائة من رجاله بقيادة « مارتينوس » Martinus ، و« فاليريان » Valrian قامت المعركة بين قوات الفرسان على الفور ونظرا لتفوق الرومان العددى على العدو ، قد أجبروه على الفرار بدون مشقة وقضوا عليه تقريبا ورأى العدو أن كارثة كبيرة وقعت عليه وأنها دليل على سوء الحظ لانه عندما كانوا يقاتلون بأعداد كبيرة كان العدو فى عدد قليل وبالعكس عندما قاتلوا العدو

بأعداد كبيرة كان العدو فى عدد قليل وبالعكس عندما قاتلوا العدو بأعداد صغيرة فقد انهزموا ، وقد وجه الرومان اقتراحا بالثناء على بليزاريوس وعلى حكمته بعد أن تعجبوا تعجبا كبيرا ولما طلبه أصدقاؤه بافشاء سر كيفية تأسيس حكمه فى هذا اليوم بعد فراره من العدو اثر هزيمته التامة وسبب تأكيده الانتصار عليهم بصفة قاطعة فى الحرب قال لهم أنه عند الاشتباك بهم أول الأمر على رأس قوة صغيرة لاحظ الفرق بين الجيش ثم فكر أنه فى حالة القتال معهم فى المعارك بقوة متكافئة مع قوتهم(١١٩) سيتمكن العدو من انزال الخسائر بالرومان نظرا لقلة عددهم والفرق بينهما هو الآتى : ان كل الرومان على وجه التقريب وحلفائهم الهون من أمهر الفرسان حاملى القوس فى حين أنه لا يوجد رجل واحد بين القوط يتمتع بخبرة فى هذا المجال لأن فرسانهم يستعملون الرماح والسيوف فقط ويدخل حاملوا الأقواس معهم المعركة مترجلين وتحت حماية الجنود المدججين بالسلاح الثقيل . لذلك فليس أمام الفرسان وسيلة للدفاع ضد العدو الذى يحارب بالأقواس واصابتهم بالرماح وقتلهم سهل جدا الا اذا قام القتال رجلا لرجل . أما المشاة لا يقدرون على الخروج والقتال ضد الفرسان . صرح بليزاريوس انه لهذه الأسباب وقعت هزيمة البرابرة على يد الرومان فى الاشتباكات الأخيرة وتذكر القوط النهاية الغير منتظرة من خبرتهم وتنازلوا عن الهجوم ضد استحكامات روما بأعداد صغيرة وكذلك عن مطاردة العدو بعد أن قام بالاستنزاف فيما عدا اجباره على العودة الى معسكراته .

(٢٨)

ابتهج الرومان فيما بعد بانتصارهم وتاقوا جميعا الى قتال جيش القوط بأكمله واعتقدوا أنهم سوف يحاربون على السهل المكشوف ، وقد نظر بليزاريوس الى حجم الجيش الذى ما يزال كبيرا واختار المخاطرة

---

(١١٩) كانت الفرقة صغيرة لكنها متساوية معها فى القوة .
(المترجمة)

بدخول معركة نهائية بكامل جيشه لذلك انهمك في اخراج الدوريات من المدينة وخطط للهجوم بها على العدو ثم وصل اخيرا الى القرار بعد أن زاد الضغط على علته من الجيش والرومان بصفة عامة وبالرغم من رغبته في القتال بكامل جيشه فقد عزم على بدء القتال بحملة مفاجئة خارج المدينة ولكن تراجع مرات عديدة عن القيام بهذه العملية وأخطر الى تأجيل الهجوم الى اليوم التالى بعد ان علم أن العدو قد أخبر من الهاربين بخطته وبالتالى استعدوا لمقابلته ، فلهذا السبب عزم على القيام بمعركة نهائية فى ميدان القتال المكشوف وحضر البرابرة مسرورين لمقابلته ، وبعد استعداد الطرفين للمعركة على أحسن وجه جمع بليزاريوس جيشه وشجع جنوده على الوجه الآتى :

« أيها الأخوة الجنود ليس لأنى لست جبنا من جانبكم وليس لأنى أرهب قوة العدو — تراجعت عن الاشتباك معهم ولكن رأيت الاستمرار فى الحرب بارسال الدوريات المفاجئة خارج المدينة وان هذا الاجراء فى مصلحتنا لذلك فقد رأيت أنه من الواجب التمسك بصفة عامة بالخطط التى تتسبب فى انتصارنا ذلك لاعتقادى بانه عندما تسير أمورنا بما يرضينا وغيرها من وسائل القتال فاننا سوف نصاب بالضرر. ولكن حيث انى أرى أنكم تواقون الى هذا الخطر فانى أثق فيكم ولا أعارض فى بسالتكم ، اذ أعرف أن العامل الرئيسى للحرب هو موقف المقاتلين منها ، وبصفة عامة يعود سبب النجاح الى حماسهم هذا وتعلمون الآن أن كل رجل منكم يعرف تمام المعرفة أن جيشنا من الرجال المجهزين للقتال ببسالة يستطيعون التغلب على عدد كبير من الأعداء معتمدين لا على الاشاعات بل على خبرتهم القتالية اليومية ، ويتبقى عليكم الا تجنبوا العار للامجاد السابقة طوال مدة خدمتى كقائد ولا للأمل الملتهب من حماسكم هذا وسوف يتم اصدار حكم على انجازاتنا فى هذه الحرب يتوقف على النتيجة التى نصل اليها اليوم وفى اعتقادى أن هذه اللحظة فى مصلحتنا لأنها من الأرجح انها سوف تسهل علينا السيطرة على العدو ،

اذ أن روحهم المعنوية لنهارت اثر الأحداث السابقة ، ذلك لأنه عندما يصادف الجنود سوء الحظ مرارا . تفقد قلوبهم الروح المعنوية وليهدأ قليلا .. هذا وأرجو الا يفرط أحدكم في استعمال الجياد والأقواس وأي نوع من السلاح لأنني سوف استبدل لكم كل ما يدمر في المعركة بغيره » .

وبعد أن وجه بليزاريوس هذه الكلمات التهييجية قاد جيشه من خلال بوابة « بنيسيان » Pincian المسورة وبوابة « سالاريان » Salarian وأمر بعض الرجال بالخروج من خلال بوابة « أورليان » Aurlian نحو سهل نيرون بقيادة فالينتينوس Valentinus قائد كتيبة من الفرسان . وأمره ألا يبدأ والا يبدأ المعركة أو يقترب من معسكر العدو ولكن عليه أن يتظاهر دائما أنه وشيك الهجوم حتى يحول دون اجتياز العدو هذه المنطقة على الجسر المجاور ويسرع الى مساعدة جنود باقي المعسكرات . ذلك لأنه كما سبق أن نوهت به أن عسكر البرابرة كانوا على سهل نيرون Nero وبأعداد كبيرة وقد بدا له أن هذه الأعداد كافية وتتمكن من عزل باقي قوات الجيش عن الآخرين . وتسلح بعض أفراد الشعب الروماني وخرجوا متطوعين للقتال . ولكنه رفض أن يقبلهم للقتال بجانب القوات النظامية وخاف عليهم اذا اشتبكوا سوف يتسببون في عرقلة الجيش بأكمله لكونهم من العمال وبدون دراية بخبرة الحرب ولكن عند بوابة بانكراسيان التي تلازم النهر أمرهم بالتجمع في فيلق والالتزام بالهدوء ، وبعد أن فكر في الأمر أيقن أن العدو المعسكر على سهل « نيرون » سوف يتمكن من رؤيتهم وبجوارهم قوات « فالنتينوس » Valentinus ولا يجرؤ على مغادرة المعسكر والاشتباك مع باقي قوات القوط ضد قواته ، واعتبر هذا ضربة حظ وميزة هامة اذ تجمع هنا الجمع الكبير من الرجال بعيدا عن جيش الأعداء .

ونظراً لهذا الموقف أباح الاشتباك فى هذا اليوم فى معركة بسلاح الفرسان فقط وقد أبدت قوات المشاة رغبتها فى عدم البقاء على حالتها الراهنة ، وحيث انه قد سبق لهم الاستيلاء على الجياد كغنائم من العدو ونظراً لدرايتهم بوسائل ركوب الخيل فقد امتطوها ولأن عدد المشاة صغير واستحال جمع أفرادها فى فيلق ذى اثر قتالى فعال وانى أنهم لا يجرؤون على مهاجمة البرابرة ولكنهم يلجاون الى الفرار منذ اللحظة الأولى فقد اعتبروا أن هناك خطرا فى ابعادهم عن الاستحكامات وفكروا أنه من المستحسن أن يبقوا فى موقعهم الحالى وعلى مقربة من الخندق ، لأنه فى حالة هروب قوة الفرسان الرومانية فانهم يواجهون الهاربين ويساعدونهم على اجبار العدو على الفرار .

وكان هناك رجلان من ضمن حرس بليزاريوس أحدهم يدعى « برينسيبوس » Principius وهو رجل شهير ومن مواليد « بيسديا » Pisidian [١٢] وتارموتوس Tarmutus من مواليد « ايزوريا » Isaurian شقيق « اينيس » Ennes قائد قوم الأيزوريين وقد حضر الرجلان أمام بليزاريوس وتكلما كالآتى :

« يا أعظم القادة نرجو الا تتخذ قرار اشتباك جيشك الصغير مع عشرات الآلاف من البرابرة بفصله عن كتيبة المشاة والا تفكر لحظة واحدة فى أن يتجرأ أحد فى معاملة قوات المشاة الرومانية بازدراء ، فكما سمعنا أن سلطة قدماء الرومان ترجع الى قوتهم الحالية ، ذلك اذ انها لم تقم بنشاط يذكر فى هذه الحرب فليس هذا دليلا على جبن الجنود ولكن اللوم يقع على قادة المشاة لأنهم الوحيدون الذين يمتطون الجياد أثناء المعارك ولا يريدون المساهمة فى احتمال وبلات الحرب مع

---

(١٢) مدينة بيسيديا Pisidia مدينة قديمة تقع فى جنوب الاناضول . (المترجمة)

انظر :

Setton « op - cit » vol I. p. 663.

غيرهم ولكن بصفة عامة يفرون قبل نشوب المعركة . ولكن هل تستطيع أن تحكم قيادة الفرسان اذا رأيتهم يتحولون لقوات الفرسان ويمتنعون عن الوقوف الى جانب مرؤسيهم . وتقبلهم مع باقى قوات الفرســـان وتدخل بهم الحرب وتسمح لنا بقيادة المشاة ؛ فبالرغم من اننا مترجلون فاننا سنقوم بواجبنا فى مساعدتهم على صد هجوم جحافل البرابرة واثقين اننا سنوقع على العدو أى نوع من العقاب يسمح به الرب .

عندما استمع بليزاريوس الى هذا الخطاب لم يوافق عليه بادئ الأمر وقد أعجب اعجابا شديدا بهذين الرجلين وهما مقاتلان على درجة عالية من الكفاءة ، ورفض أن تقوم قوة صغيرة من المشاة بهذه المخاطرة . ولكنه أخيرا وبعد الالحاح الشديد من الرجلين وافق على تكليف عدد صغير من جنودهم مع الشعب الرومانى لحراسة البوابات والشرفات على قمة السور حيث تركزت الآلات الحربية وأمر باقى القوات بالتمركز التى الخلف فى تشكيلات منتظمة بقيادة « برينسيبيوس » Prrincipius و« تورموتوس » Tarmutus .

كان هدفه الأول من هذه الخطة منع هؤلاء الجنود من التسبب فى ارباك باقى قوات الجيش اذا أصيبوا بالذعر عند وقوع الخطر ثم فى حالة تفكك قوة الفرسان يضطرون الى الفرار فى أى وقت وبالتالى عرقلة الانسحاب بانتشارهم على مسافات طويلة . ولكنه دعم قوات المشـــاة حتى تتمكن من صد المطاردين بمساعدتها .

(٢٩)

استعد الرومان للقتال بهذه الوسيلة اما فيما يخص « فيتيجيس » Vittigis فقد قام بتسليح القوط ولم يترك أحدا فى المعســـكرات الا العاجزين عن القتال ، وأمر الرجـــال الذين يقودهم مارســـيلس Marcias بالابقاء على سهل نيرون Nero وتناول حراسة الجسر

لمنع هجوم العدو عليه فى هذا الاتجاه ثم جمع الجيش وتحدث الى رجاله كالآتى :

سوف يفكر البعض منكم انى خائف على مملكتى وأن هذا هو سبب اظهارى للمشاعر الطيبة نحوكم فى الماضى وانا أوجه لكم الآن ذلك لأن الجهلاء من الرجال اعتادوا أن يظهروا الرقة نحو الذين يريدون كلمات جميلة لانقاذ بسالتكم .. هذا التفكير لا يتفق وسبل الانسانية . التعاون معهم حتى اذا كانوا من مستوى اقل ولكى يصعب عليهم الوصول الى البعض الآخر ممن لا ينبغى التعاون معه . فيما يخصنى فانى لا أبالى بنهاية حياتى او فقد سلطاتى .. كلا بل انى أصلى من أجل خلع الرداء الامبراطورى الأرجوانى ليرتديه شخص آخر من القوط . هذا وقد اعترفت دائما واعتبرت نهاية ثيوداتوس Theodatus نهاية سعيدة اذا حالفه لحظ عندما فقد مملكته وحياته على أيدى رجال وطنه . هذا وكل مصيبة تقع على الفرد دون أن يتورط فيها أهل بلده تحمل معها مواساة على الأقل بالنسبة للرجال الحكماء ولكن عدت الى مصير الوندال ونهاية جليمر وخطرت على بالى أفكار غير طبيعية كلا يبدو لى أن القوط وأطفالهم وصلوا الى العبودية وتخضع زوجاتكم لأبشع الطرق لأسفل الرجال وأن توجهنا شخصيا وحفيدة ثيودوريك[١٢١] الى أية جهة يريدها أعداؤنا الآن سوف أقودكم الى معركة خاسرة اذا قاتلتم هكذا فى ميدان القتال فسوف تتمنون الموت فضلا عن الأمان بعد الهزيمة . ذلك لأن النبلاء من الرجال يوجهون الأعتبار الى نوع واحد من سوء الحظ الا وهو أن يظل حيا بعد هزيمته على يد الأعداء . وفيما يخص الموت وخاصة الموت السريع فانه يمنح السعادة لمن لم يخنه الحظ ، ومن الجلى انكم اذا احتفظتم بهذه الأفكار فى أذهانكم عند اقدامكم على المعركة القادمة سوف لا تنتظرون وتنتصرون على أعدائكم بكل سهولة لقلتهم ولتحالفهم

---

(١٢١) حفيدة ثيودريك هى ماتئاسونتا Mentasuntha .

(المترجمة)

مع الاغريق فحسب بل وسوف توقعون بهم العقاب على الظلم والبهلجة التى يعاملوننا بها رغم عدم استفزازنا لهم ، جزا واذ نتباهى بتفوقنا عليهم فى البسالة والعدد وغيرها من المجالات فان البسالة التى يشعرون بها عند الاشتباك انما ترجع فقط الى ابتهاجهم لمتاعبنا وكل ما لديهم من مزايا هى عدم المبالاة التى أظهرناها ولأن حظهم السعيد هو الذى ساعدهم على الثقة فى انفسهم .

وبعد القاء هذه الكلمات التشجيعية مضى فيتيجيس Vittigis فى تسليح جيشه انتظارا للمعركة مركزا على سلاح المشاة يحوطه سلاح الفرسان على الجناحين . هذا ولم يسحب فيلقه بعيدا عن المعسكرات واحتفظ به بجوارها حتى اذا نشب القتال فسوف يسهل عليه اللحاق بالعدو وقتله نظرا لوفرة امكانيات المطاردة . واخذ فى الاعتبار انه اذا تفاقمت أمور المعركة على السهل سوف لا يتحملون ضغطه ولو لمدة قصيرة اذ يتضح تماما أنه يستحيل الصمود امام الأعداد الغفيرة لجيش العدو .

وبذلك قامت المعركة فى الصباح الباكر بين جنود الجانبين ووقف كل من بليزاريوس وفيتيجيس الى الخلف يشجعان الجيشين على القتال والجلد . وعند بداية المعركة سيطر الجيش الرومانى عليها وسقط عدد كبير من البرابرة اثر ضربات رماة السهام ولم يقم بمطاردتهم ، وحيث ان جحافل الفرسان وقفت على أهبة الاستعداد لتزويد المعركة بالرجال ليحلوا محل القتلى وبهذه الوسيلة لم تظهر الخسائر جلية ، وقد ابتهج الرومان للوصول لمثل هذا النجاح بالرغم من قلة عددهم وبعد أن تقدموا بالمعركة فى منتصف النهار حتى معسكرات العدو وقتلوا عددا كبيرا منهم حرصوا على العودة الى المدينة عند أول فرصة سانحة وفى هذه المرحلة من القتال أظهر ثلاثة من رجال الرومان بطولات تفوق نشاط الآخرين وهم « أثينودوروس » Athenodorus وهو من «ايزوريا» رجل ذو شهرة واسعة بين حرس بليزاريوس و« ثيودوريسكوس » Thodoriscus وجورج George من حاملى الرماح تحت قيادة

مارتينوس Martinus ومن مواليد كبادوقيا ذلك لخروجهم المستمر أمام جبهة الفيلق وقتل العديد من البرابرة بالرماح وكان هذا هو وصف الأحداث .

وقف الجيشان في المواجهة على سهل نيرون لفتــرة طويلة دون حراك وقام المغاربة بحملات استنزافية مستمرة بالمزاريق على العدو ولم يرعب القوط في الاشتباك معهم خوفا من جبروت قوات شعب روما العسكرية الرابضة على مسافة قليلة منهم ظنا أنهم من الجنود وهم ساكنون تنفيذا لخطة توقعهم في كمين تمهيــدا لمطاردتهم من الخلــف والهجوم عليهم من الجانبين ولفنائهم جميعا وعند منتصف النهار هجم الجيش الروماني فجأة على العدو واضطر القوط الى الفرار بعــد أن أصيبوا بالذعر من الهجوم المفاجيء ولم ينجحوا حتى في الفرار الى معسكرانهم بل تسلقوا التلال المجاورة ولزموا السكون هناك . لم يكن الرومان المتفوقون جميعهم من الجنود بل كان أغلبهم من رجال بلا دروع دفاعية . هذا وبعد انشغال القائد في مكان آخر تملكت الرغبه العديد من الخــدم والبحارة بالمعسكر الروماني في الحصول على نصيب من الغنائم الحربية وبالتالي انضموا الى هذا الجزء من الجيش وبالرغم من انهم أنزلوا الرعب في نفوس البرابرة وأجبروهم على الفرار لأعدادهم الكبيرة فقد تسببوا في هزيمة الرومان في هذا اليوم لافتقــارهم الى النظام وذلك عند حركة الانضمام المذكورة فقد أوقعوا الجنود في الارتباك وبالرغم من اصدار فالنتينوس Valentinus أوامره اليهم بصوت مرتفع الا أنهم لم يسمعوها . لهذا السبب لم يقوموا بمطاردة أو قتل جندي واحد بل تركوهم يستريحون على التلال في أمان انتظارا لما يستجد . ولم يفكروا حتى في هدم الجسر المقام عند هذا الموقع منعا من حصار المدينة فيما بعد على الجانبين ، واذا فعلــوا ذلك فكان أن شعروا انه من المستحيل على البرابرة امداد لمعسكرت على الجانب البعيد لنهر التيبر . وبالاضافة الى أنهم لم يجتازوا حتى الجسر للهجوم خلف

العدو الذى كان يقاتل جيوش بليزاريوس فى هذا الموقع وان لعلوا ذلك فربما ان القوط كانوا قد توقفوا عن المقاومة ولاذوا بالفرار كل رجل قدر استطاعته ولكن استولوا على معسكر العدو وشرعوا فى نهب البضائع الموجودة به وحملوا أوانى مضية عديدة وغيرها من الأشياء الثمينة ومكث البرابرة لفترة وجيزة فى أماكنهم ساكتين ، ولكن الاتفاق المشترك بينهم أن يتقدموا ضد أعدائهم يصرخون غاضبين • وحينما وجدوا رجالا منهمكين فى سلب ممتلكاتهم أخذوا يقتلوا العديد منهم ثم انسحبوا بكل هدوء للراحة أما الذين أمسك بهم داخل المعسكر والفارون من المجزرة فقد ألقوا بالغنائم من فوق أكتافهم وفروا هاربين •

عند وقوع هذه الأحداث على سهل نيرون Nero وقف باقى جيش البرابرة بجوار معسكراتهم وصدوا هجوم الأعداء تحت حماية الدروع حتى أجبروهم على التقهقر بعد أن قتلوا العديد من الجنود وعدد أكبر من الخيول • وعلى الجانب الرومانى ترك كل الجرحى والجنود الذين قتلت خيولهم الصفوف وبعد أن كان الجيش قليل العدد أصبحت قلة العدد أكثر ظهورا والفرق بينه وبين الجيش القوطى أكثر ظهورا أيضا • وأخيرا شاهد أحد جنود سلاح الفرسان البرابرة الواقفين على الجناح الأيمن هذا الموقف وهرع مسرعا تجاه العدو أمامه عجز الرومان عن صد الرماح ولاذوا بالفرار حتى وصلوا الى فيلق المشاة • ولكن عجز سلاح المشاة كذلك عن الصمود أما مموجة الفرسان المندفعة لذلك انضم معظمهم الى الفرسان فى الهرب • اضطر بعد ذلك جيش الرومان الى الانسحاب والأعداء خلفهم حتى أصبح الفرار كاملا • قام برينسيبيوس وتارموتوس وبعض رجال المشاة بأعمال بطولية ضد القوط برينسيبيوس وتارموتوس وبعض رجال المشاة بأعمال بطولية ضد القوط لدرجة أنهم توقفوا تماما وبالتالى تمكن باقى سلاح المشاة وأغلبية الفرسان من الفرار بالمزيد من الامان •

وقع برينشيبوس Principus فى مكانه بعد أن تمزق جسده اربا اربا ، كما وقع من حوله اثنان وأربعون جنديا من جنود المشاة ، لكن « تارموتونس » أمسك برمحين كل منهما فى يد وأخذ يطاعنهما فى أجساد مهاجميه وهو يدور يمينا ويسارا حتى توقف أخيرا مثخنا بالجراح . ولكن عند حضور أخيه « اينيس » Ennes لمساعدته على رأس فصيلة من الفرسان عادت اليه الروح وجرى نحو الاستحكامات وهو جريح وملىء بالدم والتراب دون أن يرمى الرمحين من يديه . ولما كان من طبيعته سرعة الحركة عند القدمين فقد نجح فى الهروب بالرغم من محنته ولم يسقط الا عند وصوله الى بوابة « بينسيان » Pincian وأعتقد أن بعض رفاقه رفعوه على درع وحملوه داخل المدينة ، فعاش يومين قبل وفاته وترك وراءه شهرة عالية بين قوم الايسوريين وباقى الجيش .

وأثناء ذلك نزل الرعب فى قلوب الرومان وقاموا بالحراسة على السور واقفلوا البوابات ونظرا لحالة الهياج الواسعة التى انتابتهم رفضوا السماح للهاربين بدخول المدينة خشية دخول العدو خلفهم ومن تبقى من الهاربين خارج السور اجتاز الخندق ووقف يدير ظهره للسور وهم يرتعدون خوفا ناسين الشجاعة وغير قادرين على صد البرابرة الذين وصلوا اليهم وشرعوا فى اجتياز الخندق تمهيدا للهجوم . والسبب فى ذلك ان معظم رماحهم قد فقدت بعد كسرها أثناء الاشتباك وأثناء الهروب وعجزوا عن استعمال الرماح كما عجزوا عن استعمال الأقواس بسبب التزاحم بينهم . هذا وكلما شاهد القوط عددا قليلا من المدافعين على الشرفات ازدادوا فى الهجوم على أمل قتل كل من بقى خارج السور والسطو على المدافعين عن السور الدائرى ولكن عندما شاهدوا عددا كبيرا من الجنود والشعب الرومانى يتجمع عند الشرفات للدفاع عن السور تنازلوا عن غرضهم وتقهقروا ى الخلف يمطرون أعداءهم بالسباب .. هذا وابتدات المعركة فى معسكرات البرابرة وانتهت عند الخندق وسور المدينة .

الكتاب السادس

الحروب القوطية

(١)

ولم يعد الرومان بعد هذا يجرؤون على المجـازفة بالدخول فى معركة بكل جيشهم ولكنهم كانوا يشتبكون فى معارك يقوم فيها الفرسان فجأة بشتى الهجمات بنفس الطريقة التى كانوا يتبعونها من قبل وكانوا يخرجون منها بصفة عامة وقد حققوا الانتصار على البرابرة — وكان جنود المشاة أيضا يخرجون من كلا الجانبين ولم يكن ذلك على أية حال على هيئة كتائب منظمة ولكن على شكل مرافقين للفرسان • وقد حـدث فى احدى المرات وكان ذلك فى أول هجوم أن انقض بيزاس Bessas وسط العدو حاملا رمحه وقتل ثلاثة من أفضل فرسانهم وأرغم الباقين على الفرار • وفى مرة أخرى عندما كان قنسطنطيوس Constantius يقود الهون خارجا الى سهل نيرون قرب الغروب ورأى أنهم كانـوا مغلوبين على أمـرهم بسبب الأعـداد الهائلة لأعدائهم قام باتخـاذ الاجـراءات التالية • يوجد منذ القـدم فى ذلك المكان سـاحة هائلة (ستاد)[١] اعتاد المصارعون بالمدينة على الاقتتال فيه فى الأزمنـة الغابرة وكان القدماء قد شيدوا العديد من المبانى الأخرى حـول هذه الساحة وعلى ذلك فانه توجد — حسب ما يمكن أن يتوقعه المرء — ممرات ضيقة فى هذا المكان • ولذلك فانه فى المناسبة التى نحن بصددها حيث أن قنسطنطيوس لم يكن بمقدوره أن يتغلب على حشود القوط أو أن

---

(١) ربما يكون ذلك هو ستاد كاليجولا •

يعمد الى الفرار دون أن يتعرض لمخاطر كبيرة فقد عمل على أن يجبر الهون على أن ينزلوا من على ظهور خيولهم وفى نفس اللحظات اتخــذ موقفه سيرا على الأقدام — فى أحد الممرات الضيقة هناك ومن ثم فقد استطاع باطلاق القذائف من هذا الموقع الآمن أن يقتل أعدادا هائلة من العدو • وقد استطاع القوط لفترة من الوقت الصمود أمــام قذائفهم فقد كانوا يأملون أنه بمجرد أن تفرغ جعب الهون من ذخــيرتها ومن القذائف فانهم سوف يكونون فى موقف يسمح لهم بالالتفاف حولهم دون مضايقة وأن يوقعوا بهم فى الأسر ومن ثم يعودون بهم الى معسكرهم • ولكن الآن الماساجتاى Massagetae (٢) لم يكونوا رماة ذوى براعة فحسب ولكنهم أيضا كانوا فى موقف من يملك أمامه حشودا كثيفة يصوب نحوها مما جعلهم يصيبون واحدا من الأعداء مقابل كل قذيفة وأدرك القوط أن أكثر من نصف أعدادهم قد هلك ولأن الشمس كانت على وشك المغيب فلم يعرفوا كيف يكون التصرف ومن ثم لم يكن أمامهم غير الفرار • ثم وقع الكثيرون منهم فعلا لأن الماساجتاى انطلقوا فى أثرهم ولأنهم كانوا يتقنون اطلاق السهام بمنتهى الدقة حتى وهم يجرون بسرعة كبيرة فقد استمروا فى اطلاق سهامهم بدرجة لا تقل عن ذى قبل وهم يصوبون نحو ظهور أعدائهم استمرارا للمذبحة وهكذا رجع قنسطنطيوس مع جنوده من الهون الى روما ليلا •

وعندما قاد بيرانيوس Peranius — بعد أيام ثلاثة — بعض الرومان عبر بوابة سالاريان Salarian ضد العدو فان القوط أسرعوا الى الفرار بأقصى ما فيهم من قوة ولكن قبيل الغروب كان هناك اقتفاء مضاد للاثر ووقع أحد جنود المشاة من الرومان بسبب الاضطراب

(٢) الماساجتاى هم قبيلة قديمة من أواسط آسيا كانت ضمن سلسلة القبائل الاسيوية التى بدات مهاجمة الامبراطورية الرومانية . احتلت الاراضى الرعوية شمال نهر الأموداريا .

Encyclopedia Britanica. vol. VI.

الشديد فى حفرة عميقة وكان الكثير من هذه الحفر من صنع النـاس فى الأزمنة القديمة ربما من أجل اختزان الحبوب • ولم يجـرؤ على الصراع لاعتقاده أن الأعداء كانوا يعسكرون على مقربة منه ولم يستطع بأى شكل من الأشكال الخروج من الحفرة لأنه لم يكن بها أية وسيلة تعين على التسـلق الى أعلى ولذلك فقد كان مرغما عى أن يقضى الليلة هنـاك •

وفى اليوم التالى عندما وجد البرابرة أنفسهم مرغمين على الفرار وقع أحد القوط فى نفس الحفرة • وهناك تصالح الرجلان على أساس الصداقة المتبادلة والنوايا الطيبة التى تم التوصل اليها من واقع الضرورة لكليهما ومن ثم فقد تبادلا التعهدات التى تتسم بالوفاء — تعهدات بأن يعمل كل منهما باخلاص من أجل تخليص الآخر • ثم بدءا معا فى اطلاق الصراخ العالى فى عصبية شديدة • وجاء القوط على أصوات الصرخات وأخذوا يحملقون من حافة الحفرة ويسألون عمن يطلق تلك الصرخات • وعند ذلك فان الرومانى — طبقا للخطة التى اتفق عليها الرجلان — التزم الصمت أما القوطى فقد قال مستخدما لغة قومه انه وقع منذ قليـل فى تلك الحفرة اثناء الاضطراب الشديد الذى حدث وطلب منهم أن يدلوا حبلا من أجل أن يصعد عليه • وباقصى سرعة ممكنة القوا باطراف عدد من الحبال وحسب ما كانوا يعتقدون أنهم كانوا يرفعون القوطى ولكن الرومانى كان قد أمسك بالحبال وكان وهو يسحب الى أعلى يقول لنفسه أنه اذا وصل الى فوق أولا فان القوط لن يتخلوا أبدا عن زميلهم ولكن اذا علموا أن أحد أفراد العدو فقط هو الذى هناك فلن يكون له شأن فى حسبانهم • وهكذا صعد وهو يقول ذلك الكلام وعندما رآه القوط تعجبوا ووقعوا فى حيرة كبرى ولكن عند سماعهم للقصة كلها منه قاموا مرة أخرى برفع زميله الذى كلمهم عن الاتفاق الذى توصلا اليه وعن التعهدات التى التزما بها • وهكذا انطلق مع رفاقه أما الرومانى فقد أخلى سبيله دون أن يصيبه اى أذى وسمح له بان يعود الى المدينة •

بعد هذا كان الفرسان يتسلقون انفسهم باعداد غير كبيرة لمرات عديدة استعدادا للمعركة ولكن الصراعات كانت تنتهى دائما بمبارزات فردية وكان الرومان يكوزون بالنصر فيها جميعا ، هكذا كان سير تلك الأحداث فى ذلك الوقت .

بعد فترة وجيزة من هذه الأحداث وقع اشتباك فى سهل نيرون حيث كانت جماعات صغيرة مقدمة من الفرسان مشغولة باقتفاء أثر أعدائها فى عدة اتجاهات . وفى واحدة من تلك الجماعات كان كورسمانتيس Chorsamantis وهو رجل له مكانته بين حرس بليزاريوس Belisarius وكان واحدا من الـ « مساجيتى » Massagetae من حيث المولد وكان ضمن بضعه رجال آخرين يطارد سبعين من رجال العدو . وعندما وصل فعلا الى السهل أمتطى الرجال الرومان الآخرون خيولهم ليعودوا ادراجهم ولكن كورسمانتيس استمر فى المطاردة بمفرده . وبمجرد أن أدرك القوط ذلك أداروا خيولهم ووقفوا له بالمرصاد . فتقدم وسطهم وقتل برمحه واحدا من أفضل رجالهم ومضى فى طريقه وراء الآخرين ولكنهم مرة أخرى كانوا قد استداروا واندفعوا للفرار . ولكنهم كانوا يشعرون بالخجل أمام زملائهم فى المعسكر الذين يشكون فى أنه يمكنهم أن يروهم ومرة أخرى تمنوا لو كان بمقدورهم أن يهاجموه . وعلى أية حال فقد تعرضوا لنفس التجربة التى تعرضوا لها من قبل بالضبط وفقدوا واحدا من افضل رجالهم وهكذا ولوا الأدبار برغم خجلهم وبعد أن ظل كورسمانتيس يطاردهم حتى وصلوا الى خطوط دفاعهم رجع بمفرده . وبعد فترة قصيرة وفى معركة أخرى جرح هذا الرجل فى مقدمة ساقه اليسرى وكان فى رأيه أن السلاح قد كسر العظم . ومهما يكن من أمر فقد اعتبر غير لائق للقتال طوال عدد معين من الأيام ، بسبب هذا الجرح ولأنه كان بربريا فلم يكن فى مقدوره أن يتحمل ذلك صابرا ولكنه هدد بأنه سوف يثأر على وجه السرعة من القوط الذين سببوا تلك الاصابة لساقه . ولذلك فانه عندما شفى بعد

فترة قصيرة وشرب حتى ثمل وقت تلون وجبة الغذاء كما كانت عادته صمم على أن يخرج بمفرده لملاقاة العدو وأن يثار لسلفه التى أصيبت وعندما وصل الى بوابة بنشيان الصغرى Pancian • قال أن بليزاريوس هو الذى أوفده الى معسكر العدو • أما حراس البوابة الذين لم يكن فى مقدورهم الشك فى كلمة رجل يعرفون أنه أفضل حراس بليزاريوس — فقد سمحوا له بالذهاب أينما أراد • وعندما لمحه رجال العدو اعتقدوا فى بادىء الأمر أن أحد الجنود الفارين يتجه نحوهم ولكن عندما اقترب ووضع يده على قوسه تحرك نحوه عشرون رجلا وهم لا يعرفون من يكون هو وتحرك بسهولة ثم بدأ يتجه ممتطيا جواده عائدا الا أنه لم يتمكن من الهرب عندما هاجمه عدد كبير من القوط •

عندما أحاط به حشد كبير وهو لا يزال يصر على قتالهم فان الرومان الذين كانوا يراقبون المشهد من الأبراج اعتقدوا أن الرجل لابد وأن يكون معتوها وحتى تلك اللحظة لم يكونوا يعرفون أنه كورسمانتيس • وأخيرا بعد أن قدم عرضا من الأعمال العظيمة الجديرة بالذكر وجد نفسه محاطا بجيش العدو ودفع ثمن جسارته التى لا يصدقها عقل وعندما علم بليزاريوس والجيش الرومانى بهذا حزنوا كثيرا وظلوا يندبون الأمل الذى كانوا يضعونه فى الرجل والذى انتهى للاشىء •

(٢)

ها قد وصل شخص يدعى يوثاليوس Euthalius فى الربيع تقريبا الى تاراسينا Taracina قادما من بيزنطة يحمل معه الأموال التى كان الامبراطور مدينا بها للجنود ولخشيته من أن يقابل الأعداء فى الطريق فيسلبون الأموال التى يحملها ويقتلونه ، كتب الى بليزاريوس يطلب منه أن يجعل الرحلة الى روما آمنة بالنسبة له • وبناء

---

(٢) تاراسينا منطقة فى جنوب ايطاليا •

على ذلك فقد قام بليزاريوس ، بانتقاء مائة رجل لهم مكانتهم وذلك من بين حرسه الخاص وأرسلهم مع رجلين من حاملى الرماح الى تراسينا لمساعدته فى احضار الأموال وفى نفس الوقت استعد فى محاولاته فى ابقاء البرابرة على اعتقادهم أنه على وشك الدخول فى قتال بكل جيشه اذ كان هدفه أن يمنع أى فرد من أفراد العدو من مغادرة المكان سواء أكان ذلك لجلب المؤن ام لأى غرض آخر . ولكنه عندما اكتشف أن ايوثاليوس Euthalius ورجاله سوف يصلون فى الغد نظم صفوف جيشه وجعله على أهبة الاستعداد للمعركة فكان البرابرة على أتم استعداد . وطوال فترة ما قبل الظهيرة لم يفعل اكثر من أن يحتفظ بجنوده قرب البوابات لأنه كان يعلم أن ايوثاليوس وكذلك هؤلاء الذين كانوا يصحبونه سوف يصلون ليلا . وعند منتصف النهار أمر رجاله بتناول غذائهم وفعل القوط نفس الشئ، معتقدين أنه كان يؤجل الاشتباك لليوم التالى وعلى أية حال فانه بعد فترة وجيزة أرسل بليزاريوس كلا من مارتينوس Martinus وفاليريان Valerian الى سهل نيرون مع القوات التى تقع تحت قيادته وقد أصدر لهم توجيهات بان يوقعوا أقصى قدر ممكن من الاضطراب فى معسكر العدو . وعبر بوابة بنشيان الصغيرة أرسل ستمائة من الفرسان لمهاجمة معسكرات البرابرة بقيادة ثلاثة من خاصة رجاله من رماة الرماح وهم أرتاسايرس Artasires وهو فارسى وبوكاس Bochas وهو من عنصر الماساجتياى وكتيلاس Cutilas وهو من تراقيا وخرج الكثيرون من رجال العدو لملاقاتهم. وعلى أية حال فان المعركة ظلت لوقت طويل بغير حسم فقد كان كلا الجانبين يتقهقر عندما يتقدم الآخر ويبدأن فى الانشغال بالمطاردات التى سرعان ما يعودان منها حتى بدا الأمر وكأنهما يعمدان الى قضاء بقية اليوم فى الانشغال فى هذا النوع من الحركة . ولكن مع استمرارهم بدأوا أخيرا يفيضون بالسخط الشديد نحو بعضهم البعض . ثم اندلعت المعركة فى شكل صراع وحشى سقط فيه العديد من أشجع الرجال على كلا الجانبين ووصلت النجدات لكل من الجيشين من المدينــــة ومن

المعسكرات . وعندما اندمجت هذه القوات الجديدة مع المقاتلين ازداد حجم الصراع فكان الصياح الذى ملأ جنبات المدينة والمعسكرات يدخل الرعب فى قلوب المتحاربين . ولكن فى النهاية استطاع الرومان ببسالتهم أن يرغموا العدو على التقهقر وأن يوقعوا بهم هزيمة نكراء .

وفى هذه العمليات تلقى كابتلاس ضربة على منتصف رأسه برمح واستمر فى مطاردته والرمح لا يزال مغروسا فى رأسه وبعد أن وقعت الهزيمة انطلق بجواره الى المدينة قرب الغروب ومعه الناجون الآخرون والرمح فى رأسه يتأرجح فى كل اتجاه وكان مشهدا لا مثيل له . أثناء المعركة نفسها تلقى أرزيس Arzes وهو أحد حراس بليزاريوس ضربة من أحد الرماة القوط وكانت بين الأنف والعين اليمنى غاص طرف السهم المدبب حتى منطقة خلف الرقبة ولكنه لم يخترقها وكان الجزء الباقى من الرمح يبرز من وجهه ويهتز كلما اهتز الرجل فوق جواده .

وعندما رآه الرومان وكابتلاس كانوا يتعجبون كثيرا لأن الرجلين استطاعا الاستمرار فى ركوب الجواد وهما لا يبديان أى اهتمام بالاصابات التى لحقت بهما . هكذا كان سير الأحداث فى ذلك المكان آنذاك .

فى سهل نيرون كانت للبرابرة اليد العليا لأن رجال فاليريان Valerian ومارتينوس Martinus الذين كانوا يقاتلون حشودا هائلة من رجال العدو صمدوا فعلا بقوة هائلة ولكنهم لاقوا معاناة رهيبة وتعرضوا لأخطار هائلة وعند ذاك أصدر بليزاريوس أمره الى بوخلس أن يأخذ قواته التى كانت قد عادت من الاشتباك دون ارهاق — الرجال والخيول على السواء — وأن يتوجه الى سهل نيرون وكان الوقت حينئذ أظهر النهار وعندما وصل الرجال الذين يقودهم بوخلس لنجدة الرومان استدار البرابرة فجأة طلبا للفرار ووجد بوخلس الذى كان يواصل المطاردة باصرار حتى قطع مسافة هائلة — وجد نفسه

معاطا باثنى عشر من رجال العدو يحملون رماحهم • ووجهوا اليه جميعهم ضرباتهم بالرماح دفعة واحدة ولكن درعه صمد للضربات الأخرى التى لم تصبه بأذى كبير ولكن واحدا من القوط نجح فى ضربه من الخلف فى مكان كان جسمه فيه مكشوفا فوق مكان الابط الأيمن بالقرب من الكتف وأصاب الشاب اصابة بالغة الا أنها لم تكن ضربة مميتة ولا حتى ضربة تجعله يعانى خطر الموت • ولكن قوطيا آخر وجه له ضربة من الامام اخترقت فخذه الأيسر ومزقت العضلات فى هذا المكان — لم تكن ضربة مباشرة على أية حال ولكنها أحدثت جرحا مائلا • ورأى فاليريان ومارتينوس ما كان يحدث فى تلك اللحظات وعندما وصلوا لانقاذه بأقصى سرعة ممكنة أنزلوا بالعدو هزيمة قاسية وأمسك كل منهما بمقود حصان بوخاس ودخلوا المدينة — ثم جاء الليل ودخل أيوثاليوس المدينة ومعه النقود •

وعندما رجع الجميع الى المدينة وجهوا اهتمامهم الى الجرحى من الرجال •

وبالنسبة لحالة أرزيس — فعلى الرغم من أن الأطباء كانوا يرغبون فى اخراج السلاح المغروس فى وجهه الا أنهم تباطأوا فى ذلك فترة من الوقت ليس بسبب العين التى كانوا يعتقدون أنه من غير الممكن انقاذها ولكن بسبب خشيتهم من أن قطع الأغشية والأنسجة التى توجد بكثرة فى هذه المنطقة قد يؤدى الى موت الرجل الذى كان يعد واحدا من أفضل من يصممهم بيت بليزاريوس • ولكن فيما بعد قام أحد الأطباء وهو ثيوتيستوس Theoctistus بالضغط على ظهر رقبته وسأله عما اذا كان يشعر بألم شديد • وعندما رد الرجل بانه لا يشعر بالألم قال « سوف يتم انقاذ كلا الاصابتين — سوف يجرى انقاذك أنت شخصيا ولن يصاب بصرك بأى ضرر » لقد جهز بهذا التصريح لأنه كان قد كشف عن أن شوكة السلاح كانت قد اخترقته حتى وصلت الى نقطة لا تبعد كثيرا عن الجلد • وبناء على ذلك قطع ذلك الجزء من النصل

الظاهر من الخارج والقاه بعيدا وبقطع الجلد فى الجزء الخلفى من الرأس حيث كان الرجل يشعر باكثر قدر من الألم استطاع بسهولة سحب الشوكة . التى كانت مغروسة باطرافها الحادة الثلاث من الخلف واخرج معها الجزء المتبقى من السلاح وهكذا ظل ارزيس بعيدا تماما عن أى أذى خطير ولم يتبق ولو اثر بسيط للجرح فوق وجهه . وبالنسبة لكاليلاس فعندما تم اخراج الرمح بشيء من العنف من رأسه (لأنه كان مغروسا الى عمق كبير) راح فى غيبوبة كبيرة . ولأن الأغشية المحيطة بالجرح كانت قد التهبت فقد راح فريسة للاضطراب العقلى(١) ومات بعد وقت قصير . وعلى اية حال فان بوخاس اصيب فورا بنزيف حاد فى الفخذ واصبح يبدو كمن اصبح على شفا الموت . وكان سبب النزيف حسب تشخيص الطبيب هو أن الضربة كانت قد قطعت العضلة ليس بشكل مباشر من الامام ولكن على شكل جرح مائل . وعلى اية حال فقد مات بعد ثلاثة أيام . لقد قضى الرومان الليلة باكملها بسبب تلك الأحداث فى حزن عميق بينما كانت تسمع من المعسكرات القسوطية اليوم السابق فيما عدا عدد غير قليل منهم قد هلك خلال القتال . ان ذلك كان قد وقع لهم من قبل بدرجة لا تقل خطورة وربما بدرجة اكبر ولكن لم يحدث بينهم ذلك القدر من الحزن مهما كان حجم أعدادهم . ومهما يكن من أمر فقد عرف فى اليوم التالى أن القوط ذئن يسكون رجالا من ذوى المكانة المرموقة من المعسكر القائم فى سهل نيرون — رجالا كان بوخاس قد قتلهم فى أول اشتباك قام به .

وقد وقعت مصادمات أخرى أيضا ولكنها ليست على القدر من الأهمية الذى يجعلنى أسجلها فى يومياتى . وعلى أية حال فاننى سوف أقرر أن جملة المصادمات التى وقعت خلال مدة الحصار كانت سبعة وستين بالاضافة الى اشتباكين نهائيين سوف يجىء وصفهما فى السرد

---

(١) التهاب المخ .

التالى • وكان الشتاء فى ذلك الوقت قد اقترب من نهايته وهكذا انتهت السنة الثانية من هذه الحرب الى أرخ لها بروكوبيوس

(٣)

ولكن مع بداية الربيع حلت المجاعة والأوبئة بمكان المدينة • حقيقة كان لا يزال هناك قدر من الحبوب للجنود وعلى الرغم من عدم وجود أى نوع آخر من المؤن غير مقدار مؤن الحبوب لبقية الرومان كان قـد استهلك فكانت المجاعة الحقيقية وكذلك الأوبئة تضغط بشدة عليهم ولما ادرك القوط ذلك لم يعودوا يهتمون بالمجازفة بمعركة حاسمة مع عدوهم ولكن حرصوا على الاحتراس من أن يحل بهم أى شيء فى المستقبل • فى هذا الوقت كانت توجد قناتان بين الطرق اللاتينية وطريق ابيان تتميزان بالارتفاع الزائد عن المعقول وبالأقواس الممتدة لمسافة طويلة • هاتان القناتان تلتقيان عند مكان يبعد عن روما[٥] ويتقاطعان مع بعضهما البعض • بحيث يمكـان موقعهما لمسافة قصيرة حيث تواصل تلك التى كانت تقع فيما سبق الى اليمين الجريان على الناحية اليسرى • ومرة أخرى تلتقيان فتواصلان اتجـاهاتهما السابقة ومن ثم تظـلان على انفصالهما • ونتيجة لذلك فان الفراغ المحصـور بينهما والذى تكتنفه القناتان يصبح بمثابة قلعة منيعة وقد قام البرابرة ببناء حوائط تسد الأجزاء السفلى والأقواس المقامة على القناتين من الحجـارة والطين وبهذا الشكل أعطوها شكل القلاع وأقاموا معسكرهم هناك لعدد من الرجال لا يقل عن سبعة آلاف وقاموا بالحراسة لكى لا تصل الى المدينة أية مؤن يجلبها الأعداء •

وانقطع فعلا كل أمل فى تحسين الأوضاع بالنسبة للرومان وأحاطت بهم واحتوتهم كافة أنواع الشرور • ومهما يكن من أمر فطالما كانت هناك

---

(٥) تقدر المسافة بحوالى ثلاثين ستاد من روما •

الحبوب ناضجة فان الجنود الذين كانوا يتميزون بالجرأة النادرة كانوا يذهبون ليلا بدافع الشراهة وشهوة الحصول على المال — الى حقول الحبوب غير البعيدة عن المدينة ممتطين خيولهم وهم يسحبون خيولا أخرى وراءهم • ثم يقومون بقطع سنابل الحبوب ويضعونها فوق ظهور الخيل التى يقودونها ويحملونها الى قلب المدينة دون أن يراهم العدو ثم يبيعونها بأثمان باهظة لمن يقدرون على دفع مثل هذه الأثمان من أثرياء الرومان •

ولكن أهل المدينة الآخرين كانوا يعيشون على مختلف انواع الأعشاب التى كانت تنمو بوفرة ليس فقط فى المناطق المحيطة بها ولكن أيضا فى الحصون (القلاع) لأن اراضى الرومان لم تفتقر ابدا الى الأعشاب سواء فى الشتاء أو فى اى موسم آخر ولكنها دائما مزدهرة وتنمو بكميات تفيض عن الحاجة فى كل الأوقات • وفى هذه الأماكن أيضا كان الواقعون تحت الحصار يجدون المرعى لخيولهم • وكان البعض أيضا يصنع السجق من لحم البغال التى تموت فى روما ثم يبيعونها سرا • ولكن عندما خلت حقول الغلال من الحبوب ووصل الرومان جميعا الى مأزق تتزايد شروره دون توقف تجمعوا حول بليزاريوس وحاولوا ارغامه على المجازفة بكل شىء فى معركة واحدة مع العدو على وعد منهم بالا يتخلف رومانى واحد عن المعركة • وعندما وقع فى حيرة من أمره وهو لا يدرى ماذا يفعل فى هذا الموقف وأصابه حزن شديد تحدث اليه بعض الموجودين قائلين : « أيها القائد اننا لم نكن على استعداد لتحمل ما وقع لنا من عنت فى الوقت الحاضر بل على العكس ان ما وقع هو النقيض تماما لما كانت تطمح اليه آمالنا » •

لأنه بعد أن أحرزنا ما كنا قد وطدنا عليه العزم وصلنا الى ما نحن فيه حاليا من مأساة وقد أدركنا أخيرا أن ما كنا نراه من قبل من اننا سلكنا السبيل القويم الى نيل رعاية واهتمام الامبراطور لم يكن الا غفلة منا كما لم يكن الا بداية لشرور أكبر • فى الواقع لقد أوصلنا • سلوك هذا

السبيل الى ضيق شديد جدا لدرجة أننا فى الوقت الحاضر مرغمون على الأخذ بأسباب الشجاعة من أجل استخدام العنف مرة أخرى ومن أجل التسلح ضد البرابرة • وفى الوقت الذى نطلب فيه العفو عن جرأتنا فى الوقوف فى حضرة بليزاريوس — لأن البطن الخاوى لا يعرف الخجل عندما تنقصه ضرورياته — فان الضيق الشديد الذى نجد أنفسنا فيه هو اعتذارنا عن تهورنا لأن الاتفاق سيأتى سريعا على أنه ليس هناك أى نوع من الضيق لا يمكن للرجال احتماله من حياة تطول وسط كل ما يعتبر مناقضا لنصيب طيب فى الحياة • وبالنسبة لما أصابنا من سوء فانك لا يمكن ان تغفل عن ادراك ما يحتوينا من حزن فهذه الحقول والبلد بأكمله وقع فى أيدى العدو وهذه المدينة قد حرمت من كل ما هو طيب فى الحياة مدة لا نعرف كم تطول • أما بالنسبة للرومان فالبعض قد طواه الموت ولم يكونوا ممن يستحقون أن يختفوا فى باطن الأرض أما الذين لا يزالون على قيد الحياة علينا أن نضع كل مآسينا الرهيبة فى كلمة واحدة — فقط أن نصلى من أجل أن نرقد الى جانب الراقدين — ان خطر الموت جوعا يبين لمن يلوح لهم أن كافة أشكال الشرور الأخرى يمكن أن يتحملها المرء وحينما نظهر هذا الخطر فانه يكون متبوعا بنسيان كل أنواع المعاناة الأخرى ويجعل كل أشكال الموت فيما عدا ذلك الذى يخرج منه هو نفسه تبدو بهجة فى نظر الرجال •

وعلى ذلك فانه الآن وقبل أن يسيطر علينا تماما هذا الشر المستطير نرجو أن تمنحنا الأذن بالخروج متحملين مسئوليتنا على عاتقنا وحدنا لكى تبدأ الصراع الذى سوف تكون نهايته اما قهر العدو أو التخلص من متاعبنا • اذ انه عندما يجلب التأخير أمل النجاة للرجال فانه يكون من الحماقة التى لا تغتفر بالنسبة لهم المواجهة قبل الأوان لخطر يشملهم جميعا ولكن عندما يجعل التلكؤ الصراع أكثر صعوبة فان تأجيل التحرك حتى ولو كان ذلك لفترة قصيرة يكون أمرا يستحق الاستهجان بدرجة أكبر مما يمكن أن يستحقه التحرك العاجل الذى يتسم بالتسرع » •

هكذا تكلم الرومان وكان رد بليزاريوس كالآتى :

« حسنا عن نفسى أنا فقد كنت متاهبا تماما لمواجهة ما بدر منكم من سلوك فى كل أشكاله ولم يكن هناك شىء واحد مما حدث مخالفا لما كنت أتوقعه • لزمن طويل كنت أعلم ان جمعا أو (جمهرة) من الناس نغلب عليهم العاطفة لا يستطيعون أن يزنوا الأمور بأقصى قدر من التعقل وأن مثل هذا الجمع من الناس بطبيعته لا يستطيع أن يتحمل الحاضر ولا أن يستعد للمستقبل ولكنه فقط يعرف كيف يحاول فى كل حالة على حدة الوصول الى المستحيل وتدمير نفسه دون تعقل •

ومن ناحيتى أنا شخصيا فاننى لن أسمح أبدا — بارادتى على الأقل — أن أسلم قيادتى لتهوركم الذى يؤدى اما الى تدميركم أو نتعريض قضية الامبراطور للدمار معكم • لأن الحرب لا يمكن ان يكتب لها النجاح بالتسرع الذى يفتقر الى تعقل الأمور ولكن باللجوء الى المشورة الطيبة وحسن التدبير فى تقدير تحول الميزان عند اللحظات الحاسمة • انكم على أية حال تتصرفون وكأنكم تلعبون بالنرد وتريدون أن تجازفوا بكل شىء بضربة واحدة ولكن ليس من عادتى أن أختار الطريق القصير عند التفضيل مقابل الطريق الذى تنطوى على مزايا متعددة •

وفى المقام الثانى تقدمون وعدا انكم سوف تقدمون المساعدة لنا فى شن المعارك ضد العدو ولكن متى كان تدريبكم على تقوية الحرب ؟ نى من هو ذلك الشخص الذى تعلم فعلا هذه الأمور باستخدام السلاح ولا يعرف أن المعارك ليس فيها مجال للتجربة ؟ ولا العدو من ناحيته على استعداد أن يوفر الفرصة بينما الصراع دائر — للتدرب على صلبه • اننى فى الواقع هذه المرة معجب بحماسكم وأغفر لكم هذا الانزعاج ولكن لأنكم اتخذتم هذا الاجراء فى وقت غير مناسب ولأن خطة الانتظار التى نتبعها هى خطة حكيمة فاننى أوضح لكم الأمور • لقد قام

الامبراطور بتجميعنا من كل أقاصى الأرض وجهز جيشا أكبر من أن يعرف عدده على وجــه الدقة كما جهز اســطولا لم يحدث أبدا أن جمع مثله الرومان ، أسطولا أصبح الآن يغطى كل شواطىء كمبانيا Campania والجزء الأكبر من خليج أيونيا Ionian Gulf وفى خلال بضعة أيام سوف تصلنا هذه التعزيزات حاملة معها كل أصــناف المؤن لكى تضــع حدا لفقرنا ولكى تدفن معسكرات البرابرة تحت وابل من القذائف • وعلى ذلك فقد كنت أتدبر الأمر على أساس تأجيل وقت الصراع الى أن يصل هؤلاء وبذلك نحرز النصر فى الحرب ونحن بمأمن لأن نقدم استعراضا فى الحرب يتم بالتسرع المبنى على عدم تعقل الأمور وبذلك نرمى فى العراء كل احتمالات الخلاص لقضيتنا بأكملها • ان اهتمامى الوحيد سوف يكون لتأمين الوصول العاجل للتعزيزات ومنع تأخيرها مدة أطول » •

(٤)

بهذه الكلمات شجع بليزاريوس جمهــرة الرومان ثم طلب منهم الانصراف وأمر بركوبيوس الذى كتب هذا التاريخ بالذهاب فورا الى نابولى • حيث كانت تسرى شائعة أن الامبراطور كان قد أرسل أحــد الجيوش اليها • وفوض اليه سلطة تحميل أكبر عدد ممكن من الســفن بالحبوب وجمع كل الجنود الذين كانوا قد وصلوا فى ذلك الوقت قادمين من بيزنطة أو الذين كانوا قد بقوا فى نابولى من أجل العناية بالخيول أو الذين بقوا هناك لأى غرض مهما كان لأنه كان قد سمع أن الكثيرين من أمثال هؤلاء كانوا يأتون الى مختلف الأماكن فى كمبانيا — وأن يسحب بعض الرجال من الحاميات الموجودة هناك وأن يعود معهم لنقل الحبــوب الى أوستيا Ostia حيث يوجد ميناء الرومان بها • ومضى بروكبيوس يصحبه مونديلاس Mundilas الحارس وبضعة فرسان وفى الليــل عبروا البوابة التى تحمل اسم بولس الرسول[٥] متفاديا معسكر العدو

---

(٥) البورتا اوستينيسيس « بوابة اوستيينس » .

للذى كان قد اقيم بالقرب من طريق ابيان Appianway لغرض الرقابة عليه وضحها أطن مونديلاس ورجاله عند عودتهم الروما أن بروكوبيوس قد وصل فعلا الى كمبانيا دون أن يلتقى باحد من البرابرة — وانهم كانوا يقولون أن العدو لن يستطيع ابدا الخروج ليلا من معسكره — امتلات نفوس الجميع بالأمل وبتشجيع من بليزاريوس قرر الخطة الآتيــة :

أرسل عددا كبيرا من فرسانه الى الحصون المجاورة مع تعليمات بانه فى حالة خروج العدو الى ذلك الطريق لجلب المؤن الى معسكراته يجب عليهم دائما أن يشنوا عليهم هجمات خاطفة من الأماكن التى يتمركزون بها وأن ينصبوا الكمائن فى كل أنحاء المنطقة وبذلك ليمنعوهم من التقدم بل على العكس عليهم بكل ما فيهم من باس أن يلزموهم بالبقاء داخل المعسكرات لكى تقل أحزان اهل المدينة عما سبق بسبب نقص الامدادات وايضا حتى يبدو وكان البرابرة هم المحاصرون وليس الرومان هم الذين يقعون تحت حصارهم • ولذلك فقد أصدر أوامره لمارتينوس وتراجان ومعهم الف من الرجال بالذهاب الى تاراسينا Taracina • وارسل معهم زوجته أنتونينا Antonina مع أمر بأن ترسل هى وهو بضعة رجال الى نابلى وأن تكون هناك فى انتظار الأقدار التى سوف تحل بالرومان • كما أنه ارسل ماجنوس Magnus وسنثيوس Sinthus الحارسين اللذين أخذا معهما نحو خمسمائة رجل الى قلعة تيبور Tibur التى تبعد مائة وأربعون فرسخا عن روما •

ولكنه كان قد أرسل فعلا جونثاريس Gontharis ومعه عدد من الأرلى (٦) Eurlii الى بلدة ألبانى Albani التى كانت تقــع

---

(٦) الايرولى . عرفناهم بانهم شعب شديد المراس كان يزدرى استخدام الدرع ، ومن عاداتهم الحكم على الأرامل بالموت اذا مات أزواجهن وعلى الآباء الطاعنين فى السن بالا يعيشوا بعد أن تضمحل صحتهم .
(المترجمة)

على طريق أبيان على نفس المسافة من المدينة وكان السقوط قد طردوا هؤلاء الى ايرولى من هناك بالقوة فيما بعد بمدة ليست بالطويلة .

والآن توجد كنيسة معينة باسم بولس الرسول[٧] على بعد ٤ فراسخ من تحصينات روما ويجرى نهر التيبر الى جانبها . وفى ذلك المكان لا توجد أية استحكامات ولكن يوجد بهو الأعمدة يمتد بامتداد الطريق من المدينة الى الكنيسة وكثير من المبانى الأخرى المحيطة بالمكان تجعل من الصعب الدخول اليه ولكن القوط كانوا يبدون قدرا ملحوظا من الاحترام الحقيقى لمقدسات من هذا النوع . وفى الواقع أنه طوال الفترة التى استغرقتها الحرب لم تصب واحدة من كنائس الرسولين[٨] بأى اذى على أيديهم ولكن كان الكهنة يقومون فيها بطقوسهم الدينية كالمعتاد . عن هذه البقعة اصدر بليزاريوس أمره الى فاليريان أن يأخذ الهون وأن يقيم خطا دفاعيا عند نهر التيبر ليحقق أكبر قدر من الأمان والاحتفاظ بالخيول . ويبقى القوط بعيدا ويقفوا فى مكان يبعد مسافات كبيرة عن معسكراتهم . وتصرف فاليريان طبقا لهذه الأوامر . وبعد أن أقام الهون معسكرهم فى المكان الذى حدده القائد ركب جواده عائدا الى المدينة .

وهكذا بعد أن أكمل بليزاريوس هذا ظل هادئا لا يقدم على معركة ولكنه يتلهف على مواصلة الدفاع من السور اذا حدث وتقدم أحد نحوه من الخارج ناويا الشر . كما انه قام أيضا بتزويد بعض الجمهور الرومانى بالحبوب . ولكن مارتينوس تراجان قام ليلا بالمرور بين معسكرات العدو وبعد وصولهما الى تاراسينا أرسلا انتونينا بصحبة عدد قليل من الرجال الى كمبانيا أما هما فقد استوليا على الأماكن الحصينة فى المنطقة وباستخدامها كقواعد لهما للقيام بالعمليات الحربية .

---

(٧) تقع كنيسة القديس بولس الى الجنوب من المدينة خارج بوابة أرستيس التى لا تزال تعرف باسم بورتاسان باولو ، بوابه القديس باولو « بولس » .

(٨) القديس بطرس والقديس بولس .

ومن ثم بقيامها أنذاك بالهجمات المفاجئة تمكنا من وقف تحركات القوط الذين كانوا يجوبون المنطقة • أما بالنسبة لجلوس وستيليثيوس فقد استطاعا فى وقت قصير اعادة بناء اجزاء القلعة(٨) التى كانت قــد أصابها الدمار وبمجرد أن حققا لأنفسهما الأمان بدأ فــورا فى اثارة المتاعب للعدو الذى كانت قلعته لا تبعد كثيرا ليس فقط عن طريق شن الغارات العديدة عليهم ولكن أيضا بالابقاء على البرابرة الذين يرافقون قوافل الامدادات على حال من الرعب المتواصل نتيجة تحركاتهم ذات الطابع الذى يجعلها تستعصى على التنبؤ بمكانها أو زمانها •

ولكن ستيليثيوس أصيب أخيرا بجرح فى يده اليمنى من جراء ضربة حربة فى احدى المعارك ولأن الأعصاب الوترية كانت قد قطعت أصبح بعدها غير لائق للقتال والهون — أيضا بعد أن قاموا باعداد معسكرهم فى مكان قريب كما قلت — كانوا من ناحيتهم يسببون للقوط متاعب لا تقل شدة وكانت النتيجة أن هؤلاء مثلهم فى ذلك مثل الرومان أصبحوا يشعرون بوطأة المجاعة لأنهم لم تعد لهم حرية جلب مؤن الطعام اللازمة كما كان يحدث من قبل • كما حل بهم أيضا الوباء وكان يقضى على الكثيرين وخاصة فى المعسكر الذى كانوا قد أعدوه أخيرا قريبا من طريق أبيا كما قلت فيما سبق — أما الأعداد القليلة التى بقيت ولم تهلك فقد انسحبوا من ذلك المعسكر الى معسكرات أخرى وقد عانى الهون أيضا بنفس الشكل ولذلك فقد رجعوا الى روما •

هكذا كان سير الأحداث هنا • أما بالنسبة لبروكوبيوس فانه عندما وصل الى كمبانيا استطاع أن يجمع ما لا يقل عن خمسمائة جنــدى هناك وقام بتحميل عدد كبير من السفن بالحبوب وتوقف بها على أهبة الاستعداد وبعد ذلك بفترة قصيرة انضمت اليه أنتونينا التى بدأت فورا فى مساعدته على اكمال استعدادات الأسطول •

وفى ذلك الوقت بدأ جبل فيسـفيوس Vesuvius (١٠) فى الثوران وعلى الرغم من انه لم يطلق الدخان لحممه البركانية فانه بسبب استمرار الثوران كان الناس يتوقعون بما يشبه التخمين أن البركان واقع لا محالة ولهذا السبب حدث أن انتاب السكان رعب هائل . أن الجبل يبعد مسافة سبعين فرسخا عن نابولى ويقع الى الشمال منها(١١) — وهو جبل شديد الانحدار تمتد سفوحه السفلى فوق مساحات شاسعة على كافة جوانبه بينما جزؤه الأعلى شديد الانحدار يصعب تسلقه الى درجة كبيرة . وفوق قمة جبل فيسـفيوس عند المنتصف تقريبا تظهر فتحة كهف ذى عمق هائل حتى ليخيل للمرء أن عمقه يمتد الى قاع الجبل ومن الممكن مشاهدة النيران اذا جرؤ المرء على أن يحملق فى الكهف عند حافته ورغم أن ألسنة اللهب كقاعدة عامة تتلوى وتستدير فوق بعضها البعض دون أن تحدث اية متاعب لأهل المنطقة الا انه عندما يطلق الجبل العنان لصوت ثورانه الذى يشبه صراخا هائلا فانه بعد قليل يطلق الى أعلى كمية هائلة من الرماد . فاذا حدث وكان هناك مسافر على الطريق وفاجأه هذا الانهمار الرهيب للرماد فلا يمكن أن يظل على قيد الحياة واذا وقع الرماد فوق المنازل فانها أيضا كانت تتهدم تحت ثقل كميات الرماد الهائلة ولكن كلما كان يحدث ذلك تهب ريح قوية ويرتفع الرماد الى علو شاهق وتخرج عن مجال رؤية العين المجردة وظل الرياح تحملها وتدفعها حيثما ذهبت الى أن تسقط فوق أراضى بعيدة جدا . ويقولون انها سقطت ذات مرة فى بيزنطة(١٢) وأصابت الناس هناك بالذعر لدرجة أنه منذ ذلك الوقت حتى وقتنا هذا ترى المدينة بأكملها أنه من المناسب أن تتوجه بالحمد والشكر لله باقامة الصلوات كل عام وفى زمن آخر سقطت فوق طرابلس

---

(٩) فيسور .

(١٠) يقع جبل فيسـفيوس بالقرب من نابلى كما أوضح بروكوبيوس .

(١١) وهذا واحد من اخطاء بروكوبيوس اذ الواقع انه يقع الى الجنوب الشرقى من نابولى .

(١٢) اثناء بركان عام ٤٧٢ م .

فى ليبيا • ويقولون ان هذه الخوارق كانت تقع مرة كل مائة عام أو حتى أكثر [١٣] ولكن فى الأزمنة الأخيرة كانت تحدث مرات أكثر عدداً • وعلى أية حال فانهم يعللون مؤكدين أقوالهم انه كلما تقذف فسيوفيوس بهذا الرماد فان البلاد المحيطة به تزدهر بوفرة بما كل أنواع المحاصيل •

علاوة على هذا فان الهواء فوق هذا الجبل خفيف جدا وبطبيعته هذه فهو أنسب هواء فى العالم لصحة • وفى الواقع ان جميع من اصيبوا بمرض السل قد أرسلهم الأطباء الى هذا المكان • وعلى ذلك فهنالك الكثير الذى يمكن أن يقال عن فسيوفيوس •

(٥)

فى هذا الوقت وصل ايضا جيش آخر عن طريق البحر من بيزنطة جيش قوامه ثلاثة آلاف من الأيسوريين الذين نزلوا فى ميناء نابولى بقيادة باولوس Paulus وكونون Conon وثمانمائة من فرسان تراقيا الذين هبطوا فى درايوس Dryous [١٤] بقيادة جون ابن أخت فيتاليان Vitalian الذى كان فيما سبق طاغية ومعهم ألف جندى أخرون من الفرسان المنتظمين تحت قيادة العديد من القادة كان من بينهم الاسكندر ومارسنثيوس Alexander, Marcentius وقد حدث أن زينون Zeno ومعه ثلثمائة فارس كانوا قد وصلوا فعلا الى روما عن طريق سامنيوم Samnium والطريق اللاتينى • وعندما جاء حنا ومعه كل الآخرين الى كامبانيا وقد تزود بعدد كبير من العربات من أهل كالابريا وانضم الى قواته خمسمائة رجل كانوا — كما قلت من قبل — قد تم

(١٣) منذ وقوع بركان عام ٧٩ وهو الأول بالنسبة للأزمنة التاريخية — توالت ثورات البركان الواحدة تلو الأخرى على فترات تتراوح ما بين سنة واحدة وما يزيد عن مائة سنة •

(١٤) درايوس Dryous تقع على الخليج الأيونى وتسمى هيدروس. (المترجمة)

تجميعهم فى كامبانيا • وخرج هؤلاء للقيام برحلتهم عن طريق الساحل ومعهم العربات واضعين فى تقديراتهم أنه اذا ما ووجهوا بأية قوى عدائية فما عليهم الا أن يجعلوا العربات تقف على هيئة دائرة تشكل خطا دفاعيا وبذلك يمكنهم صد العدو وأصدروا أمرهم الى الرجال الذين يعملون تحت قيادة باولوس وكونون بأن يبحروا بمنتهى السرعة للانضمام اليهم عند أستيا مرفأ روما(١٥) ووضعوا مقادير كافية من الحبوب فى العربات وحملوا كل السفن ليس فقط بالحبوب ولكن أيضا بالنبيذ وكل أنواع المؤن • وكانوا فى الواقع يتوقعون أن يجدوا القوات التابعة لمرتينوس وتراجان فى المنطقة المجاورة لتارسينا وأن يكون فى صحبتهم ابتداء من تلك النقطة وحتى نهاية الرحلة ولكنهم عندما اقتربوا من تارسينا علموا أن تلك القوات كانت قد استدعيت مرة أخرى وعاد الى روما •

ولكن بليزاريوس وقد علم أن قوات جون كانت تقترب واذ كان يخشى أن العدو قد يواجهها باعداد تفوقها الى حد كبير وتفلح فى تدبيرها فقد عمد الى اتخاذ القرارات الآتية • لقد حدث أن العدو أقام معسكراته فى مكان قريب جدا من بوابة فلامينى Flaminian وكان بليزاريوس بنفسه قد سد هذه البوابة عند بداية هذه الحرب بواسطة بناء حجرى كما قلت فى القصة السابقة وكان هدفه بالطبع أن يجعل من الصعب على العدو أن يشق طريقه الى الداخل أو أن يقوم بأية محاولة للاستيلاء على المدينة عند تلك النقطة وبالتالى لم يقع أى اشتباك عند هذه البوابة ولم يكن لدى البرابرة أية شكوك فيما يتعلق بوقوع أى هجوم عليهم من هناك • وعند حلول الليل قام بليزاريوس بهدم المبنى الذى يسد البوابة دون أن يأبه بأى مخلوق بالمرة وجهز الجزء الأكبر من الجيش هناك وعند الفجر أرسل تراجان وديوجنيز Trajan, Diogenes مع ألف من الفرسان عبر بوابة بنشيان وأمرهم

(١٥) ، هو ميناء بورتوس Portus الطبيعى الذى استولى عليه القوط .

أن يطلقوا قذائفهم داخل المعسكرات وبمجرد أن يظهر الأعداء لبدء المعركة صدهم عليهم أن يصعدوا الى الفرار بدون أدنى احساس بالعار وأن يصعدوا الى أعلا التحصينات بأقصى سرعة كما وضع ايضا بعض الرجال داخل هذه البوابة . ومن ثم فقد بدأ الرجال الذين يقودهم تراجان فى انهاك العدو حسب توجيهات بليزاريوس لهم وبدأ القوط الذين تجمعوا من كل المعسكرات فى الدفاع عن أنفسهم وبدأ الجيشان فى التحرك بأقصى ما فى قدرتهما من سرعة فى اتجاه تحصينات المدينة أحدهما تبدو عليه مظاهر الفرار والثانى يعتقد أنه يطارد العدو .

بمجرد أن رأى بليزاريوس أن العدو شرع فى المطاردة قام بفتح بوابة فلامينا وأطلق الجيش لمواجهة البرابرة الذين أخذوا على غرة . وقد حدث حينئذ أن أحد معسكرات القوط كان على الطريق بالقرب من هذه البوابة وكان فى مواجهته ممر ضيق يقع ما بين ضفتين منحدرتين كان الصعود اليه فى غاية الصعوبة وكان هناك واحد من البرابرة وهو رجل له قوام رائع مطلى بالدروع عندما رأى هذا الرجل العدو يتقدم عمل على الوصول الى هذا المكان قبلهم واتخذ لنفسه موقعا هناك وهو ينادى فى نفس الوقت على زملائه يحثهم على المساعدة فى حراسة الممر الضيق . ولكن قبل أن يتمكن من القيام بأية حركة ذبحه مونديلاس وبذلك لم يسمح لأى واحد من البرابرة بالدخول الى هذا الممر وعلى ذلك فقد شرع الرومان فى المرور خلاله دون أن يصادفوا أية مقاومة وقد وصل البعض منهم الى أحد معسكرات القوط القريبة وحاولوا الاستيلاء عليه ولكنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا هذا بسبب قوة الخط الدفاعى على الرغم من قلة عدد البرابرة الذين بقوا خلفه لأن الخندق كان محفورا بعمق غير عادى ولأن التراب الناتج عن الحفر منه كان فى كل الأحوال يوضع على طول جانبه الداخلى فان ارتفاعه كان كبيرا ومن ثم فقد كان بمثابة حائط . وكان مزودا بعدد وافر من الأوتاد المدببة بشكل حاد والمتقاربة جدا من بعضها البعض وعلى ذلك فقد كان هذا الحائط بمثابة سياج قوى . هذه الدفاعات أدت الى تقوية روح الجسارة فى نفوس

البرابرة قد بدأوا في العمل على صد العدو بقوة هائلة • ولكن أحد حراس بنيزاريوس واسمه اكويلينيس Aqullinus وكان رجلا ذا نشاط عجيب أمسك أحد الخيول من لجامه وامتطاه على أحسن ما يكون وقفز به من الخندق الى قلب المعسكر حيث قام بذبح عدد من أفراد العدو وعندما تجمع حوله أعداؤه وأطلقوا عليه وابلا من القذائف جرح الحصان ووقع ولكنه هو نفسه استطاع بشكل غير متوقع أن ينشق طريقه للهرب بين صفوف العدو • وهكذا توجه سيرا على الأقدام مع رفاقه نحو بوابة بنتسيان وعندما وصلوا الى البرابرة الذين كانوا قد سبقوهم والذين كانوا لا يزالون مشغولين بمطاردة الفرسان الرومان[16] بدأوا في التصويب عليهم من الخلف وقتلوا عددا منهم •

وعندما أدرك تراجان ورجاله ما يحدث اذ انهم أثناء ذلك كانوا يعززون صفوفهم بواسطة الفرسان الذين كانوا يقفون على مقربة وعلى استعداد وهاجموا مطارديهم باقصى سرعة وأخيرا بدأ القوط الذين أصبحوا بلا قيادة والذين وقعوا بعكس المتوقع بين قوات أعدائهم يقتلون بلا رحمة • كانت هناك مذبحة هائلة لهم ولم يتمكن من الفرار الى معسكراتهم الا القليلون وكان ذلك يتم بصعوبة بالغة وفي أثناء ذلك حبس الاخرون أنفسهم داخل المعسكرات اذ كانوا يخافون على سلامة حصونهم وبقوا فيها الى ما بعد المذبحة معتقدين أن الرومان سوف يهجمون عليهم دون أدنى تأخير •وفي هذه العمليات أصاب أحد البرابرة تراجان في وجهه فوق العين اليمنى وفي مكان لا يبعد كثيرا عن الأنف واخترق الطرف الحديدي بأكمله الرأس واختفى تماما على الرغم من أن الشوكة الموجودة به كانت كبيرة وأطول كثيرا من المعتاد ولكن بقية السهم سقطت في الحال على الأرض بدون استخدام القوة من جانب اى شخص وفي رأيي أن ذلك قد حدث لأن الطرف الحديدي لم يكن مثبتا باحكام

---

(١٦) كانت هذه قوات تراجان وديوينز .

فى العصبة الرمح . وعلى أية حال فان تراجان لم يأبه بذلك على الاطــلاق ولكنه استمر فى قتال ومطاردة العدو بعنف لا يقل عن ذى قبل .

ولكن فى العام الخامس فيما بعد بدأ الطرف الحاد لقطعة الحديد يبرز من تلقاء نفسه بشكل لافت لنظر من وجهه وها نحن فى العــام الثالث منذ بدء ظهورها وهى لا تزال تبرز شيئا فشيئا وبشكل ثابت . وعلى ذلك فالمتوقع أن تخرج الشوكة كلها فى النهاية رغم أن ذلك لن يستغرق وقتا طويلا .

ولكنها لم تكن عائقا للرجل على أى وجه من الوجوه فلا اهميــة اذن لهذه الأمور .

(٦)

لقد بدأ البرابرة الآن ينتابهم اليأس من كسب الحــرب وكانوا يفكرون فى كيفية الانسحاب من روما التى عانت مثلما عانوا هم من انتشار الأوبئة ومن الأعداء وكانت اعدادهم قد تقلصت فأصبحت قلة قليلة من الرجال بعد أن كانوا عشرات الألوف والأسوأ من ذلك كله انهم كانوا فى حال من الحزن الشديد بسبب المجاعة وبينما كانوا من ناحيــة الشكل يواصلون الحصار كانوا فى واقع الأمــر هم المحاصرون من أعدائهم كما كانوا محرومين من كل الأشياء الضرورية للحياة . وعندما علموا أنه قد وصل لاعدائهم جيش آخر قادما من بيزنطة برا وبحرا — ولأنهم لم يكن لهم علم بحجمه الحقيقى معتقدين أنه كان جيشا هائلا حسب ما كانت تقوله الشائعات — فقد أصابهم الرعب وبدأوا يعدون الخطط للرحيل . وعلى ذلك فقد قاموا بارسال ثلاثة مبعوثين الى روما كان أحدهم رومانيا يتمتع بمكانة مرموقة بين القوط وعندما وصل هــذا الى حيث كان بليزاريوس بانتظاره تكلم قائلا :

« حيث ان الحرب لم تنته الى تحقيق أية مزايا لأى من الجانبين

وكل منا يعلم هذا جيدا لأن كلا منا كانت له تجربته الحقيقية فى تحمل مصاعبها • ما الذى يرغم أى واحد فى كلا الجانبين المتحاربين على انكار حقائق لن تظل أسيرة الجهل بها •

كما اننى اعتقد ان أحدا — على الأقل لا ينقصه حسن الادراك — أن ينكر أن الرجال الذين يفتقدون الى العقل هم وحدهم الذين يمكن أن يختاروا مواصلة المعاناة الى ما لا نهاية لمجرد اشباع روح النزاع التى تحركهم حاليا ويرفضون ايجاد الحلول للمتاعب التى تحيط بهم • كلما نشأ هذا الموقف فانه يصبح واجبا محتما على القادة فى كلا الجانبين ألا يضحوا بارواحهم ورعاياهم من أجل مجدهم الشخصى ولكن عليهم ادراك أن طريق العدل والسلامة لا لأنفسهم فقط ولكن أيضا لأعدائهم وبذلك يوضع حد للمعاناة القائمة حاليا • ان الاعتدال فى المطالب يتيح طريقا للتخلص من كل الصعاب ولكنها الطبيعة الكامنة فى روح المنازعة هى التى لا تستطيع أن تحقق أيا من الأهداف التى تعتبر أساسية • والآن ، نحن من جانبنا قد بحثنا كل ما يتعلق بما انتهت اليه هذه الحرب وجئنا اليك بمقترحات هى فى صالح كل من الطرفين نتخلى فيها — من وجهة نظرنا — عن جزء من حقوقنا • ونرجو أن تعمل أنت بالمثل عند بحثكم لما انتهت اليه الحرب ، أن لا تستسلم لروح النزاع وبذلك تعملون على تدمير انفسكم وكذلك تدميرنا عند المفاضلة فى اختيار الطريق الذى يحقق ميزة لكم • وانه لمن المناسب أن يقوم الجانبان بعرض قضيتهما ليس بالحديث المسترسل ولكن بأن يسمح لكل طرف أن يقاطع الآخر فى اللحظة المناسبة اذا قيل شىء يبدو غير مناسب ، لأنه بهذه الطريقة سوف يستطيع كل جانب أن يعرض باختصار كل ما يريد قوله وفى نفس الوقت سوف يمكن تحقيق الأمور الأساسية » •

واجاب بليزابيوس : « ليس هناك ما يمنع استمرار الحوار

بالطريقة التى تعرضها والمطلوب فقط أن تكون الكلمات التى تنطق بها أنت معبرة عن السلام والعدالة » .

ولذلك قال سفراء القوط عندما جاء دورهم : « لقد اتهمتم بنا الظلم أيها الرومان فى لجوئكم الخاطىء للسلاح ضدنا نحن أصدقاؤكم وحلفاؤكم وما سوف نقوله هو اننا حسب ما نعرف معروفون جيدا لكل فرد منكم كما نحن معروفون لأنفسنا . لأن القوط لم يستولوا على أراضي ايطاليا بانتزاعها من الرومان بالقوة ولكن اودواكر Odoacer فى الأزمنة القديمة خلع الامبراطور عن العرش ودول حكومة ايطاليا الى حكم الطغيان واحتفظ بها على هذا النحو[17] . وهناك أيضا زينون[18] الذى كان فى ذلك الوقت يملك السلطة فى الشرق ورغم انه كان يتمنى أن ينتقم لشريكه فى المنصب الامبراطورى ويحرر هذه الأرض من المغتصب الا أنه كان عاجزا عن تدمير نفوذ أودواكر . وهكذا عمل على تحريض ثيودريك — حاكمنا على الرغم من أنه كان على وشك حصاره وكذلك بيزنطة ليس فقط لوضع حد لعدوانه نحو نفسه تقديرا لذكرى التكريم الذى كان ثيودريك قد لقيه على يديه حيث تم تنصيبه شريفا رومانيا وقنصلا للرومان ولكن أيضا لمعاقبة أودواكر للمعاملة الظالمة التى لقيها منه أوغسطولوس Augustulus ثم بعد ذلك فى صحبة القوط للسيطرة على حكم البلاد كحكام شرعيين أصحاب حق — وعلى ذلك فقد كانت تلك هى وسيلتنا فى تولى زمام أمور ايطاليا ولقد حافظنا على القانون وعلى نظام الحكومة بنفس التشدد الذى كان يمكن أن يبديه أى أمبراطور رومانى وليس هناك على الاطلاق أى قانون سواء كان مكتوبا أم غير مكتوب تم اقراره بواسطة ثيودريك أو بواسطة أى

---

(17) عام 476 م . وذلك عندما اسقط رومولوس اوغسطولوس . آخر الاباطرة الرومان . (المترجمة) .

(18) الامبراطور البيزنطى زينون حكم من 474 — 491 م . (المترجمة)

واحد ممن خلفوه على العرش من القوط — ولقد ظللنا نراعى بكل احترام وتوقير للرومان ممارساتهم وتمسكهم بعبادة الله والايمان به سبحانه وتعالى لدرجة أنه لا يوجد ايطالى واحد أقدم على تغيير عقيدته سواء بارادته أو رغما عنه حتى يومنا هذا وعندما كان القوط يقدمــون على تغيير[١٩] عقيدتهم لم نكن نعير الأمر أى اهتمام . الواقع أن مقدسات الرومان قد لقيت منا أقصى درجات التكريم لأنه لا يوجد انسان واحد احتمى بهذه المقدسات ولقى معاملة تقوم على العنف من أى انسان . والأكثر من هذا فان الرومان أنفسهم استمروا فى تولى مناصب الدولة ولا يوجد قوطى واحد شاركهم فى ذلك فليتقدم أى انسان ليدحض ما نقول به اذا كان يعتقد أن ما نقوله غير صحيح بل يمكننا أن نضيف أن القوط قدموا التنازل عن حمل شرف منصب القنصلية مقدرين أنه كان يجب أن يمنح للرومان كل عام بواسطة امبراطور الشرق . لقد كان ذلك هو الأسلوب الذى نتبعه ولكن أنتم من جانبكم لم تأخذوا بيد ايطاليــا عندما كانت تعانى على أيدى البرابرة وعلى يد أدواكر رغم أن ذلك لم يستغرق وقتا قصيرا بل عشر سنوات كاملة كان يعامل البلاد بمنتهى العنف — ولكنكم الآن — تعاملوننا بالعنف ونحن الذين تولينا أمر البلاد بالطريق الشرعى وعلى الرغم من أنه لا يوجد لكم أى أعمال هناك . فهل يمكن أن ترحلوا من هذا المكان وتبعدون عن طريقنا مع احتفاظكم بكل ما يخصكم وبكل ما حصلتم عليه بطريق النهب » .

ما الذى يرغم الامبراطور على أن يهتم باستبدال طاغية بآخر ؟ ولكنه أرسله لكى تنعم ايطاليا بالحرية وتكون فى طاعة الامبراطور[٢٠] وعلى الرغم من أن ثيودريك أطاح بالطاغية بطريقــة مرضية الا أنه فى كل الأمور الأخرى كان يبدى افتقارا غير عادى للمشاعر السليمة ، لأنه لم يفكر أبدا فى استعادة الأرض لتذهب الى مالكها صاحب الحق فيها ، ولكن أنا من ناحيتى اعتقد أن الشخص الذى يسرق من آخر باستخدام العنف وكذلك الذى ــ بكامل ارادته ــ لا يعمل على استرداد حاجيات جاره متساويان فى الجرم.والآن ــ فيما يختص بى شخصيا لن أسلم بلاد الامبراطور لأى انسان آخر ، ولكن اذا كان هناك شىء آخر ترغب فى أن تأخذه بديلا عنها فاننى أترك لك فرصة الكلام » .

وقال البرابرة : « لا يمكن أن يكون أى واحد منكم غير مدرك لصدق كل كلمة قلناها عن كل شىء ، ولكى لا تبدو كمن يرغب فى اثارة المنازعات نتنازل لكم عن صقلية رغم عظمتها وما تنطوى عليه من ثروة حيث نعلم انه بدونها لا يمكن لكم أن تكونوا آمنين على ليبيا » .

ورد بليزاريوس قائلا : « ونحن من جانبنا نسمح للقوط بأن تكون لهم بريطانيا باكملها[٢١] وهى أكبر بكثير من صقلية وكانت تخضع للرومان

---

(٢٠) اجمعت معظم المراجــع على ان الامبــراطور زينون قد بعث ثيودريك سنة ٤٨٨ م للتخلص من اودواكر ، وعلى ان يحكم ايطاليا نيابة عنه. (المترجمة)

انظر : Vasiliev «op - cit» p. 107.
Ostrogorskey «op - cit» p. 58.

وهذا يختلف مع ما يذكره بليزاريوس هنا .

(٢١) انسحبت الفرق الرومانية من بريطانيا اوائل القــرن الخامس وتلاحقت عليها فى المائة وخمسين سنة التالية بالأحداث حتى اذا ما ظهرت على المسرح مرة أخرى اصبحت انجلترا لا بريطانيا . (المترجمة)

انظر : Hodjkin «The history of England» p. 108.
Cam - Med - Hist. vol I. pp. 378 - 381.

فى الأزمنة القديمة ، لأنه من العدل أن ترد الجميل بالجميل لمن بدأ بصنع المعروف أو بتقديم عمل طيب » . وقال البرابرة : « حسنا اذن اذا عرضنا عليكم اقتراحا بخصوص كمباديا أيضا أو عن نابولى فهل تصغون اليه ؟ » .

وقال بليزاريوس : « انا لا نملك سلطة التصرف فى شـــئون الامبراطور بالشكل الذى لا يتفق مع رغباته » .

ورد البرابرة : « ولا حتى اذا كنا نفرض على أنفسنا دفع مبـــلغ محدد من المال كل سنة ؟ » .

وقال بليزاريوس : « لا . حقيقة . لأننا لا نملك الا أن نحرس الأرض لصاحبها » .

وقال البرابرة : « هيا بنا الآن ، يجب أن نرسل مبعوثينـــا الى الامبراطور وأن نعقد معه معاهدتنا الخاصة بتسوية الأمور كلها . كما انه لابد من تحديد موعد تلتزم أثناءه الجيوش بمراعاة الهدنة » .

ورد بليزاريوس : « حسنا جدا فلنعمل على اتمام ذلك اذ أننى لن أقف فى طريقكم عندما تكونون بسبيل العمل من أجل السلام » .

وبعد الانتهاء من الكلام غادر كل واحد المؤتمر وانسحب مبعوثو القوط الى معسكرهم وفى أثناء الأيام التى تلت ذلك كانـــوا يزدرون بعضهم البعض كثيرا وكانوا يقومون بعمل ترتيبات الهدنة واتفقوا على أن كل جانب عليه أن يضع تحت تصرف الجانب الآخر بعضا من رجالة ذوى المكانة المرموقة كرهائن لضمان المحافظة على الهدنة .

(٧)

بينما كانت هذه المفاوضــات تجرى فى روما وصــل أســطول الأيسوريين الى مينا «الرومان[٢٢] ووصل هنا ورجاله الى اوستيا ولم يحدث أن اعترضـهم العدو لا وهم يجلبون السفن لترسو ولا وهم ينصبون معسكرهم • ولكن من أجل أن يتمكنوا من قضاء الليلة بمأمن من أى هجوم مفاجىء للعدو قام الايسوريون بحفر خندق بالقرب من الميناء وضموا عليه حرسا مستديما بنظام النوبات بينما جعل جنود هنا من عرباتهم سياجا يحيط بالمعسكر وظلوا فى اماكنهم ساكنين وعندما حل الليل توجه بليزاريوس الى أوستيا برفقة مائة من الفرسان وبعد أن أبلغ عما حدث فى الاشتباك وعن الاتفاق الذى تم التوصل اليــه بين الرومان والقوط وما الى ذلك تشجيعا لهم امرهم أن يحضروا حمولاتهم وأن يذهبوا بكل حماسة الى روما • وقال : « لأننى سوف أحرص على أن تكون الرحلة خالية من الأخطار » وهكذا عاد هو نفسه ممتطيا جواده الى المدينة كما بدأت انتونينا ومعها قواد الجيش فى الفجر تدبير الأمور الخاصة بوسائل نقل الحمولات • ولكن المهمة بدت لهم شاقة محفوفة بالمتاعب• لأن الثيران لم تعد تقوى على الصمود اذ خمدت جميعها وكأنها تحتضر والأخطر منذلك أن السفر فى مثل ذلك الطريق الضيق بالعربات كان خطر جدا وكان من المستحيل سحب القوارب فوق النهر حسبما كانت العادة من قبل • لأن الطريق الذى كان يمتد الى يسار[٢٣] النهر كان فى حوزة الأعداء كما سبق أن أوضحت فى الرد السابق ولم يكن متاحا للرومان استخدامه فى ذلك الوقت بينما كان الطريق الممتد بمحاذاة

---

(٢٢) اوستيا Ostia حيث كان الميناء المعتاد بورتوس Portus قد استولى عليه القوط •

(٢٣) المواجهة لأعالى النهر •

الناحية الأخرى من النهر لم يكن يستخدم على الاطلاق — على الأقل ذلك الجزء الممتد بمجازاة ضفة النهر — ولذلك فقد انتقوا القوارب الصغيرة الخاصة بالسفن الكبيرة واقاموا سورا من ألواح الخشب المرتفعة حولها من جميع الجوانب لكى لا يكون ركابها من الرجال معرضين لقذائف العدو ثم وضعوا عليها الرماة والبحارة بالأعداد التى تناسب كل قارب وبعد أن حملوا القوارب بكل ما تستطيع حمله انتظروا هبوب الرياح المواتية ثم أبحروا تجاه روما على نهر التيبر وتبعهم جزء على الضفة اليمنى للنهر لمؤازرتهم ولكنهم تركوا عددا كبيرا من الايسوريين لحراسة السفن وحينما كان مجرى النهر مستقيما لم تكن تصادفهم أى متاعب فى الابحار اذ لم يكن عليهم الا أن يرفعوا الشراع فى كل قارب ولكن حيثما كان النهر ينحنى ويأخذ طريقا مغايرا لاتجاه الريح بحيث لا تتلقى القوارب الدفع منها لم يكن أمام البحارة غير عناء التجويف بكل قوة لدفع القوارب ضد التيار . أما بالنسبة للبرابرة فقد كانوا يجلسون فى معسكراتهم دون أية رغبة فى صد عدوهم اما لأنهم كانوا تحت تأثير الرعب من هذا الخطر الداهم واما لأنهم كانوا يعتقدون أن الرومان بمثل هذه الوسائل لن يفلحوا فى جلب أية مؤن وكانوا يقدرون أنه مما يتناقض واهتماماتهم أن يتدخل فى الأمور حدث لا أهمية له فيؤدى الى احباط املهم فى الهدنة التى كان بليزاريوس قد وعد بها فعلا . رد على ذلك أن القوط الذين كانوا فى بولوس على الرغم من أنهم كانوا يرون أعدائهم طوال الوقت وهم يبحرون على مسافة قريبة حتى لايكادون يلمسونهم ولم يقوموا بأية حركة ضدهم ولكنهم كانوا يجلسون هناك فى ذهول من الخطة التى كانوا قد اتخذوا قرار العمل بها . وعندما أكمل الرومان رحلتهم فى أعالى النهر عدة مرات بنفس الأسلوب وبذلك تمكنوا من نقل كل الأحمال الى داخل المدينة دون أى تدخل . وأخذ الجنود السفن وانسحبوا بأقصى سرعة لأن الشتاء كان على وشك المجىء ودخل باقى الجيش روما فيما عدا أن باولوس ظل فى اوستيا ومعه بعض الايسوريين .

وفيما بعد تقدم كل طرف الرهائن للطرف الآخر الضمان للمحافظة على مراعاة الهدنة فقدم الرومان زينون[٢٤] وقدم القوط أولياس Ulias وهو رجل لا يقل مكانة وتم التفاهم على انه طوال ثلاثة شهور لن يقوم أى منهم بهجوم ضد الآخر وذلك الى أن يعود المبعوثون من بيزنطة ويقدموا تقريرا بما ينتويه الامبراطور • وحتى اذا بدأ هذا الجانب أو تلك الأعمال العدوانية ضد خصومة فان المبعوثين رغم ذلك كان لابد من عودتهم كل الى أمته • وهكذا ذهب مبعوثو البرابرة الى بيزنطة فى صحبة الرومان ورجع الديجر Ildiger زوج ابنة أنتونينا الى روما عائدا من ليبيا ومعه عدد غير قليل من الفرسان •

أما القوط الذين كانوا يتمركزون فى حصن بورتوس فقد تركوا المكان بناء على أوامر فيتجيس Vitigis لأن كل تموينهم كان قد استهلك وجاءوا الى المعسكر ثانية لاستدعائه • فى ذلك الوقت وصل باولوس مع رجاله الايسوريين قادما من أوستيا واستولى على الحصن وتمركز فيه • وكان السبب الرئيسى فى عدم وجود مؤن لدى البرابرة هو أن الرومان كانوا يسيطرون على البحر فلم يسمحوا بجلب أية مؤن ضرورية لهم • وكان ذلك أيضا هو السبب فى انهم تخلوا فى نفس الوقت تقريبا عن مدينة ساحلية على درجة كبيرة من الأهمية أسمها سنتوسيلا[٢٥] Centumcella وذلك لأنهم كانت تنقصهم المؤن • وهذه المدينة كبيرة الحجم آهلة بالسكان تقع الى الغرب من روما فى تسكانى وتبعد عنها بحوالى مائتين وثمانين فرسخا • وبعد الاستيلاء عليها استمر الرومان فى بسط المزيد من سيطرتهم اذ انهم استولوا أيضا على مدينة البانى التى تقع الى الشرق من روما بعد أن جلا عنها العدو فى ذلك الوقت لنفس السبب وكانوا فعلا قد أحاطوا بالبرابرة

---

(٢٤) غير الامبراطور زينون • (المترجمة)

(٢٥) حاليا سيفيتا فيشيا Civita - Vecchia •

من كل جانب وجعلوهم تحت سيطرة قواتهم • وكان القوط لكل ذلك في حالة نفسية تدعوهم لنقض الاتفاق وعمل أي شيء فيه أذى للرومان• ولذلك أرسلوا عددا من مبعوثيهم الى بليزاريوس يؤكدوا له أنهم عوملوا معاملة ظالمة أثناء الهدنة لأنه عندما قلم فيتيجيس باستدعاء القوط الذين بقوا فى پورتوس لأداء بعض الخدمات لغلام بلولوس والايسوريين بالاستيلاء على القلقة دون سبب مقنع كما أنهم قاموا بتقديم نفس هذا الاتهام الزائف فيما يتعلق بالبانى وسنتوميلاى وهددوا بأنه اذا لم يقم باعادة هذه الأماكن اليهم فسوف يكونوا مستائين • ولكن بليزاريوس ضحك وصرفهم قائلا ان هذا الاتهام ليس الا افتراء وليس هناك من يجهل السبب الحقيقى فى تخلى القوط عن هذه المواقع • وفيما بعد أصبح الجانبان فى حال من الشك كل تجاه الآخر •

ولكن فيما بعد عندما رأى بليزاريوس أن روما أصبحت مزودة بوفرة زائدة من الجنود قام بارسال كثير من الفرسان الى مواقع تبعد كثيرا عن روما وأصدر أمره الى حنا ابن اخت فيتاليان والفرسان الذين يقودهم ويبلغ عددهم ثمانمائة بقضاء فصل الشتاء بالقرب من مدينة ألبا Alba التى تقع فى بايسنم Picenum [٢٦١] كما أرسل معه أربعمائة من رجال فاليريان الذين كانوا تحت امرة دميانوس ابن اخ فاليريان وثمانمائة رجل وهم حرسه الخاص الذين كانوا بصفة خاصة من المحاربين الأكفاء وعلى رأس هؤلاء وضع اثنين من رماه الرماح هم سونتاس Suntas وأديجس Aedegis وأمرهم أن يتبعوا حنا حيثما قادهم كما أعطى حنا تعليمات بأنه طالما وجد الأعداء يحافظون على الاتفاق المعقود بينهم عليه أن يبقى ساكنا ولكن اذا ما وجد أن الهدنة تعرضت للانتهاك من جانبهم عليه أن يقوم بشن غارة مفاجئة

---

(٢٦١) بايسنم Picenum تقع بالقرب من رافنا وهى من اهم المناطق المحيطة برافنا عاصمة القوط وجميع اجناسهم من اجناس البحر المتوسط .
(المترجمة)

ويكتسح أرض بايسنوم ويدخل كل مناطق هذا الاقليم ويصل الى قلب كل واحد منها قبل الاعلان عن مجيئه لأنه لم يكن قد بقى رجل واحد فى كل تلك الأراضى حيث أنه على مايبدو أن الجميع كانوا قد ساروا اتجاه روما الا أنه كانت توجد النساء وأطفال العدو والأعوان فى كل مكان هناك وقد صدرت اليه التعليمات أن يستعد أو ينهب كل ما يعثر عليه على ألا يسبب أى اذى لأى فرد من الرومان الذين يعيشون هناك . واذا حدث ووقع على أى مكان به رجال وسائل دفاعية — وكان — ذلك احتمالا غير قائم — عليه أن ينقض عليه بكل ما لديه من قوة فاذا ما تمكن من الاستيلاء عليه أن يمضى قدما ولكن اذا حدث ولقى هجومه الفشل عليه أن يقفل راجعا وأن يبقى هناك . انه اذا ما تقدم وترك مثل تلك القلعة فى مؤخرته فسوف يتعرض لأخطار أكبر لأن رجاله لن يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم بسهولة اذا ما حدث وضغط عليهم خصومهم . وكان عليه أيضا أن يحافظ على غنائمه سليمة لكى توزع التوزيع العادل السليم على جميع أفراد الجيش . ثم أضاف ضاحكا « لأنه ليس من العدل أن تتهادى ذكور النحل من عناء العمل المرهق بينما ينعم آخرون بالعمل دون تحمل أية مشاق وبعد اصدار هذه التعليمات أرسل بليزاريوس حنا على رأس جيشه » .

تقريبا عند نفس الوقت جاء الى روما دايتوس Datius أسقف ميلانو[٢٧] ومعه بعض الرجال من ذوى المكانة ، بين المواطنين يلتمسون من بليزاريوس أن يرسل اليهم بضعة حراس حيث أعلنوا أنهم عن أنفسهم قادرون دون أية متاعب على أن يخلصوا من أيدى القوط ليس فقط ميلانو ولكن ليجوريا Liguria [٢٨] باكملها أيضا وأن

---

(٢٧) تقع ميلانو فى شمال ايطاليا وتسمى ميلان أو ميلانو .
Setton vol I, p. 750.

(٢٨) تقع ليجوريا فى الشمال الغربى من ايطاليا وسكانها من أول الشعوب التى سكنت أيطاليا .

(المترجمة)

يعيدوها الى الامبراطور • كانت هذه المدينة تقع فى ليجوريا تقريبـــا عند منتصف الطريق بين مدينة رافنا Ravenna وجبال الألب على حدود بلاد الغال Gaul لأنه على أى من الناحيتين كانت الرحـلة الى ميلان تستغرق ثمانية أيام بالنسبة للمسافر غير المثقل بالأحمال وهى أول مدينة من مدن الغرب بعد روما على الأقل من حيث الحجم وعدد السكان والرخاء بصفة عامة • ووعد بليزاريوس أن يلبى طلبهم ولكنه أبقاهم هناك طوال فصل الشتاء •

(٨)

كان ذلك هو سير تلك الأحداث • ولكن الحق أن النجاح الذى حققه الرومان كان يتزايد ويتضخم كلما كانت أمورهم تتقدم وتزداد تألقا ولكى يختلط كل ذلك بقدر من الشرور افتعلت مشاجرة تقوم على دعاوى تافهة بين بليزاريوس وقسطنطينوس ولكن كيف كبر هذا النزاع وكيف كانت نهايته هو ما ســوف أحكيه — كان هناك شـخص يدعى برسيديوس Presidus وهو رومانى يعيش فى رافنا وهو رجل على قدر غير قليل من المكانة الاجتماعية • كان برسيديوس هذا قد تسبب فى وقوع متاعب للقوط فى الوقت الذى كان فيه فيتيجيس على وشك المسير لمهاجمة روما ولذلك فقد خرج مصحوبا بعدد قليل من خدمه على زعم القيام برحلة صيد وذهب الى مكان قصى • لم يكن قد أحاط علما بخطته ولم يأخذ أى شىء من مقتنياته معه فيما عدا أنه هو شخصيا كان يحمل خنجرين يدخل فى زخرفة مقبضيهما كثير من الذهب والأحجـار الكريمة وعندما وصل الى سبوليتوم Spolitum أقام فى أحـد المعابد الواقعة خارجه الاستحكامات وعندما سمع قسطنطينوس الذى تصادف أنه كان لا يزال مقيما هناك بذلك أرسل أحد حراسه وهـو ماكسنتيولس Maxentiolus فانتزع منه الخنجرين دون سـبب معقول • وقد أصاب الرجل ضيق شديد نتيجة لما حدث وخرج متجها الى روما بأقصى سرعة وذهب الى بليزاريوس وقد وصل قنسطنطين

أيضا بعد ذلك بوقت قصير لأن الجيش القوطى بناء على تقرير كان قد أعد حديثا كان وصل الى مسافة قريبة • ظل بريسيديوس صامت طالما كانت أحوال الرومان حرجة ومرتبكة ولكنه عندما رأى أن الرومان أصبحت لهم اليد العليا وأن مبعوثى القوط قد أرسلوا الى الامبراطور — كما سبق لى أن ذكرت — فقد تكرر ذهابه الى بليزاريوس ليبلغ عن الظلم الواقع عليه وليطلب منه المساعدة فى الحصول عى حقوقه • وقد قام بليزاريوس بتوبيخ قنسطنطينوس بنفسه عدة مرات وعن طريق أناس آخرين مرات أخرى ليحثه على أن يريح ضميره من نتائج عمل يتسم بالظلم ومن تقرير غير مشرف عنه • ولكن قنسطنطينوس — الذى لابد قد حلت به روح الشر كان يستطيع المراوغة أمام الاتهام وتوجيه ألفاظ التوبيخ الساخرة الى الرجل الذى وقع عليه الظلم• ولذن فى احد المراتالتى بريسيديوس وبليزاريوس الذى كان يمتطى جواده فى السوق وأمسك بلجام الجواد وصاح بأعلى صوته متسائلا عما اذا كانت قوانين الامبراطور تقول انه كلما كان هناك شخص يحاول الهرب من البرابرة ويأتى اليهم متوسلا ضارعا يكون عليهم أن يسرقوا منه بالعنف كل ما يتصادف أن يكون بين يديه • وعلى الرغم من أن كثيرا من الرجال تجمعوا حوله وتوعدوه وامروه أن يترك اللجام من قبضة يده فانه لم يفعل قبل أن يعده بليزاريوس بأن يعيد اليه الخنجرين •

وفى اليوم التالى استدعى بليزاريوس قنسطنطينوس وعدد كبير من القواد الى أحدى حجرات القصر وبعد أن سرد ما وقع فى اليوم السابق حثه على أن يعيد الخنجرين برغم تأخر الوقت • ولكن قنسطنطينوس رفض أن يفعل ذلك بل انه كان يفضل مسرورا أن يلقى بها فى مياه نهر التيبر عن أن يعيدها الى بريسيديوس ولأن بليزاريوس كان قد سيطر عليه الغضب تساءل عما اذا كان قنسطنطينوس سيطيع أوامره أم لا • فرد قسطنطينوس على أنه يطيعه فى كل الأمور الأخرى لأن ذلك كان يحقق ارادة الامبراطور • أما فيما يتعلق بهذا الموضوع

بالذات والذى كان يفرضه عليه فى اللحظة الراهنة فانه لن يطيعه أبدا • عندئذ أمر بليزاريوس حراسه بأن يدخلوا • وفى تلك اللحظة قال قنسطنطينوس « واضح انك تدعوهم لكى يقتلونى » • وقال بليزاريوس: « أبدا ولكن لكى يرغموا حارسك ماكستيولس الذى انتزع الخنجرين من اجلك على أن يعيد للرجل ما أخذه بالعنف » ولكن قنسطنطينوس الذى كان يعتقد أن لحظة موته قد حانت أراد أن يقوم بعمل مجيد قبل أن يكون عليه أن يعانى من أى شىء — وعلى ذلك فقد سحب الخنجر الذى كان معلقا عند فخذه وأغمده فجأة فى بطن بليزاريوس • وتحرك مذعورا خطوة الى الخلف ثم ألقى بذراعيه حول بيساس Bessas الذى كان يقف على مقربة منه ونجح فى تفادى الضربة • ثم انطلق قنسطنطينوس وهو لا يزال يغلى غاضبا وراءه ولكن ايلديجر وفاليريان وقد شهدا ما كان يحدث أمسكا به على يديه واحد على اليد اليمنى والآخر على اليد اليسرى وسحباه الى الخلف • وعند ذلك دخل الحراس الذين كان بليزاريوس قد استدعاهم منذ لحظة وخطفوا خنجر قنسطنطينوس من يده بعنف شديد وأمسكوا به وسط صياح هائل • فى هذه اللحظة لم يعرضوه لأى أذى — احتراما على ما اعتقد للضباط الموجودين — ولكنهم اقتادوه الى حجرة أخرى تنفيذا لأمر بليزاريوس وفى وقت لاحق أعدموه • وقد كان ذلك هو العمل الوحيد من بين أعمال بليزاريوس الذى يتصف بالشر وهو عمل غير جدير على أى وجه من الوجوه بشخصية الرجل لأنه كان دائما يبدى رقة متناهية فى معاملة الآخرين • ولكن ما وقع قد وقع كما سبق أن أوضحت وهو أن الشر كان قدرا محتوما على قنسطنطينوس •

(٩)

وكان القوط يتمنون بعد فترة قصيرة من هذه الأحداث توجيه ضربة الى استحكامات روما • فأرسلوا بادىء الأمر عددا من الرجال الى احدى القنوات التى كانوا هم أنفسهم يأخذون احتياجاتهم من الماء منها عند بداية هذه الحرب واذ كانوا يحملون المصابيح والمشاعل فقد تمكنوا من

بالذات والذى كان يفرضه عليه فى اللحظة الراهنة فانه لن يطيعه أبدا • عندئذ أمر بليزاريوس حراسه بأن يدخلوا • وفى تلك اللحظة قال قنسطنطينوس « واضح انك تدعوهم لكى يقتلونى » • وقال بليزاريوس: « أبدا ولكن لكى يرغموا حارسك ماكستيولس الذى انتزع الخنجرين من اجلك على أن يعيد للرجل ما أخذه بالعنف » ولكن قنسطنطينوس الذى كان يعتقد أن لحظة موته قد حانت أراد أن يقوم بعمل مجيد قبل أن يكون عليه أن يعانى من أى شىء — وعلى ذلك فقد سحب الخنجر الذى كان معلقا عند فخذه وأغمده فجأة فى بطن بليزاريوس • وتحرك مذعورا خطوة الى الخلف ثم التقى بذراعيه حول بيساس Bessas الذى كان يقف على مقربة منه ونجح فى تفادى الضربة • ثم انطلق قنسطنطينوس وهو لا يزال يغلى غاضبا وراءه ولكن ايلديجر وفاليريان وقد شهدا ما كان يحدث امسكا به كل واحد على يديه واحد على اليد اليمنى والآخر على اليد اليسرى وسحباه الى الخلف • وعند ذلك دخل الحراس الذين كان بليزاريوس قد استدعاهم منذ لحظة وخطفوا خنجر قنسطنطينوس من يده بعنف شديد وأمسكوا به وسط صياح هائل • فى هذه اللحظة لم يعرضوه لأى أذى — احتراما على ما اعتقد للضباط الموجودين — ولكنهم اقتادوه الى حجرة أخرى تنفيذا لأمر بليزاريوس وفى وقت لاحق أعدموه • وقد كان ذلك هو العمل الوحيد من بين أعمال بليزاريوس الذى يتصف بالشر وهو عمل غير جدير على أى وجه من الوجوه بشخصية الرجل لأنه كان دائما يبدى رقة متناهية فى معاملة الآخرين • ولكن ما وقع قد وقع كما سبق أن أوضحت وهو أن الشر كان قدرا محتوما على قنسطنطينوس •

(٩)

وكان القوط يتمنون بعد فترة قصيرة من هذه الأحداث توجيه ضربة الى استحكامات روما • فأرسلوا بادىء الأمر عددا من الرجال الى أحدى القنوات التى كانوا هم أنفسهم يأخذون احتياجاتهم من الماء منها عند بداية هذه الحرب واذ كانوا يحملون المصابيح والمشاعل فقد تمكنوا من

استكشاف المدخل الذى يؤدى الى قلب المدينة ٠ وقد حدث أنه على مسافة ليست بعيدة من بوابة بنشيان الصغيرة أن وجد بأحد الأقواس المقامة على هذه القناة(٢٩) ما يشبه الصدع ومن خلال هذا الصدع (الشق) رأى أحد الحراس الضوء وأخبر رفاقه ولكنهم قالوا انه لابد قد رأى ذئبا أثناء مروره بعموده ٠ لأنه عند هذا المكان لم يكن بناء القناة يرتفع كثيرا فوق الأرض واعتقدوا أن الحارس قد تخيل عيني الذئب وكأنها نار مشتعلة ٠ ولذلك فان البرابرة الذين كانوا يستكشفون القناة وجدوا امامهم عند وصولهم الى قلب المدينة — حيث كان يوجد ممر كان قد بنى فى العصور القديمة يتجه الى أعلى ويؤدى الى القصر نفسه وجدوا مبنى يوصلهم وجعلهم لا يستطيعون التقدم الى ما وراء هذه النقطة أو استخدام طريق الصعود على الاطلاق ٠ كان هذا المبنى قد اقيم فى مكانه بواسطة بليزاريوس كأجراء وقائى عند بدء الحصار كما وصفت فى السرد السابق(٣٠) ولذلك قرروا فى بادىء الأمر ازالة احدى الأحجار من السور ثم العودة فورا وعندما رجعوا الى فيتيجيس استعرضوا موضوع الحجر وقدموا تقريرا عن الموقف باكمله ٠ وفى الوقت الذى كان يقدر فيه احتمالات خطته مع زعماء القوط كان الرومان الذين يقومون بالحراسة عند بوابة بنشيان يفكرون فيما بينهم وبين أنفسهم فى موضوع الذئب المحفوف بالشكوك وذلك فى اليوم التالى ٠ ولكن عندما ذاعت القصة ووصلت الى بليزاريوس لم يعالج القائد الموضوع بدون مبالاة لكنه أرسل فورا بعضا من رجال جيشه المرموقين مع الحارس ديوجنيز الى القناة وأمرهم أن يتحروا عن كل شىء بأقصى سرعة ٠

وقد وجدوا مصابيح العدو على طول القناة وكذلك الرماد الذى كان يتساقط من المشاعل وبعد أن لاحظوا وجود المبنى الذى انتزعت منه أحد الأحجار بفعل القوط أبلغوا كل شىء الى بليزاريوس • ولهذا السبب قرر أن توضع القناة تحت حراسة مشددة وعندما أدرك القوط ذلك تخلوا عن محاولتهم •

ولكن فيما بعد اتسع طموح البرابرة الى الحد الذى جعلهم يضعون خطة للهجوم الصريح على التحصينات • ولذلك انتظروا حتى موعد الغذاء ونصبوا السلالم وجلبوا النيران فى وقت لم يكن عدوهم يتوقع قدومهم فيه وقاموا بهجوم خاطف على بوابة بنشيان الصغيرة يحدوهم الأمل فى الاستيلاء على المدينة بهجوم مفاجىء حيث لم يترك هناك غير عدد قليل من الجنود •ولكن حدث ان ايلدجز ورجاله كانوا يقومون بالحراسة فى ذلك الوقت — لأن الجميع كانوا يكلفون بالقيام بواجبات الحراسة كل فى دوره — ولذلك فانه عندما رأى العدو يتقدم بغير نظام اندفع نحوهم قبل أن ينتظموا فى خطة واحدة من خطوط مواجهة المعركة — وبينما هم يتقدمون فى فوضى شاملة استطاع ان يتوجه ناحيتهم وان يهزمهم هزيمة نكراء ودون عناء كبير قتل منهم أعدادا كبيرة وانطلقت صرخة هائلة وشاعت الفوضى فى أنحاء المدينة كما كان متوقعا واحتشد الرومان فى كافة أنحاء الاستحكامات وعند ذلك عاد البرابرة بعد فشيل الى معسكرهم وهم فى حيرة من أمرهم •

ولكن فيتيجيس أعاد ترميم قطعة من السور وكان هناك جزء معين منه آيل للسقوط ويقع حيث توجد ضفة نهر التيبر لأن هذا المكان شيده قدماء الرومان بطريقة تتسم بالاهمال وعدم الاهتمام ثقة منهم فى الحماية التى يوفرها مجرى النهر فجعلوه منخفضا خاليا تماما من الأبراج ولذلك كان فيتيجيس يأمل فى الاستيلاء على المدينة بسهولة من تلك الجهة، لم تكن هناك ولا حتى فرقة واحدة لها شأنها — هذا هو واقع الأمر • ومن ثم استطاع أن يرشو بالمال اثنين من الرومان كانا يعيشان على

مقربة من كنيسة بطرس الرسول ليقوما بالمرور على الحراس هنـاك حاملين قربة مملوءة بالخمر على أن يقدما — بطريقة أو أخرى مظاهر الود والصداقة الأمر الذى يمكنهما من تقديم الخمر لهم ثم يجلسان للشراب معهم حتى منتصف الليل وكان مطلوب منهما أن يلقيا فى كوب كل حارس قليلا من عقار مخدر كان فيتيجيس قد أعطاه لهما • ودون أن يشعر به أحد قام باعداد بعض الزوارق احتفظ بها على الشـاطىء الآخر وبمجرد أن يغلب النوم على الحراس كان مطلوبا من عدد من البرابرة — يعملون فى وقت واحد وفى تنسيق — أن يعبروا النهر فى هذه الزوارق وأن يأخذوا منهم السلالم ويقوم بالهجوم الخاطف على السور • وجعل الجيش كله على اهبة الاستعداد بهدف الاستيلاء على المدينة بأكملها فى هجوم عاصف • وبعد ان اكتملت كل هذه الاستعدادات ذهب احد هذين الرجلين اللذين أعدهما فيتيجيس ليقدما له هذه الخدمة من تلقاء نفسه (لأن روما لم يكن مقدرا لها أن تقع فريسة فى قبضة هذا الجيش القوطى) الى بليزاريوس وكشف عن كل شىء وأخبره بكل شىء عن الرجل الآخر •

ولذلك فان ذلك الرجل اعترف تحت التعذيب بكل ما كان على وشك أن يفعله وكشف عن المخدر الذى كان فيتيجيس قد أعطاه له • وقـام بليزاريوس بتشويه انفه واذنيه وأرسله الى معسكر العدو راكبا فوق جحش • وعندما رآه البرابرة ادركوا أن الله لن يحقق لهم أغراضهم وبناء على ذلك لن يقدر للمدينة أن تقع فى أيديهم •

(١٠)

وفى الوقت الذى كانت تحدث فيه هذه الأمور كتب بليزاريوس الى جون يأمره بالبدء فى العمليات الحربية . أما هو ورجاله الذين يبلغ عددهم ألفى فارس فقد بدأوا بالتجول فى أراضى بايسنم لنهب كل ما يجده فى طريقة ومعاملة النساء والأطفال كعبيد وعندما واجهه أوليتيوس Ulitheuc عم فيتجيس على رأس جيش من القسوط انحق بهم الهزيمة فى المعركة وقتل أوليتيوس نفسه . ومعه كل أفراد جيش العدو تقريبا . ولهذا السبب لم يعد أحد يجرؤ على الاشتباك معه . وعندما وصل الى مدينة أوكزيموس Auximus [٣١] وعلى الرغم من أنه علم انه توجد بها فرقة قوطية ضئيلة الحجم الا أنه لاعتبارات أخرى لاحظ أن المكان حصين ومن المستحيل الاستيلاء عليه . ولهذا السبب كان غير راغب على الاطلاق فى أن يضعها تحت الحصار بل انه تحرك أماما وهو يغادر هذه المدينة بأسرع ما فى طاقته ولقد فعل نفس الشىء عندما وصل الى مدينة أوربنيوس Urbinus [٣٢] ولكن عندما تقدم برحلة يوم واحد داخل المدينة بناء على دعوة الرومان وملأ الشك وصل الى أرمينيوم Arminum [٣٣] التى تبعد عن رافينا بمسافة عقول البرابرة الذين كانوا يقومون بالحراسة هناك من ناحية السكان الرومان وبمجرد أن علموا أن هذا الجيش يقترب انسحبوا واستمروا فى الجرى حتى وصلوا الى رافينا وهكذا استولى جون على أرمنيوم ولكنه فى أثناء ذلك كان قد نسى أوامر بليزاريوس لأنه كان قد استولى عليه باحساس غير معقول بالجسارة حيث انه كان يتصف بالحكمة

---

(٣١) حديثا — اوسيمو Osimo وهى تابعة لاوكسيراخية رافنا فى الشمال الغربى .

(٣٢) حديثا اوربينو Urbino شمال غرب ايطاليا .

(المترجمة)

(٣٣) حديثا رمينى Rimini تقع فى ايطاليا فى الشمال الغربى على مقربة من رافنا .

(المترجمة)

انظـر : Ostrogorsky «op-cit»

والحيوية — ولكن لأنه كان قد قدر الأمور بتعقل — وكان تقديره سليما كما ظهر فيما بعد — انه اذا علم القوط أن الجيش الرومانى كان قريبا من رافينا فانهم سرعان ما يفكون الحصار عن روما بسبب مخاوفهم فيما يتعلق بهذا المكان • وقد أثبت هذا التقرير المبنى على التعقل أنه كان سليما فعلا • لأنه بمجرد أن سمع فيتيجيس وجيش القوط أنه استولى على أرمنيوم انتابهم خوف شديد على رافينا وبدأوا فورا فى الانسحاب بعد تخليهم عن كل الاعتبارات الأخرى كما سابين فيما بعد • وقد نال حنا شهرة كبيرة نتيجة لهذا العمل على الرغم من انه كان معروفا جدا قبل كل هذا • لأنه رجل جسور ، على قدر كبير من الكفاءة لا يهتز امام الخطر ويظهر فى حياته اليوم وفى كل وقت دلائل شخصيته القوية ومقدرته على تحمل المشاق بشكل لم يسبقه اليه اى واحد من البرابرة أو من الجنود العاديين • لقد كان حنا يتميز بكل ذلك • وماناسونثا Matasuntha زوجة فيتيجيس التى كانت على عداء كبير مع زوجها لأنه كان قد أتخذها زوجة بالعنف فى بداية الأمر[٣١] ، عندما علمت أنه قد وصل الى أرمنيوم أمتلأت بسعادة غامرة وبعثت اليه برسول من قبلها وبذلك فتحت بابا للتفاوض سرا معه بخصوص الزواج وكشف أسرار المدينة •

ولذلك فقد ظل الاثنان يبعثان رسلهما كل الى الآخر دون معرفة بقية ترتيبات الأمور • وعندما علم القوط بما حدث فى أرمنيوم وعندما لم تستطع مؤنهم فى نفس الوقت سد حاجاتهم وكان قد انقضى من الزمن ثلاثة أشهر كاملة بدأوا يعدون لانسحابهم على الرغم من أنهم حتى تلك اللحظة لم يتلقوا أية معلومات من المبعوثين • وجاء الآن أول الربيع • لقد مرت سنة كاملة عليهم وهم تحت الحصار بل وفوقها تسعة أيام منذ أن أحرق القوط معسكرهم ورحلوا عند الفجر • أما الرومان

وهم يشهدون خصومهم يفرون فقد كانوا حائرين فى كيفية التعامل مع الموقف اذ حدث أن الأغلبية الكبرى من الفرسان لم تكن حاضرة فى ذلك الوقت حيث انهم كانوا قد أرسلوا الى عدة أماكن مختلفة كما سبق أن ذكرت وانهم لم يكونوا يعتقدون انهم بمفردهم يمكن أن يكونوا أندادا لمثل ذلك الحشد الكبير للعدو •

مهما يكن من أمر فقد عمد بليزاريوس الى تسليح كل المشاة وكل الفرسان وعندما رأى أن أكثر من نصف جنود العدو قد عبروا الجسر قاد الجيش خلال بوابة بنشيان الصغيرة وأثبتت معركة الاشتباك بالأيدى التى وقعت أنها كانت مساوية تماما لأية معركة وقعت من قبل • ففى البداية صمد البرابرة أمام أعدائهم بقوة وسقط الكثيرون من الجانبين عند بداية الصدام ولكن القوط فيما بعد استداروا طلبا للفرار فجلبوا على أنفسهم كارثة رهيبة اذ أن كل فرد كان من أجل طلب النجاة بنفسه فقط يندفع بقوة لعبور الجسر قبل غيره • ونتيجة لذلك اشتد زحامهم وكان لزاما أن يقاسوا عناء شديدا لأنهم كانوا يقتلون على أيدى بعضهم البعض وعلى أيدى أعدائهم • كما ان الكثيرين سقطوا من فوق الجسر من ناحيتيه ليبتلعهم نهر التيبر ويموتون غرقا ومعهم كل أسلحتهم • وأخيرا بعد أن خسروا بهذه الطريقة معظم رجالهم انضم من بقى الى هؤلاء الذين كانوا قد عبروا من قبل وتألق لونجنيوس Longinus الأيسورى وكذلك مونديلاس Mondilas حارس بليزاريوس بسبب ما أبدوه من شجاعة فى هذه المعركة ولكن فى حين نجا مونديلاس بعد الاشتباك مع أربعة من البرابرة كل بعد الآخر وقضى فيه عليهم جميعا فان لونجنيوس بعد أن أثبت أنه السبب فى اندحار العدو سقط فى المكان الذى كان يقاتل فيه تاركا الجيش الرومانى ليعانى أشد الحزن على فقدانه •

(١١)

وسار فيتيجيس مع من تبقى من جيشه متجها نحو رافنا وعمل على تقوية الأماكن الحصينة بعدد كبير من الحراس تاركا ألف رجل على رأسهم جيبمار Gibimer كقائد لهم في Clusium [٣٥] مدينة تسكاني وفي أورفي فنتوس Urvi-Ventus [٣٦] عددا مماثلا وعين عليهم البيلاس Albilas وهو قوطي كقائد لهم • كما تـرك اوليجيالوس Uligalus في تيوديرا Tudera [٣٧] على رأس أربعمائة رجل وفي أرض بايسنام في قلعة بترا ترك أربعمائة رجل ممن سبق لهم العيش فيها وفي اكريموس التي تعتبر أكبر مدن تلك البلاد ترك أربعة آلاف قوطي تم انتقاؤهم على أساس شجاعتهم الهائلة وعلى رأسهم قائد يصف بقدر كبير من الحيوية والنشاط أسمه فيســـاندوس Visandus وألقى رجل على رأسهم موراس في مدينة أوربينوس• وهناك أيضا قلعتان أخريان هما كايســينا Caesena ومونتفيريتا Monteferets [٣٨] وفي كل منها أقام حامية لا يقل عدد أفرادها عن خمسمائة رجل • ثم تحرك هو شخصيا مع من بقى من الجيش متجها الى أرمينيوم مباشرة بهدف تطويقها بالحصار •

حدث أن بليزاريوس بمجرد أن فك القوط الحصار عن روما كان قد أرسل ايلديجر ومارتينوس ومعهم ألف من الفرسان لكى يصـــلوا أرمينوم أولا بسفرهم بمزيد من السرعة عن طريق آخر مختلف وأعطاهم تعليماته وتوجيهاته بأنه عليهم فورا ابعاد حنا وكل من معه عن المدينة وأن يضعوا في أماكنهم العدد الكافي من الرجال لحراسة المدينة وعليهم أن يأخذهم من القلعة القائمة على خليج أيونيا وأسمها أنكون Ancon

---

(٣٥) حديثا كيوسى Chusi •

(٣٦) حديثا اورفيتو Orvieto

(٣٧) حديثا تودى Todi •

(٣٨) حديثا مونتفلترو Montefeltro •

وهى تبعد مسيرة يومين من أرمينوم • لأنه كان قد استولى عليها قبل وقت قصير بعد أن أرسل كونون ومعه قوة ليست بصغيرة من الأيسوريين والتراقيين Thracians كان أمله أنه اذا كان باستطاعة المشاة دون أية مساعدة وبقيادة غير مرموقة أن يستولوا على أرمينوم فان قوات القوط لن تقوى أبدا على القيام بحصارها بل انهم سوف ينظرون اليها باستخفاف ومن ثم يتوجهون فورا الى رافينا وانهم اذا ما قرروا حصار أرمينوم فان المؤن سوف تكون كافية للمشاة مدة أطول نسبيا وكان يعتقد أيضا أن الفين من الفرسان[٣٩] — مهاجمين من الخارج مع بقية الجيش سوف يحدثون بكل المقاييس — أضرارا جسيمة للعدو وسوف يدفعونهم بسهولة للتخلى عن الحصار • فى ضوء هذا الهدف أعطى بليزاريوس أوامره لمارتينـــوس وايلديجـــر ورجالهمـــا ، بالســـفر عن طـــريق فلامينيا ووصلوا قبل البرابرة بمدة طويلة اذ انه بسبب تحرك القوط فى حشود هائلة كانوا يتقدمون بشكل أكثر تمهلا وكانوا مرغمين على القيام بحركات التفاف طويلة بسبب نقص المؤن ولأنهم كانوا يفضلون عدم المرور بالقرب من القـــلاع الواقعة على طريق فلامينيا وعند نارينـــا Narina وسبوليتوم Spolitium وبيروزيا Perusia اذ ان كل هذه المناطق كانت فى أيدى العدو •

وعندما وصل الجيش الرومانى الى بترا Petra قاموا بالهجوم على القلعة الموجودة هناك باعتبارها واحدة من أهداف حملتهم • وقد كانت هذه القلعة من ابتكار الانسان ولكن الطبيعة هيأت مكانها فى هذا الموضع ، لأن الطريق يمر من خلال منطقة جبلية وعرة تماما عند هذا المكان • فعلى يمين هذا الطريق يوجد نهر ينحدر بشدة بحيث لا يستطيع انسان أن يركبه بسبب السرعة الهائلة للتيار والى اليسار على مســـافة بعيدة تقف صخرة عالية جدا يصل ارتفاعها الى المدى الذى يجعل الرجال

---

(٣٩) القوة التى كانت مع حنا عندما خرج للاغارة على بلسنوم والتى كان يستخدمها الآن فى المحافظة على أرمينوم •

الذين يمكن أن يفلحوا فى الوصول الى قمتها يظفرون لمن يقف عند الشفخ وكأنهم أصغر الطيور حجما . وفى الأزمنة الغابرة لم يكن هناك أى ممر يمكن أن يستخدمه من يريد التقدم أملما . لأن نهاية الصخرة تصل الى مجرى ذلك النهر بحيث لا تترك أى فراغ يمر منه هؤلاء الذين يستخدمون هذا الطريق فى أسفارهم . ولذلك فان أهل الزمان القديم أنشأوا نفقا عند تلك النقطة وأقاموا هناك بوابة لعبور المكان(٤٠) كما أنهم أغلقوا الجزء الأكبر من المدخل الآخر(٤١) تاركين فراغا يكفى بالكاد لاقامة بوابة صغيرة هناك أيضا وبذلك جعلوا المكان يبدو مثل قلعة طبيعية يطلقون عليها هذا الاسم الذى يناسبها تماما وهو بترا . وهكذا قام رجال مارتينوس وايلديجر أولا بالهجوم على احدى هاتين البوابتين(٤٢) وأطلقوا عدة قذائف ولكنهم لم يحققوا شيئا على الرغم من أن البرابرة هناك لم يقوموا بأية محاولة للدفاع على الاطلاق ولكنهم فيما بعد شقوا طريقهم الى أعلى الصخرة الواقعة خلف القلعة وأخذوا يقذفون الحجارة من هناك فوق رءوس القوط ثم دخلوا بيوتهم مسرعين فى فوضى شاملة حيث بقوا فى سكون . وبعد ذلك ابتكر الرومان الخطة التالية عندما عجزوا عن اصابة أى فرد من العدو بالحجارة التى قذفوا بها . قاموا بتكسير قطع ضخمة من الصخر وشارك عدد كبير منهم معا فى دفع تلك القطع الى أسفل وهم يصوبونها فى اتجاه البيوت . وحيثما سقطت هذه الأحجار ولم تفعل أكثر من الاحتكاك بالمبنى فانها كانت تطيح به أمامها وكان هناك طريق من السلالم ذو اتساع كبير بداخل البرج استطاع البرابرة عن طريقه أن يجعلوا صعوده لأعدادهم الهائلة ميسرا لأنهم كانوا يأملون فى أنه بمجرد أن ينتهوا من وضع البرج فى

---

(٤٠) قام الامبراطور فسباسيان ببناء النفق عام ٧٦ م . وكانت هذه البوابة عند المدخل الجنوبى .

(٤١) أى الشمال .

(٤٢) البوابة العليا أى الجنوبية .

حماية التحصينات لن يجدوا أية مشقة فى الانتقال خطوة واحدة من هناك الى أعلى السور لأنهم كانوا قد شيدوا البرج عاليا وفى أذهانهم هذا الاعتبار • ولذلك فانهم عندما اقتربوا من التحصينات ومعهم آلة الحرب هذه ظلوا ساكتين طوال الوقت حيث كان الظلام كان قد بدأ يعم وبعد أن وضعوا الحراس فى مواقعهم فى كافة انحاء البرج ذهبوا لقضاء الليل وفى اعتقادهم أنهم لن يصادفوا أية عقبات من أى نوع وفى الواقـــع لم يعترض طريقهم شيء ولا حتى خندق واحد بينهم وبين الســـور فيما عدا واحد صغير جدا •

أما بالنسبة للرومان فقد أمضوا الليل وهم فى رعب هائل معتقدين أنه بحلول الصباح سوف يكونون قد هلكوا • ولكن حنا الذى لم يكن ليستسلم لليأس فى مواجهة الأخطار ولا لينفعل الى درجة كبيرة بفعل الخوف استطاع أن يبتكر الخطة الآتية • بعد أن ترك الآخرين ليقوموا بمهام الحراسة فى مواقعهم أخذ بنفسه الايسوريين الذين يحملـــون المعاول وغيرها من الأدوات المشابهة وخرجوا من الاستحكامات • كان الوقت آخر ساعات الليل ولم أرى أى شخص فى المدينة قد قبلت له أية كلمة مسبقا وعندما أصبحوا خارج السور أمر رجاله أن يعملوا فى صمت لتعميق الخنـــدق ففعلوا ما طلب منهم وكانوا وهم يحفـــرون يضعون التراب الناتج من الحفر على الجانب الأقرب الى سور المدينة حيث يمكن الانتفاع به كسد ترابى ولأن العدو الذى كان يغط فى النوم لم يحس بهم لمدة طويلة سرعان ما نجحوا فى تعميق وتوسيع الخندق فى المكان الذى كانت التحصينات فيه قابلة للاختـــــراق وحيث كان البرابرة يعدون العدة لهجوم بآلاتهم الحربية وفى آخر ســـاعات الليـــل بعد أن لاحظ العدو ما يجرى أنقض بمنتهى السرعة على الرجال الذين كانوا يقومون بالحفر ودخل حنا والأيسوريين للاحتماء بالتحصينات بعد أن أصبح الخندق فى حالة تبعث على الرضاء الى حد كبير •

حالة من الغيظ الشديد على التوقيع على اعدام بعض الحراس • وعلى أية حال فانه كان لا يزال متلهفا كما كان من قبل لاحضار آلته ولذلك أصدر اوامره الى القوط بالقاء عدد كبير من حزم العصى بأسرع ما يمكن فى الخندق ثم بواسطة سحب البرج فوقها يمكن تثبيته فى موقعه • فبدأ بكل حماسة فى تنفيذ ذلك حسب أوامر فيتيجيس Vittigis على الرغم من أن أعداءهم ظلوا يقاتلونهم من خلف السور بأقصى ما بهم من عزم • ولكن عندما جاء البرج بثقله فوق حزم العصى كان من الطبيعى أن ينهار ويسقط • لهذا السبب كان البرابرة عاجزون تماما عن التقدم الى الامام بالآلة لأن الأرض أصبحت أكثر انحدارا أمامهم حيث كان الرومان قد جعلوا من التراب أكراما كما قلت من قبل • ولذلك سحبوا الآلة عائدين بها مرة أخرى خشية أن يتسلل العدو ويشعل فيها النيران عندما يحل الليل •

وكان هذا بالضبط هو ما يتلهف حنا على منعه بكل ما فيه من قوة ولذلك فقد قام بتسليح جنوده ودعاهم جميعا وحذرهم قائلا : « رجالى، يا من تشاركون فى تحمل هذا الخطر الذى يواجهنا جميعا • اذا كان يسعد أى رجل منكم أن يعيش لكى يرى هؤلاء الذين تركهم فى بيته فليتأكد أن الأمل الوحيد الباقى له من أجل الحصول على هذه الأشياء لا يوجد الا بين يديه هو نفسه لأن بليزاريوس عندما أرسلنا فى بادىء الأمر كانت الآمال والرغبة فى انجاز أشياء عديدة هى التى تجعلنا متلهفين على القيام بمهامنا • لأننا لم نشك أبدا فى أنه كان يمكن أن نحاصر داخل البلاد الواقعة على طول الساحل والرومان يسيطرون على البحر سيطرة كاملة ولا أن يخطر لأحد أن جيش الامبراطور يمكن أن يمهلنا الى هذا الحد • ولكن بصرف النظر عن هذه الاعتبارات فاننا فى ذلك الوقت كنا مدفوعين الى اظهار الجراة والجسارة من خلال فرصة اظهار ولائنا للدولة من خلال المجد الذى يمكن أن نحققه على مرأى من كل الرجال نتيجة لنضالنا • ولكن الأمور على ما هى عليه

الآن فاننا لا يمكن أن نظل على قيد الحياة الا باظهار الشجاعة والاقدام. ونحن مرغمون على أن نتعرض لهذا الخطر الذى لا تلوح فى الأفق نهايته لا أن نعمل على النجاة بأنفسنا . وعلى ذلك اذا كان لأى واحد منكم ان يدعى الشجاعة فالجميع امامهم الفرصة لاثبات أنهم رجال شجعان اذا كان فى العالم حقا رجال شجعان — وبذلك يحققون لأنفسهم الأمجاد — أن من يحققون لأنفسهم السمعة الطيبة ليسوا هم هؤلاء الذين يقهرون من هم أضعف منهم ولكنهم هؤلاء الذين رغم احتقارهم للمعدات يستطعون تحقيق النصر بعظمة أرواحهم . أما بالنسبة لهؤلاء الذين قد غرسوا فى أعماق نفوسهم حب الحياة فانها تكونميزة محسوبة لهم أن يكونوا ذوى جسارة خاصة لأنه يصدق على الرجال جميعا كصفة عامة أنه عندما تقف أقدارهم على حد الموت كما هو الحال الآن بالنسبة لنا — فان انقاذ حياتهم قد يتحقق فقط باحتقار الخطر » .

بهذه الكلمات قاد حنا جيشه لملاقاة العدو تاركا بضعة رجال لحراسة فتحات الحصن . ولكن العدو صمد أمامهم بشجاعة وأصبحت المعركة فى غاية الشراسة .

وبصعوبة بالغة وفى آخر ساعات النهار نجح البرابرة فى اعادة البرج الى معسكرهم . على أية حال فانهم كانوا قد خسروا عددا كبيرا جدا من مقاتليهم لدرجة أنهم قرروا منذ ذلك الوقت فصاعدا ألا يقوموا بشن أية هجمات على الأسوار بل أنهم يئسوا من النجاح بتلك الطريقة وظلوا ملتزمين الهدوء وهم يتوقعون أن العدو سوف يستسلم لهم تحت ضغط المجاعة . كانت كل المؤن التى كانوا يحتفظون بها قد خذلتهم تماما حيث أنهم لم يجدوا أى مكان يستطيعون منه أن يجلبوا منه الامدادات الكافية .

هكذا سارت الأحداث هناك . أما بالنسبة لبليزاريوس فقد أرسل الى نواب ميلانو ألف رجل من الايسوريين والتراقيين . كان

الايسوريون بقيادة انز Ennes بينما كان التراقيون بقيادة باولوس وكانوا جميعا تحت أمرة مونديلاس شخصيا محتفظا له ببعض أفراد من حرس بليزاريوس — وكان معهم أيضا فيدليوس Fidelius الذى كان تم تعيينه حارسا أمبراطوريا • ولأنه كان يعتبر من أهل ميلانو فقد كان ينظر اليه باعتباره الشخص المناسب للذهاب مع هذا الجيش حيث كان له بعض النفوذ فى ليجوريا • وعلى ذلك فقد أبحروا من ميناء روما ورسوا فى جنوا وهى آخر مدينة من مدن تسكانى ونتمتع بموقع ممتاز كميناء يغرى بالرحلة البحرية الى بلاد الغال (فرنسا) وأسبانيا وهناك تركوا سفنهم وعن طريق البر تحركوا أماما وهم يضعون القوارب الخاصة بسفنهم فوق عرباتهم حتى لا يكون هناك ما يمنع عبورهم لنهر البو • وعلى أية حال بهذه الوسيلة استطاعوا عبور النهر •

وعندما وصلوا الى مدينة تيسينم Ticinum [٤٣] بعد عبور نهر البو جاء القوط لملاقاتهم واشتبكوا معهم فى معركه • ولم يكونوا يشكلون قوات كثيرة العدد فقط ولكنهم كانوا أيضا يشكلون قوات ممتازة • اذ كان كل البرابرة الذين يعيشون فى ذلك الأقليم يودعون أثمن مقتنياتهم فى تايسنيم[٤٤] باعتبارها مكانا يتمتع بدفاعات قوية وكانوا قد تركوا هناك حامية كبيرة • ولذلك وقعت معركة شرسة ولكن الرومان خرجوا منها منتصرين وبعد أن أنزلوا هزيمة منكرة بأعدائهم ذبحوا عددا هائلا وأصبحوا على وشك الاستيلاء على المدينة أثناء المطاردة • اذ نجح البرابرة بصعوبة بالغة فى اغلاق البوابات والعدو يجد فى اثرهم على مسافة قصيرة جدا منهم • وبينما الرومان يسيرون بعيدا دخل فيدليوس أحد المعابد للصلاة وكان آخر من خرج بالمصادفة ولكن لأمر ما تعثر جواده وسقط ولأنه كان قد سقط بالقرب من

---

(٤٣) حديثا مدينة بافيا Pavia فى الشمال الايطالى .

(٤٤) بافيا .

التحصينات فان القوط أبصروه وحملوه وقتلوه دون أن يراهم العدو . وعندما اكتشف هذا الأمر فيما بعد بواسطة مونديلاس والرومان انتابهم حزن شديد .

ثم بعد أن غادروا تايــــنم وصـــلوا الى مدينـــة ميـــلانو[٤٥] واستخلصوا هذه المدينة بالاضافةالى بقية لجوريا دون معركة — وعندما علم ثيتجيس بذلك أرسل جيشا كبيرا على وجه السرعة وعلى رأسه اورياس Uraias وابن اخته قائدا له وكان ثيوديرت Theudibert قائد الفرنجة قد أرسل اليه بناء على طلبه عشرة آلاف رجل باعتبارهم حلفاء لا من الفرنجة أنفسهم ولكن من البرجنديين[٤٦] .

فيظهر بذلك على أنه لا يعمل على الحاق الأذى بالامبراطور . حيث قد أشيع أن البرجنديين قاموا بحملتهم بمحض ارادتهم واختيـــارهم وليس باعتبار أنهم يطيعون أوامر ثيوديرت . وانضم القوط الى هذه القوات وتوجهوا معا الى ميلانو وأقاموا معسكرا وبدأوا فرض الحصار في وقت لم يكن الرومان يتوقعون ذلك منهم . وعلى أية حـــال فان الرومان بسبب هذا العمـــل وجدوا أنه من المستحيل عليهم جلب أي نوع من المــؤن بل أنهم أصـــيبوا بالاكتئاب بسبب شـــدة احتياجهم للضروريات .

في الواقع أنه حتى الأمور الخاصة بحراسة الأسوار لم يكن من الممكن انجازها بواسطة الجنـــود النظاميين لأنه كان قد حـــدث أن مونديلاس استطاع احتلال كل المدن القريبة من ميلانو حيث كانت تمثل دفاعا اســـميا عن برجـــومم Bergomum وكومم Comum

---

(٤٥) ميلانو او ميلان Milan احد مدن الشمال الايطالي .

(٤٦) البرجنديون : احد القبائل الجرمانية التي غزت اراضي الامبراطورية الرومانية تعرضوا لضغط الهون — اتجهوا الى الراين واستقروا بين جبال الألب والرون .
(المترجمة)

ونوفاريا Novaria ‏(١٧) وكذلك بعض الحصون وفى كل من هـذه الأماكن وضع حامية كبيرة وبقى هو شخصيا ومعه حوالى ثلثمائة رجل فى ميلانو وكذلك انز وباولوس • وبالتالى وبسبب الحاجة الملحة كان سكان المدينة يقومون بالحراسة بالانتظام وبالدور •

وكان ذلك هو تطور الأحداث فى ليجوريا وكان الشتاء يقترب من نهايته وانتهت السنة الثالثة لهذه الحرب التى أرخ لها بروكوبيوس •

(١٣)

وسار بليزاريوس تقريبا عند بدء الصيف لملاقاة فيتيجيس والجيش القوطى تاركا عدد قليل من الرجال ليقوموا بأعمال الحامية فى روما بعد أن أخذ كل الباقين معه •

وأرسل بعض الرجال الى تيوديرا وكلوزيوم مع أوامر بضرورة اقامة معسكرات حصينة هناك وكان فى نيته أن يتبعهم وأن يساعد فى فرض الحصار على البرابرة فى تلك المواقع • ولكن عندما علم البرابرة أن الجيش كان يتقدم لم ينتظروا لمواجهة الخطر بل أرسلوا مبعوثيهم الى بليزاريوس ليقدموا الوعود بأنهم سوف يسلمون بأنفسهم وكذلك المدينتين بشرط أن لا يحدث لهم أى أذى • وعندما ذهب الى هنـاك نفذوا وعدهم • وقـام بليزاريوس بابعاد كل القوط من هذه المـدن وأرسـل بهم الى صـقلية ونابولى وبعد أن أقام حاميـة فى كل من كلوزيوم‏(١٨) وتيوديرا تقدم بجيشه الى الأمام •

ولكن فى هذا الوقت كان فيتيجيس قد أرسل جيشا آخر بقيادة

---

(١٧) حدينا برجامو Bergamo ، وكومو Como ، ونوفارا Noyara

(١٨) تقع كلوزيوم فى الجنوب الغربى من الادريانى فى منطقة امبوليا وكانت من المناطق التى تقع فى قبضة بعض القبائل المشـــابهة للالليريين . (المترجمة)

فاكسيمس Vacvimus الى اوكريموس[١٩] مع امر بانضمامه الى قوات القوط هناك وأن يهاجم معهم العدو فى أنكونا Ancon وأن يحاول الهجوم على تلك القلعة . وكانت انكونا هذه بمثابة صخرة مدببة والواقع أنها اتخذت أسمها من طبيعتها هذه لأنها الى حد كبير تشبه « الكوع » وهى تبعد نحو ثمانين فرسخا من مدينة اوكريموس وتعتبر ميناءها . وتقع دفاعات القلعة فوق الصخرة المدببة فى موقع آمن ولكن كل المبانى الواقعة خارجها على الرغم من كثرتها لم يكن لها أسوار تحميها منذ الأزمنة القديمة .

وبمجرد أن سمع كونون قائد الحامية فى هذا الموقع أن قوات فاليس كانت فى طريقها لملاقاته وأنها كانت فعلاً وقد وصلت الى مكان ليس ببعيد عنه قام بعمل استعراضى يدل على الحماقة والافتقار الى حسن التدبير .

فلاعتقاده أنه من السهولة بمكان أن يظل فى مأمن من الأذى بمجرد الاحتماء بالقلعة وأهلها بالاضافة الى الجنود . ترك التحصينات خالية تماما من الجنود وقادهم جميعا الى مكان يبعد نحو خمسة فراسخ وقام بتنظيمهم فى صف واحد للمعركة دون أن يجعل هذا الخط ذا عمق كاف ولكنه كان خطا غير ذى عمق بحيث كان يلتف حول سفح الجبل باكمله وكأنه كان خارجا للصيد . وعندما شعرت هذه القوات أن العدو كان يفوقها عددا لدرجة هائلة أداروا ظهورهم وانطلقوا من فورهم هاربين الى القلعة . وأستطاع البرابرة الذين كانوا يقتفون أثرهم على مسافة قريبة أن يذبحوا معظمهم على الفور .

كان هؤلاء هم الذين لم ينجحوا فى دخول السور الدائرى فى الوقت المناسب — ثم قاموا بوضع السلالم على الأسوار وأخذوا يصعدونها .

---

(١٩) اوكريموس هى أوسيمو Osimo بالقرب من رافنا .

وبدأ البعض فى احراق البيوت الموجودة خارج القلعة • أما عن الرومان الذين كانوا قد أثبتوا كفاءتهم فى القلعة فانهم وقد أذهلهم الرعب مما كان يحدث فتحوا البوابة الصغيرة واخذوا يستقبلون الجنود الذين كانوا يفرون فى فوضى شاملة • ولكن عندما رأوا البرابرة على مقربة وهم يجدون فى أعقاب الفارين وخوفا من أن يضطروا للاشتباك معهم أغلقوا البوابات بأسرع ما فى استطاعتهم وأنزلوا الحبال من فتحات الأسوار وانقذوا عددا من الرجال بسحبهم الى أعلى وكان من بينهم كونون نفسه • ولكن البرابرة سدوا السور بسلالمهم وأوشكوا على أن يستولوا على القلعة بحركة خاطفة وكان من الممكن أن ينجحوا لو لم يظهر رجلان شجاعة نادرة عندما دفعوا بكل ما فيهما من قوة هؤلاء الذين كانوا قد احتلوا الأسوار والقوا بهم من فتحاته وكان أحد هذين الاثنين من حرس بليزاريوس الخاص وهو من تراقيا اسمه أوليموث ulimoth والثانى أحد حراس فاليريان واسمه جوبول جودو Gouboulgouedou وهو من المساجيت[*] من ناحية المولد •

وكان هذان الرجلان قد جاءا بمحض الصدفة الى انكونا عن طريق البحر قبل قليل وخلال هذا الصراع فانهما باستخدام سيوفهما فى ابعاد الذين كانوا يتسلقون الأسوار قد انقذوا القلعة بعكس ما كان متوقعا ولكنهما حملا من عند فتحات الأسوار العليا وهما كالأموات بعد أن تمزق جسديهما من كثرة الجروح •

فى ذلك الوقت وصل نبأ الى بليزاريوس مفاده أن نارسيس قد وصل على رأس جيش كبير من بيزنطة وأنه فى بايسنوم وكان

(*) المساجيت عرفناهم على أنهم قبيلة اسيوية قدمت من وسط آسيا ، واحتلت الأراضى الرعوية شمال نهر الأمودار يا .
Encyclopedie, Britanica. vol. VI.

.ارسيس[٥١] هذا خصيا ووصيا على الكنوز الملكية ولكنه فى غير ذلك من الأمور كان حاد الذكاء كثير النشاط بأكثر مما يمكن أن يتوقع من خصى • وكان يتبعه خمسة آلاف جندى يتألفون من عدة آلاف بقيادة عدد من الرجال[٥٢] من بينهم جستينوس Justinus قائد اليريا Illyricum [٥٣] وتارسيس آخر كان قد جاء من قبل الى أرض الرومان باعتباره أحد الفارين من الأرمن الخاضعين للفرس ومعه جاء شقيقه أرايتوس Aratius الذى كان قد انضم الى بليزاريوس قبل هذه الأحداث بقليل مع جيش آخر • وكان يتبعه أيضا ما يقرب من ألفين من شعب الايروليين Eurlian [٥٤] تحت قيادة فيساندوس واليويث وفانيثيوس .Visandus, Aluith, and Phanitheus •

---

(٥١) كان ارمنيا من بلاد فارس — انظر الكتاب الاول لبروكوبيوس ، الفصل الخامس عشر ص ٣١ . وقد كان طواشيا وعين رئيسا لهذه الطائفة فى الحرس الامبراطورى ثم اصبح كبير الحجاب ، ونظرا لأنه كان طواشيا فقد كان لا يطمع فى العرش الامبراطورى فكان ذلك سببا فى حسن العلاقات بينه وبين جستنيان . (المترجمة) . انظر :
Vasiliev op-cit. vol I. pp. 137-173; Ostrogorsky op-cit pp. 70-73.

(٥٢) هناك اقوال ذكرها المؤرخون بأن العلاقات ساءت بين الامبراطور جستنيان وبين بليزاريوس بعد أن علم من اشاعات قد سرت بأن القوط الشرقيين فى ايطاليا يرغبون تتويج بليزاريوس عليهم فاستدعاه جستنيان الى القسطنطينية . انظر اسمت غنيم « امبراطورية جستنيان » ص ٢٨ .
(المترجمة)

(٥٣) يقع اقليم الليريا شمال بلاد اليونان .
(المترجمة)

(٥٤) الايرولى والايروليين شعب من الشعوب البربرية التى سكنت شمال شبه جزيرة اسكندناوة ، ويجانبهم شعوب بربرية اخرى مثل السكيرفينى والجوتى . وسيقدم بروكوبيوس شرحا مفصلا عنهم فيما بعد .
(المترجمة)

(١٤)

والآن سأعرض من هم شعب الايرولى Eruli وأين هو موقعهم بالنسبة للعالم وكيف دخلوا فى تحالف مع الرومان فاننى فيما يلى سوف أشرح كل ذلك . لقد اعتادوا أن يعيشوا فيما وراء نهر استر(٥٥) Ister منذ القدم يعبدون عددا من الآلهة التى كانوا يرون فيهما أنهما أقدس من يرجى استرضاؤه بالقرابين البشرية . وكانوا يتمسكون بعادات لم تتفق وعادات غيرهم من الناس . اذ لم يكن مسموحا لهم بالاستمرار فى العيش عندما يبلغون الكبر أو عندما يمرضون ولكنهم كانوا بمجرد أن يبلغ أحدهم كبر السن أو المرض كان لزاما عليه أن يطلب من أقاربه ازاحته من العالم بأسرع ما فى استطاعتهم . وكان هؤلاء الأقارب يجمعون كمية كبيرة من الأخشاب بحيث ترتفع عاليا ثم يضعون الرجل أعلا كومة الاخشاب ثم يرسلون واحد من شعب الايرولى من غير أقارب الرجل فيقف الى جانبه ممسكا بخنجر لأنه لم يكن مما يتفق والقانون أن يكون أحد الأقارب قاتلا . وعندما يعود القاتل الذى قام بذبح قريبهم يشعلون النار فورا فى كومة الأخشاب الى أن يحترق جميعه مبتدئين بحرق الأطراف وعندما تخمد النيران يشرعون فورا فى جمع العظام ليدفنوها فى باطن الأرض .وكانوا اذا مات واحد منهم كان لزاما على زوجته اذا أعلنت أنها تستمسك بالفضيلة وترغب فى أن يظل اسمها نقيا أن تموت بعد فترة ليست طويلة الى جانب قبر زوجها بأن تشنق نفسها بحبل . فاذا لم تفعل هذا تكون النتيجة أن تصبح ذات سمعة سيئة طوال حياتها بعد ذلك الأمر الذى يعتبر اساءة الى أقارب زوجها . لقد كانت تلك هى العادات المرعية بواسطة الايرولى فى الأزمنة الغابرة .

ولكن مع تقدم الزمن أصبحوا سادة كل البرابرة الذين كانوا يعيشون حولهم سواء من ناحية القوة أو من ناحية العدد وكأمر طبيعى

---

(٥٥) حاليا هو نهر الدانوب .

(المترجمة)

أن يقع فقد أخذوا يهاجمونهم وتمكنوا من قهرهم عدة مرات واستمروا فى نهب ممتلكاتهم بالقوة والعنف . وفى النهاية تمكنوا من أن يجعلوا اللومبارديين الذين كانوا يدينون بالمسيحية وكذلك عدة شعوب أخرى — جعلوا منهم — رعايا يخضعون لهم على الرغم من أن برابرة ذلك الاقليم لم يعتادوا أبدا ذلك النوع من المعاملة وكن الايرولى كانوا مدفوعين باتخاذ هذا الأسلوب من واقع حبهم للمال ولسيطرة الروح التى لا تعرف الشرعية أو القانون عليهم .

وعلى أية حال فانه عندما استولى أناستاسيوس على الامبراطورية الرومانية فى عام ٤٩١ م[٥٦] فان الأيروليين اذ لم يعد لديهم فى العالم من يستطيعون مهاجمته تركوا أسلحتهم والتزموا الهدوء كما عاشوا سلما بهذه الطريقة لفترة من الزمن تقدر بثلاث سنوات . ولكن الناس أنفسهم وقد تغلب عليهم الغيظ وبدأوا يسيئون الى قائدهم رودلفس دون تحفظ فكانوا يذهبون اليه دون توقف وينادونه باسم الجبان والخنث ويوجهون اليه الألفاظ الجارحة بأبشع الاساليب يوبخونه بكلام ساخر بذىء أيضا . ولأن رودولفس لم يستطع تحمل الاهانات الموجهة اليه سار على رأس جيشه لملاقاة اللومبارديين الذين لم يرتكبوا أى خطأ والذين لم يحدث منهم أى انتهاك لما بينهم من اتفاقيات لكن ليشن عليهم حربا لم يكن لها أى سبب حقيقى .

---

(٥٦) حكم الامبراطور انستاسيوس الأول بعد وفاة الامبراطور زينون سنة ٤٩١ م حتى ٥١٨ ومن اهم ما اشتهر به كفاءته الادارية واصلاحاته المالية واصلاح النقد واصلح جباية الضرائب ورفع عن الصناع والتجار ما كان مفروضا عليهم من ضريبة الحرف الى غير ذلك .

(المترجمة)

منه انظر :

Vasiliev (op-cit) p. 109; Ostrogorsky (op-cit) p. 60.

وعنـدما سـمع اللومباردیون (٥٧) بذلك أرسـلوا الى روذلفس يستغسرون ويطلبون منه أن يحدد السبب أو الاتهام الذى من اجله يتوجه الايروليون اليهم شاهرين أسلحتهم وموافقين على أنهم اذا كان قد بدر منهم أى حرمان للايرولى من دفع الجزية فانهم سوف يدفعونها فورا مضافا اليها فوائد عالية واذا كانت كل جريرتهم أن الجـزية المفروضة عليهم كانت يسيرة فان اللومبارديين لن يتوانوا فى زيادتها • كانت تلك هى العروض التى تقدم بها المبعوثون ولكن رودلفوس أعادهم مهددا وتقدم الى الأمام •

ومرة أخرى أرسلوا مبعوثين آخرين يعرضـون نفس العروض وهم يقدمون اليه العديد من التوسلات • وعندما تلقى مبعوثى المرة الثانيـة نفس المعاملة جاءت اليه سفارة ثالثة لمنع الأيروليين من أن يشـنوا عليهم بأية حال من الأحوال حربا دون سبب مقنع • لأنهم اذا وقفوا ضدهم وفى نفوسهم مثل ذلك الغرض فانهم أيضا على غير رغبتهم ونزولا على الضرورة الملحة فانهم سوف يقفون صفا واحدا ضد مهاجميهم داعين الله، الشاهد عليهم الذى أقل نسمة من نسمات رضاه كفيلة بقلب الموازين وهو القادر على تدمير أى قوة يملكها الانسان وأنه هو سبحانه الذى يعلم أسباب الحرب وعليه سوف يكون تحديد مسار الحرب بالنسـبة للجانبين طبقا لذلك • لقد تكلموا هكذا وهم يعتقدون أنهم بهذه الوسيلة سوف يبثون الرعب فى قلوب أعدائهم ولكن الايروليين الذين لم يكن من طباعهم أن يهتزوا أملم أى شىء كانوا قد قرروا أن يكون اللقاء مـع اللومبارديين على أرض المعركة •

---

(٥٧) اللومبارديون آخر الشعوب الجرمانية التى اقتحمت الامبراطورية الرومانية ، اقاموا فى القرن الاول عند وادى نهر الأودر والجزء الأدنى من الألب ثم ظهروا فى بانونيا . عملوا كجنود مرتزقة فى جيش جسـتنيان ، وخاصة الجيش الذى عمل تحت قيادة نارسيس فكان معظمه من اللومبارديين. كونوا لأنفسهم مملكة فى ابطاليا . (المترجمة) .
عن ذلك انظر عاشور « أوربا فى العصور الوسطى » . جـ ١ . ص ١٤ .
Lot «The end of the anicent world» p. 289.

وعندما اقترب الجيشان حدث أن السماء فى المكان الذى يقع فوق اللومباردين حجبتها سحابة سوداء داكنة على حين كانت السماء فوق الايرولى شديدة الصفاء وبالحكم على الأمور من هذه الزاوية ربما يعتقد المرء أن الايروليين كانوا يدخلون الصراع الذى سوف ينتهى بوقوع الأذى عليهم لأنه لم يكن من الممكن ان يوجد نذير شر للبرابرة أكثر وضوحا من ذلك .

وعلى أية حال فان الايروليين لم يأبهوا حتى بهذا ولكنهم باهمال كامل لهذا الأمر تقدموا لملاقاة أعدائهم بمنتهى الاحتقار وهم يقدرون انه نتيجة الحرب يحددها تفوق الأرقام .ولكن عندما قاربت المعركة من نهايتها كان عدد كبير من الايروليين قد هلك ورودولفوس نفسه هلك وفر الباقون بأسرع ما فى استطاعتهم ولأن أعداءهم كانوا فى أثرهم فان معظمهم وقع فى أرض المعركة ولم ينجح سوى القليلين من النجاة بأنفسهم .

لهذا السبب لم يعد الايروليون قادرين على البقاء فى أرض الأجداد ولكنهم وهم يرحلون منها على وجه السرعة ظلوا على تحركهم أماما يعبرون كل بلاد ما وراء نهر ايستر Ester ومعهم زوجاتهم وأطفالهم ولكنهم عندما وصلوا الى أرض كان يسكنها الروجى Rogi منذ القدم — وهم شعب كان قد انضم الى جموع القوط وذهبوا الى ايطاليا — استقروا فى ذلك المكان . لأنهم كانوا يعانون المجاعة لأنهم كانوا فى أرض قاحلة فقد غادروها بعد مدة ليست طويلة وذهبوا الى مكان قريب من بلاد الجيبداى Gepaedes (٥٨) وفى بادىء الأمر سمح الجيبداى بالبقاء هناك وأن يكونوا جيرانا لهم حيث أنهم جاءوا باعتبارهم متوسلين متضرعين . ولكن فيما بعد ودون سبب مقنع بدأ الجيبداى فى القيام بأعمال غير أخلاقية معهم لأنهم كانوا يعتدون على نسائهم

---

(٥٨) كتاب ٢ وهم احد الشعوب الجرمانية التى قامت بغزو الامبراطورية الرومانية . (المترجمة) .

ويستولون على مواشيهم وممتلكاتهم الأخرى ولم يتورعوا عن أى شرور أخرى مهما كانت وأخيرا شنوا عليهم هجوما غير مشروع .

ولما لم يستطع الايروليون تحمل كل ذلك عبروا نهر ايستر[٥٩] وقرروا أن يعيشوا كجيران مع الرومان فى ذلك الاقليم . وكان ذلك أثناء حكم الامبراطور انستاسيوس الذى استقبلهم بروح ودية عظيمة وسمح لهم بأن يستقروا حيث كانوا . ولكن بعد وقت قصير سبب له هؤلاء البرابرة الازعاج بمعاملتهم غير القانونية للرومان هناك ولهذا السبب أرسل جيشا لمحاربتهم وبعد أن هزمهم الرومان فى أرض المعركة قاموا بذبح أكثرهم وكانت أمامهم فرصة كبيرة للقضاء عليهم جميعا . ولكن من تبقوا منهم ألقوا بأنفسهم طالبين الرحمة من القواد وتوسلوا اليهم أن يبقوا على حياتهم وأن يتخذوا منهم حلفاء وخدما للامبراطور .

وعندما علم انستاسيوس بذلك شعر بالسرور ونتيجة لذلك نجا عدد من الايروليين وعلى أية حال فانهم لم يصبحوا حلفاء للرومان ولم يقوموا بعمل طيب من أجلهم .

وعندما تولى جستنيان حكم الامبراطورية فى عام ٥٢٧ م منحهم أراضى جيدة وممتلكات أخرى ونجح فى كسب صداقتهم تماما وأقنعهم جميعا بأن يعتنقوا المسيحية . ونتيجة لهذا اتخذوا أسلوبا أكثر رقة فى حياتهم وقرروا أن يخضعوا أنفسهم بالكامل لشرائع المسيحية وعملا بشروط تحالفهم كانوا بصفة عامة ينضمون فى صفوف الرومان ضد أعدائهم . ومع ذلك فقد كانوا لا يزالون غير مخلصين لهم ولأنهم كانوا عبيدا للمال كانت لديهم ميول عدوانية بالنسبة لجيرانهم دون أى شعور بالخجل من مثل هذا السلوك . وكانوا يمارسون الجماع بطريقة بشعة وخاصة الرجال مع الحمير وهم أحط الرجال كافة فقد كانوا أنذالا فعلا .

وفيما بعد وعلى الرغم من أن قليلين منهم ظلوا مسالمين للرومان كما سوف أشرح فى السرد التالى فان الباقين تمردوا للسبب الآتى :

فى احدى المرات التى كان الايروليون يستعرضون فيها شخصيتهم الوحشية المتعصبة ضد ملكهم وكان يدعى أوكاس Ochus قاموا فجأة بقتله دون أى سبب مقنع على الاطلاق ودون أن يوجهوا له أى اتهام • لقد كانوا فقط يرغبون فى ألا يكون هناك ملك عليهم • ومع ذلك فانه قبل هذه الواقعة عندما كان الملك يحمل هذا اللقب فعلا فانه من الناحية العملية لم تكن له أية ميزة على أى مواطن آخر مهما كان شأنه • ولكن الجميع كانوا يطالبون بحق الجلوس معه وتناول الطعام معه وكان أى فرد يستطيع أن يوجه اليه الاهانات دون تحفظ فلم يوجد فى العالم شعب لا يلتزم بالآداب والأخلاق مثل الايروليين • وعندما تم هذا العمل الشرير سرعان ما شعروا بالندم •

وقالوا أنهم لن يستطيعوا أن يعيشوا دون حاكم ودون قائد ولذلك فانهم بعد كثير من التفكير قرروا أن أفضل الأمور هو استدعاء أحد أفراد أسرتهم الملكية من جزيرة ثيول Thule • وسوف أشرح الآن السبب فى اتخاذ هذا القرار •

(١٥)

عندما كان الأيروليون مهزومين على يد اللومبارديين فى المعركة التى سبق ذكرها هاجروا من بيوت أجدادهم فتوجه البعض منهم الى الليريا Illyricum (٦٠) وأتخذوا منها موطنا ولكن الباقين كانوا يعارضون فى عبور نهر ايستر فاستقروا عند أبعد أطراف العالم • على أية حال عبر هؤلاء الرجال يقودهم عدد كبير ممن تجرى فى عروقهم

---

(٦٠) لم يذكر بروكوبيوس هذا من قبل . وقد عرفت موضع الليريا من قبل •

العماء الملكية كل بلاد ال سكلافينى Sclavini الواحدة بعد الأخرى ثم عبروا مساحة كبيرة من الأراضى القاحلة حتى وصلوا الى فارنى Varni (٦١) كما أطلقوا عليها .

وبعد هذه البلاد كلها مر(ا ببلاد الدانيين Dani (٦٢) دون أن يلحقهم أى عنف على أيدى البرابرة هناك . وعند وصولهم اخيرا الى المحيط ركبوا البحر حتى وصلوا الى ثيول(٦٣) Thule وهناك استقروا على الجزيرة .

أن ثيول واسعة جدا مساحتها تبلغ أكثر من عشرة أضعاف مساحة بريطانيا وتقع بعيدا جدا عنها فى اتجاه الشمال . والأرض على هذه الجزيرة جرداء فى مجموعها ولكن فى الجزء المأهول يستقر ثلاثة عشر شعبا ويوجد ملك لكل شعب منها وفى هذا المكان يقع حدث عجيب جدا كل عام .

طوال هذا الوقت حيث لا يستطعون بأى شكل من الأشكال الاختلاط مع بعضهم البعض أثناء هذه الفترة . وعلى الرغم من أننى

---

(٦١) اوفارينى Varini وهى قبيلة تعيش على الساحل بالقرب من مصب نهر الراين .

(٦٢) مجموعة قبائل تسكن فى شبه جزيرة الدانمرك .

(٦٣) يحتمل ان تكون ايسلنده او الجزء الشمالى من شبه جزيرة اسكندنافيا التى كانت تعتبر حينذاك جزيرة وكانت تسمى « سكانزا » Scanza . كان اسم ثيول مالوفا منذ الأزمنة القديمة . فقد جاء وصفها على لسان البحار بثياس Pytheas فى عصر الاسكندر الأكبر وقد ادعى انه بزيارة هذه الجزيرة وقد تعدد تحديد موقعها ولكنها كانت دائما تعتبر اراضى اقصى شمال العالم . لأن الشمس فى وقت انقلاب الصيف لا تغرب ابدا لمدة اربعين يوما ولكنها تظهر دائما طوال هذه المدة فوق الأرض. وبعد اقل من ستة اشهر تقريبا عند تحول الشتاء لا تظهر الشمس اطلاقا فوق الجزيرة مدة اربعين يوما والليل الذى يبدو وبلا نهاية يحيط بها ونتيجة لهذا يسيطر الاكتئاب على الناس .

كنت أتلهف على الذهاب الى هذه الجزيرة لكي أكون شاهد عيان للأشياء التى تكلمت عنها فان الفرصة لم تتح لى أبدا .

عى أية حال فقد استفسرت من هؤلاء الذين يفدون الينا من الجزيرة عن الكيفية التى يستطيعون بها معرفة طول الأيام حيث أن الشمس لا تشرق ولا تغرب أبدا هناك فى هذه الأوقات المحددة . وقد أعطونى تقريرا هو بالقطع صادق ويمكن الوثوق به . قالوا ان الشمس فى أثناء هذه الأيام الأربعين لا تغرب حقيقة كما قيل بالضبط ولكنها تكون ظاهرة للناس مرة ناحية الشرق وأخرى ناحية الغرب .

وعلى ذلك فكلما تصل بدورها الى نفس المكان على الأفق حيث كانوا قد اعتادوا رؤيتها وهى تشرق من قبل يعرفون عن هذا الطريق أن يوما واحدا وأن ليلة واحدة قد انقضيا . وعندما يصل وقت الليالى فانهم دائما يدونون مذكرة بدورات القمر والنجوم وبذلك يعرفون طول الأيام . عندما يمر قت يصل الى خمسة وثلاثين يوما فى هذا الليل الطويل يذهب رجال معروفون الى قمم الجبال وهذه عادة عندهم — وعندما يصبح فى امكانهم رؤية الشمس مجردة من ذلك المكان يعودون الى الناس بخبر مفاده أنه بعد خمسة أيام سوف تشرق عليهم الشمس ويشترك كل الشعب فى اقامة احتفال ابتهاجا بالنبأ السعيد ويتم هذا أيضا فى الظلام — وهذا هو أعظم الاحتفالات عند أهل ثيول لأننى أتصور أن أهل الجزر هؤلاء يصابون بالرعب مع أنهم يشهدون نفس الشىء كل عام اذ يخشون أن تخذلهم الشمس تماما فى يوم من الأيام .

ويوجد بين البرابرة الذين استوطنوا ثيول شعب واحد فقط يطلق عليه آل سكريثيفينى Scrithiphini يعيش نوعا من الحياة لا يختلف فى شىء عن تلك التى يعيشها الوحوش . لأنهم لا يرتدون ملابس من القماش ولا يسيرون وفى أرجلهم أحذية ولا يشربون الخمر ولا يأخذون من الأرض أى شىء صالح للاكل . ولا هم يعملون فى الأرض ولا يقوم

نسائهم بالعمل فيها من أجلهم ولكن النساء يشاركن دائما الرجال فى الصيد والقنص وهو عملهم الوحيد • ذلك لأن الغابات الشاسعة توفر لهم أعدادا هائلة من الوحوش وغيرها من الحيوانات كما تفعل ذلك أيضا الجبال التى ترتفع فيها • وهم يعتمدون فى طعامهم الوفير على لحوم الحيوانات المفترسة التى يذبحونها بأنفسهم ويكتسون بجلودها ولأنه ليس لديهم الكتان ولا أى أداة يستخدمونها فى الحياكة فانهم يثبتون أجزاء تلك الجلود بعضها بالبعض بواسطة أعصاب الحيوانات وبهذه الوسيلة يمكنهم تغطية كل الجسم • حتى أطفالهم لا يلقون الرعاية بنفس الطريقة السائدة بين بقية الجنس البشرى • لأن أطفال هؤلاء الناس لا يتغذون من لبن النساء ولا هم يلمسون حتى ثدى أمهاتهم ولكنهم يتغذون على نخاع الحيوانات التى يقتلونها فى الصيد فقط •

بمجرد أن تضع المرأة طفلا تلقى به فى قطعة من جلد الحيوانات وتعلقه فورا فى احدى الأشجار وبعد أن تضع النخاع فى فمه تخرج فى الحال مع زوجها لصيدها المعتاد واذ يشتركان معا فى كل شىء فانهما بالمثل يقومان بهذا العمل معا • هذا عن الحياة اليومية لهؤلاء البرابرة •

وكل الأخرين من سكان ثيول من الناحية العملية • لا يختلفون كثيرا عن بقية الرجال ولكنهم بأعداد هائلة يقدمون فروض التبجيل والتوقير لآلهة وشياطين تعيش سواء فى السماء أو فى الهواء أو فى الأرض أو فى البحر بالاضافة الى عدد غير معروف من شياطين يقال عنها أنها شياطين مياه الينابيع والأنهار • وهم بلا انقطاع يقدمون كل أنواع القرابين لها كما يقدمون أيضا القرابين للموتى ولكن أعظم القرابين فى نظرهم هى أول انسان يأخذونه أسيرا فى الحرب اذ يقدمونه قربانا لأريس Ares (٦٤) الذى يعتبرونه أعظم الآلهة والطريقة التى يقدمون بها الأسير ليست بالتضحية به فوق المذبح فقط ولكن أيضا بوضعه فوق

---

(٦٤) آريس اله الحرب عند الاغريق • (المترجمة)

شجرة أو بالقائه بين الأشواك أو ذبحه بأسلوب يعتبر أقسى أشكال الموت .

هكذا يتضح كيف كان سكان ثيول يعيشون وكان الـــ جوتى Gaut واحدا من شعوبهم العديدة وفى جوار هؤلاء استقر الايروليون فى الزمن المنوه عنــه .

وعلى ذلك فانه فى المناسبة التى نحن بصددها أرسل الأيروليون الذين كانوا يعيشون بين الرومان بعد مقتل ملكهم على أيديهم . أرسلوا بعض كبار قومهم الى جزيرة ثيول لكى يبحثوا عن أى شخص يحمــل الدماء الملكية ويعودوا به .

وعندما وصل هؤلاء الرجال الى الجزيرة وجدوا فيها عددا كبيرا ممن يحملون فى عروقهم الدماء الملكية ولكنهم اختاروا الرجل الوحيــد الذى أعجبهم وبدأوا معه رحلة العودة . ولكن هذا الرجل وقع فريسة للمرض ومات عندما وصل بلاد الدانيين وعلى ذلك فقد ذهب هؤلاء الرجال مرة أخرى الى الجزيرة واختاروا رجلا آخر اسمه داتيوس Datius وتبعه أخوه أورداس Aordus ومائتان من شباب الأريولى فى ثيول . ولأنه كان قد انقضى وقت طويل وهم غائبون عن شعبهم بسبب هــذه الرحلة فقد خطر ببال الايروليين الذين يعيشون فى جوار سينجدانوين Singidunum أنهم لم يكونوا يقــدرون مصالحهم الخاصـــة وهم يستوردون قائدا لهم من ثيول على غير رغبة الامبراطور جستنيان . ولذلك فقد قاموا بارسال مبعوثين الى بيزنطة برجاء الى الامبراطور أن يرسل لهم حاكما من اختياره . وفى الحال أرسل لهم واحدا من الايروليين الذين كانوا يقيمون منذ وقت طويل فى بيزنطة واسمه ســوارتواس Suaratus .

وقد رحب به الأيروليون فى بادىء الأمر وقدموا له فروض الطاعة والولاء والعمل المعتاد خضوعا لأوامره . ولكن بعد أيام قلائل وصل رسول يحمل نبأ اقتراب الرجال القادمين من جزيرة ثيول وأمرهم سوارتواس

أن يخرجوا للقاء هؤلاء الرجال وكانت نواياه قد انعقدت على تدميرهم ونزولا على رغبته وموافقته على تحقيق ما يهدف اليه ذهب الأيروليون معـــه .

وعندما أصبح الجلنبان على مسيرة يوم واحد من بعضهما اليعض تخلى كل رجال الملك عنه أثناء الليل وتحولوا الى حيث كان القادمون الجدد من تلقاء أنفسهم فى الوقت الذى عمد هو فيه الى الفرار وانطلق دون أن يصحبه أحد عائدا الى بيزنطة . وعند ذلك تعهد الامبراطور بحماسة وصدق أن يعمل بكل قـــواه على اعادته الى مكانته ولـــما كان الأيروليون يخشون بطش الرومان فقد قرروا الخضوع للجيبداى . لقد كان ذلك اذن هو سبب ثورة الأيروليون .

المراجع العربيـــة

— اســـحق عبيـــــد : — روما وبيزنطية ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

——————— — الامبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية ، القاهرة ، ١٩٧٢ م .

— اســـمت غنيـــم : امبراطورية جستنيان ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ م

— بينز « نورمـــان » : الامبراطورية البيزنطية ، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة ، ١٩٥٧ .

— توينبى « أرنولـــد » : الفكر التاريخى عند الاغريق من هوميرالى الى هيراكليس ، ترجمة لمعى المطيعى ، القاهرة ، ١٩٦٦ م .

— جيبـــون ادوارد : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وســـقوطها ، ترجمة للمختصر الذى شرح فى الولايات المتحدة ثلاثة أجزاء ، ١٩٦٠ م ، ج ٢ ترجمـــة نجيب اســـكندر .

— هارولد لام : « هانيبـــال » ، ترجمة رشـــدى السيس ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

— سعيد عبد الفتاح عاشور : — أوربا العصور الوسطى ، ج ١ ، ط ٦ ، القاهرة ، ١٩٦٥ .

——————— — الحركة الصليبية ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

— ســـيد الناصرى : تاريخ الامبراطورية الرومانية ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

— عفاف سيد صبرة : — الامبراطوريتان البيزنطية والرومانية الغربية ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

———— — العلاقات بين الشرق والغرب ، القاهرة، ١٩٨٣.

— فشر هـ أ ل : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ترجمة زيادة والعرينى القاهرة ، ١٩٦٩ .

— موس . هـ : ميلاد العصور الوسطى ، ترجمة عبد العزيز حامد جاويد القاهرة ، ١٩٦٧ .

— هارثمان . ل. م. وبار اكلاف . ج : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، ترجمة جوزيف سليم . القاهرة ، ١٩٧٠

— هسى . ج . م : « العالم البيزنطى » . ترجمة رأفت عبد الحميد ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، ط ٢ .

المراجع الأجنبية

1 — A gathias. Historiarum Niebuhr. Bonnae-Md. XV.

2 — Corpus scriptorum, Historiae, Byzantinae. Bon-1828.

3 — Proccoplus «Historie Arcana» ed, haury 1906. English trans. by dewing.

— Baraclough : The Medieval Empire. London, 1950.

— Barker : Social and political thoughts in byzantium. Oxford, 1957.

— Baynes, and Moss. (ED) : Byzantium. Oxford, 1948.

— Bryce, J. A. : The Holy Roman empire. London, 1950.

— Bury S. B : History of the later Roman empire. London, 1931.

— Cam, med, Hist : vol. IV. Cambridge, 1966, 1967.

— Cantor. N. F : Medieval History. N. Y. 1964.

— David. T. Rice : The Byzantines. M. B. E. 1962.

— Deanesly, M : A history of Europe. London, 1960.

— Depelais. S : L, habitation Byzantine. Paris, 1923.

— Donald, M. Nicola : Byzantium its icclestastical and relation. with western world. London, 1968.

— Dudley. D. R : The civilization of Rome. N. Y. 1962.

— Encydopedia, Britannica : William Betnton. Puplisher. U. S. A. 1968.

— Eyre : «European civilization» vol III The middle ages, London, 1935.

— Fliche, A : Le chretiene Medievle. Paris, 1929.

— Finlay. g : History of the Byzantine empire, London, 1906.

— Gerald, simons : The Birth of Europe, N. Y, 1968.

— Green. V. H. H : Medieval civilization in western Europe, London, 1971.

— Guerdan, R : Byzantium its triumph and theology, London, 1976.

— Gwatkin H. M : The Arian controversy, London, 1914.

— Hodgkin, T : Italy and her invaders 4 vols, Oxford, 1896.

— Holmes, W. G : The age of justinian and Theadora, 2. vols, London 1912.

— Jones. A. H. M : The Greek city from Alexander to justinian, Oxford, 1940;

The decline of the ancient world, London, 1975;

Later Roman empire 3 vol, Oxford, 1964.

— Jordan : Topographie Der stadt «Rome».

— Lindsay. J : Byzantium into Europe, London, 1952.

— Lot. F : The end of the ancient world, London, 1931.

— Marian Weuzel : The finding out about Byzantines, London. 1965.

— Muglais H. J : Byzantine christianity, Emperor church, and the west, London, 1970.

— Maurice Keen : The pelican history of Medieval Europe, London, 1968.

— Oblensky. D. : The Byzantine common wealth, London, 1971.

— Oman. C : The Dark ages, London, 1914;
The Byzantine empire, London, 1902.

— Ostrogorskey : A. history of the Byzantine states, London, 1968.

— Painter. S : History of the middle ages, N. Y. 1954.

— Romelly Jenkins : Byzantien the imperial centuries, London, 1960.

— Runciman. S : Byzantien civilization, Britain, 1975.

— Setton. K. M : A history of the crusades, Wisconsin, 1969.

— Strayer. J. L. Munro, O. : The middle ages, N. Y. 1970.

— Thompzon. S. W : The middle ages. 2 vols, Lonon, 1920.

— Tout. T. F : The empire and the papacy, London, 1924.

— Ure. P. N : Justinian and his age, Benguin, book, 1951.

— Vasiliev, A. A : A history of the Byzantine empire, Wisconsin, 1958.

المحتويات